وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
مركز السيرة والسنة
لجنة السيرة النبوية

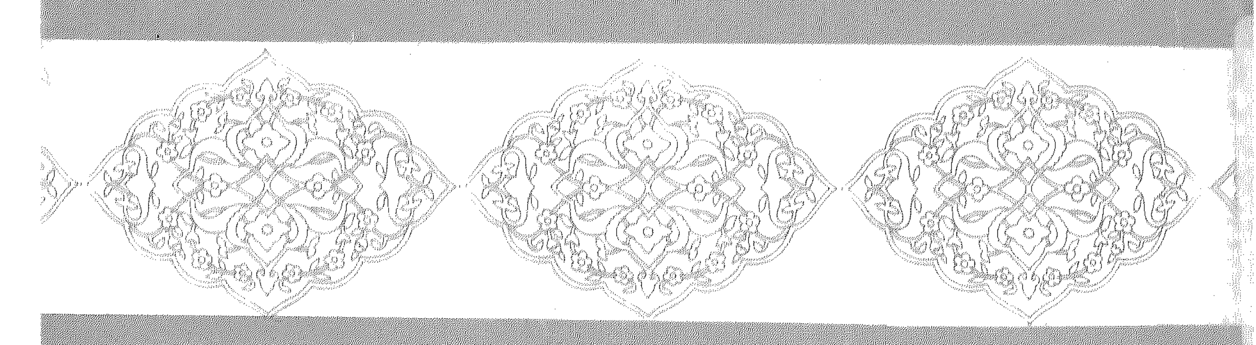
مختصر سيرة ابن هشام

لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى
المتوفى بمصر سنة ٢١٣ للهجرة

اختصرها وعلق عليها السادة العلماء أعضاء لجنة السيرة النبوية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الجزء الثانى

الطبعة الرابعة



القاهـرة
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

اهداءات ٢٠٠٢

أ/ رشاد كامل الكيلانى

القاهرة

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
مركز السيرة والسنة

مختصر سيرة ابن هشام

لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى
المتوفى بمصر سنة ٢١٣ للهجرة

اختصرها وعلق عليها السادة العلماء أعضاء لجنة السيرة
النبوية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الجزء الثانى

الطبعة الرابعة

القاهرة
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــــة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .

فهذا هو الجزء الثانى من كتاب « مختصر سيرة ابن هشام ، لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى المتوفى بمصر سنة ٢١٣ للهجرة ، نقدمه للسادة القراء بعد اختصاره والتعليق عليه من السادة العلماء أعضاء لجنة السيرة النبوية بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

يتحدث عن السيرة النبوية ، ابتداءً من غزوة الخندق إلى نهاية حياة النبى ﷺ وأثر انتقاله إلى الرفيق الأعلى فى نفوس المسلمين .

راجين أن تكون المعلومات الواردة فى هذه السيرة كافية لإعطاء صورة واضحة عن حياته وحياة المسلمين الذين جاهدوا معه لنشر الدعوة الاسلامية .

وأن يوفقنا الله لاقتفاء سيرتهم فى حياتنا الحاضرة ، لنبرهن للعالم أن الاسلام بمبادئه حى خالد ، يمكن أن يقود مسيرة العالم كله إلى الإصلاح المنشود .

وبالله التوفيق ،　　　　　المركز الدولى للسيرة والسنة


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصـــل الأول

من غَزْوة الخندق إلى : مسيرة خالد بن الوليد



غزوة الخندق
في شوال سنة خمس
وتسمى غزوة الأحزاب[١]

تاريخها :

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطَّلبى ، قال : ثم كانت غزوة الخَنْدق فى شوَّال سنة خمس[٢] .

• تحريض اليهود لقريش وما نزل فيهم :

فحدثنى يزيد بن رُومان مولى آل الزُّبير بن عُروة بن الزبير ، ومَن لا أتهم عن عبد الله بن كَعْب بن مالك ، ومحمد بن كعْب القرظىّ ، والزّهْرى ، وعاصم بن عمر بن قتَادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدّث ما لا يحدّث به بعض : قالوا إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سلاَم بن أبى الحُقيق النَّضَرى ، وحُيىّ بن أخْطب النَّضرى ، وكنانة بن أبى الحُقيق النَّضَرى وهَوْذة بن قيس الوائلى ، وأبو عَمَّار الوائلى ، فى نفر من بنى النَّضير ، ونفَر من بنى وائل ، وهُم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، خرجوا حتى قَدِموا على قُريش مكةَ ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نَسْتأصله[٣] ـ فقالت لهم قُريش يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأوّل والعلم بما أصْبحنا نَخْتلف فيه نحن ومحمد أفدِينُنا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دِينكم خيرٌ من دينه ، وأنتم أولى

---

(١) قبل غزوة الأحزاب ساد المدينة الأمن والسلام واطمأن الرسول ومن معه ، أن قريشا أمامها فترة طويلة حتى تستعيد قوتها ، وأنه نجح فى بسط الأمن والسلام حول المدينة بعد ـ غزوة دومة الجندل ـ وكسر شوكة الأعراب حول المدينة ، ووجد الرسول ومن معه الفرصة لنشر الإسلام وتبليغ الرسالة الإسلامية وبخاصة أنه قد تحول مجرى الأحداث لصالح المسلمين ، لكن اليهود ، لم يتعظوا بما أصابهم نتيجة الغدر . فشرعوا فى التآمر مرة أخرى على المسلمين وأخذوا يعدون العدة لجمع أعداء الإسلام ، وتأليب أحزاب الكفر

(٢) قال الزرقانى : واختلف فى تاريخها ، فقال موسى بن عقبة فى مغازيه التى شهد مالك والشافعى بأنها أصح المغازى ، كانت سنة أربع .

(٣) نستأصله : نهلكه ونزيله . (القاموس ص ٣٣٩ ج ٣)

بالحق (منه) فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ **ألم تَرَ إلى الَّذينَ أوُتُوا نصيبا مِن الكِتابِ يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ والطَّاغُوتِ**[١] ، **وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاء أهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً . أولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ ، وَمَنْ يَلْعَنِ اللّهُ فَلَنْ تَجِدَ لهُ نَصِيراً** ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ **أمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ على ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ : (أى النبوّة) ، ﴿ **فَقَدْ آتَيْنا آلَ إبْرَاهِيمَ الكِتابَ والحِكْمَةَ وآتَيْناهُمْ مُلْكا عَظِيما . فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ، وكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً** ﴾[٢] .

• تحريـض اليهـود لغطفـان :

قال : فلما قالوا ذلك لقُريش ، سرّهم ونَشطوا لما دَعَوْهم إليه ، من حرْب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واتَّعدوا له . ثم خرج أولئك النَّفر من يَهودَ ، حتى جاءوا غَطفان ، من قيس عيلان ، فَدَعَوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وأخْبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

• خـروج الأحـزاب مـن المشركيـن :

قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدُها أبو سُفيان بن حَرْب ؛ وخرجت غَطَفان ، وقائدها عُيينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر[٣] ، فى بنى فزَارة ؛ والحارث بن عَوْف بن أبى حارثة المُرّى ، فى بنى مُرّة ؛ ومِسْعر بن رُخَيلة بن نُويرة بن طَرَيف بن سُحْمة بن عبد الله بن هِلال بن خَلاوة بن أشْجع ابن رَيْثِ بن غَطفان ، فيمن تابعه من قومه من أشْجع .

---

(١) والجبت والطاغوت : كل ما عُبِدَ من دون الله . وقيل هى كلمة تقع على الصَّنم والكاهن والساحر .
القرآن الكريم يلقى الضوء على جميع المراحل المهمة لغزوة الأحزاب ، كما تحدث القرآن عن موقف اليهود وأشار إلى الحكم والغايات المحمودة نتيجة المعركة بين الحق والباطل وثبات المؤمنين وهم يعملون فى حفر الخندق ويقاسون شدة الجوع .. وقد دامت المكافحة والصبر من المسلمين اياما يواجهون الشدائد من ضعاف النفوس اهل النفاق فى صفوف المسلمين فقد تزعزعت قلوبهم وظهر نفاقهم واضحا جليا فى غزوة الأحزاب .
(لسان العرب طبعة دار صادر ص ٢١ ج ٢) .

(٢) سورة النساء : الآيات (٥١ ـ ٥٥) .

(٣) كان اسم عيينة بن حصن : حذيفة ، وسمى عيينة ، لشتركان بعينه ، اسلم ثم ارتد وآمن بطليحة حين تنبأ وأخذ أسيراً فأتى به أبو بكر رضى الله عنه فمن عليه ، ولم يزل مظهرا الإسلام على جفوة وعنجهيّة ولوثة أعرابيته حتى مات (راجع الروض الأنف) .

• حفر الخندق وتخاذل المنافقين وجد المؤمنين[1] :

فلما سمع بهم رسولُ الله ﷺ ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضرَب الخَنْدَق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله ﷺ تَرْغيبا للمسلمين فى الأجر ، وَعمل معه المسلمون فيه ، فدَأب فيه ودأبوا[2] . وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين ، وجعلوا يُوَرُّون[3] بالضّعيف من العمل ، ويتسلّلون إلى أهليهم بغير عِلْم من رسول الله ﷺ ، ولا إذن . وجعل الرجلُ من المسلمين إذا نابتْه النائبة ، من الحاجة التى لا بدّ له منها ، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، ويستأذنه فى اللحوق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبةً فى الخير ، واحتسابا له .

فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين : ﴿ **إنما المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورَسُولِهِ ، وَإذَا كانُوا مَعهُ على أمْرٍ جامِعٍ لمْ يَذْهَبُوا حتى يَسْتأْذِنُوهُ ، إنَّ الَّذِينَ يَستأذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذينَ يُؤمِنُون باللهِ وَرَسُولهِ فاذَا اسْتأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُم ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللّهَ ، إنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[4] . فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسْبة والرغبة فى الخير ، والطاعة لله ولرسوله ﷺ .

ثم قال تعالى ، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبىّ ﷺ : ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا[5] ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنةٌ ، أوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ ألِيمٌ** ﴾[6] .

---

(١) حفر الخندق أكبر دليل على يقظة القيادة الإسلامية ، وتحسس أخبار الأعداء ، فقبل أن تتحرك جيوش الأعداء إلى المدينة كان الخبر عند الرسول عليه السلام وأصحابه . فاستعدوا لملاقاتهم ووضعوا الخطط وحفروا الخندق بجد ونشاط .

(٢) فدأب فيه : جدَّ وتعب . (القاموس ص ٦٦ ح ١) .

(٣) يُوَرّون : يخفون ويستترون . (القاموس ص ٤٠٢ ح ٤) .

(٤) سورة النور الآية (٦٢) .

(٥) لواذاً : استتاراً . (القاموس ص ٣٧١ ح ١) .

(٦) سورة النور الآية (٦٣) .

• قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحْكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جُعيْل ، سمّاه رسول الله ﷺ : عَمرًا ، فقالوا :

سَمَّاه مَنْ بَعد جُعَيْل عَمْرَا وكان للبائس يوما ظهْرا[1] فإذا مروا (بعَمرو) قال رسول الله ﷺ : عمرًا ، وإذا مرّوا (بظَهْرٍ) قال رسول الله ﷺ : ظهراً .

• مـا ظهـر مـن المعجـزات :

قال ابن إسحاق : وكان فى حفر الخندق أحاديثُ بلَغتنى ، فيها من الله تعالى عبرة فى تصديق رسول الله ﷺ ، وتحقيق نبوّته ، عاين ذلك المسلمون .

فكان مما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدّث : أنه اشتدّت عليهم فى بعض الخندق كدْية ، فشَكَوْها إلى رسول الله ﷺ ، فدعا بإناء من ماء ، فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يَدْعوَ به ، ثم نَضَح ذلك الماء على تلك الكُدْية ؛[2] فيقول من حَضرها : فوالذى بَعثه بالحق نبيا ، لانهالت[3] حتى عادت كالكثيب[4] لا تردّ فأسا ولا مِسْحاة[5] .

• البركة فى طعام ابن جابر لرسول الله :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سَعيد بن مندة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله ﷺ فى الخَندق ، فكانت عندى شُويْهة ، غير جدّ سَمِينة[6] قال : فقلت : والله لو صَنَعناها لرسول الله ﷺ ؛ قال فأمرت

---

(١) الطهر : القوة والمعونة . الصمير فى « سماه » و « كان » للنبى ﷺ . (ترتيب القاموس ص ١٣١ ح ٣) .

(٢) الكُدْية : الأرص العليظة ، أو الأرض الصلبة . لساں العرب طبعة دار صادر ص ٢١٦ ج ١٥) .

• كانت معركة الأحراب . حول الخندق معركة حرب أعصاب . فلم يحر فى - عروة الأحزاب قتال مرير ، ولكنها كانت من أعطم المعارك حسماً فى تاريخ الإسلام ، فقد كانت نتيجتها تحاذل المشركين . وأظهر نتائجها . أن الأحراب لم تؤثر فى قوة المسلمين بل رادتهم معركة الأحزاب الثقة بأنفسهم ، وحين أجلى الله الأحزاب . قال رسول الله ﷺ : « الآں نعروهم ولا يعرونا ، نحن نسير إليهم » صحيح البخارى ج ٢ .

(٣) انهالت : تفتت . (السيرة ص ٢١٨) .

(٤) الكثيب : التّل من الرمل (ترتيب القاموس ص ١٦ ح ٤) .

(٥) مِسْحاة : المِجْرَفة من الحديد . (لساں العرب ص ٥٩٨ ج ٢) .

(٦) عير حد سمينة : عير كاملة السمن . (السيرة ص ٢١٨ ج ٢) .

امرأتى ، فطحنت لنا شيئا منْ شَعير ، فصنعت لنا منه خبزًا ، وذَبحت تلك الشاة ، فشَويناها لرسول الله ﷺ . قال : فلما أمْسَينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق ـ قال : وكنا نعمل فيه نهارَنا ، فإذا أمْسينا رَجعنا إلى أهالينا ـ قال : قلت : يا رسول الله ، إنى قد صنعت لك شُوَيهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشَّعير ، فأُحبُّ أن تَنْصرف معى إلى منزلى ، وإنما أُريد أن يَنْصَرف معى رسول الله ﷺ وحدَه ، قال : فلما أن قلت له ذلك ؛ قال : نعم ، ثم أمر صارخا فصرَخ : أن انصرفوا مع رسولِ الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله ؛ قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فأقبل رسول الله ﷺ ، وأقبل الناس معه ؛ قال : فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرك وسمَّى الله ، ثم أكل ، وتوارَدها الناس ، كلما فرغ قومٌ قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهلُ الخندق عنها .

• ما أرى الله رسوله من الفتح :

قال ابن إسحاق : وحُدِّثت عن سَلْمان الفارسىّ ، أنه قال : ضربت فى ناحية من الخندق ، فغَلُظت علىّ صخرةٌ ، ورسولُ الله ﷺ قريب منى ؛ فلما رآنى أضرب ورأى شدّة المكان علىَّ ، نزل فأخذ المِعْول[1] من يدى ، فضرب به ضربةً لَمعَت تحت المِعْول برقةٌ ؛ قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلَمعت تحته برقة أخرى ؛ قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلَمعت تحته برقة أخرى . قال : قلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! ما هذا الذى رأيت لَمع تحت المِعول وأنت تضرب ؟ قال : أوَقد رأيت ذلك يا سَلْمان ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : أما الأولى فإنّ اللّهَ فَتَحَ علىَّ بها اليمن ؛ وأما الثانية فإنّ الله فتَح علىَّ بها الشام والمغرب ؛ وأما الثالثة فإن الله فتح علىّ بها المشرق .

• نـزول قريـش المدينـة :

قال ابن إسحاق : ولمَّا فرغ رسولُ الله ﷺ من الخندق ، أقْبلت قريش

---

(١) المِعْول : الحديدة يُنْقَرُ بها الجبال . (ترتيب القاموس ص ٣٤٨ ج ٣) .

حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رُومة ، بين الجُرُف وزُغابة[1] فى عشرة آلاف من أحابيشهم ، ومَنْ تَبِعهم من بَنى كِنانة وأهلِ تِهامة ، وأقبلَت غَطَفان ومَن تَبِعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذنَب نَقْمَى ، إلى جانب أُحد . وخرج رسول الله ﷺ والمُسلمون ، حتى جعلوا ظُهورهم إلى سَلْع[2] ، فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عَسْكَره ، والخَنْدق بينه وبين القوم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم .

وقال ابن إسحاق : وأمر بالذَّرارى والنساء فجُعلوا فى الآطام[3] .

• كعب بن أسد ينقض عهده مع الرسول :

وخرج عدوّ الله حُيَىُّ بن أخْطب النَّضَرىّ ، حتى أتى كَعْب بن أسد القُرَظى ، صاحب عَقْد بنى قُريظة وعَهْدهم ، وكان قد وادَع رسولَ الله ﷺ على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ؛ فلما سمع كَعْب بحُيَىّ بن أخْطب أغْلق دونه باب حِصْنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيَىّ : ويحك يا كعب ! افتح لى ؛ قال : ويحك يا حُيَىّ : إنك امرؤ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمدًا ، فلستُ بناقضٍ ما بينى وبينه ، ولم أرَ منه إلا وفاء وصِدْقا ؛ قال : ويحك افتح لى أكلمْك ؛ قال : ما أنا بفاعل ؛ قال : والله إن أغلقت دونى إلا عن جشيشتك[4] أن آكل معك منها ؛ فأَحْفَظَ[5] الرجلَ ، ففتح له ؛ فقال : ويحك يا كعْب ؛ جئتك بعزّ الدهر وببَحْر طام[6] ، جئتك بقُريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمُجتمع الأسيال من رومة ؛ وبغَطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَبَ نَقْمى إلى جانب أُحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على أن لا يبْرحوا حتى نَستأصل محمدًا ومن معه . قال : فقال له كعب : جئتنى

---

(١) زُغابَةُ : بضم الزاى ، موضع قُرْبَ المدينة . (ترتيب القاموس ص ٤٥٥ ح ٢) .

(٢) سلْع : جبل بالمدينة . (ترتيب القاموس ص ٥٩٥ ح ٢) .

(٣) الآطام : الحصون ؛ الواحد : أطم (ترتيب القاموس ص ١٥٧ ح ١) .

(٤) الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش ، وهو البر يطحن غليظا ، وهو الذى تقول له العامة « دشيش » بالدال . (لسان العرب ص ٢٧٣ ح ٦) .

(٥) أحفظه : أغضبه . (لسان العرب ص ٤٤٢ ح ٧) طبعة دار صادر .

(٦) آطام : مرتفع ؛ ويريد كثرة الرجال . (ترتيب القاموس ص ١٥٧ ج ١) .

والله بذُلّ الدهر ، وبجهام[1] قد هَرَاق ماءَه ، فهو يَرْعد ويبرق ، ليس فيه شيء ، ويحك يا حُيَيّ ! فدعْنى وما أنا عليه ، فإنى لم أرَ من محمد إلا صدقا ووفاء . فلم يزل حُيَيّ بكعب ، بِفَتْله فى الذروة والغارب حتى سَمح له ، على أن أعْطاه عهدًا من الله وميثاقا : لئن رجعتْ قريش وغَطفان ، ولم يُصيبوا محمدًا أن أدخل مَعك فى حصنك حتى يُصيبنى مَا أصابك . فنقض كَعبُ بن أسد عَهْده ، وبَرِىء مما كان بينه وبين رسولِ الله ﷺ .

● تحرى الرسول عن نقض كعب للعهد :

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين ، بعث رسولُ الله ﷺ سعدَ بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيِّد الأوس ، وسعدَ بن عُبادة بن دُلَيم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيِّد الخزرج ومعهما عبدُ الله بن رَواحة ، أخو بنى الحارث ابن الخزرج ، وخَوَّات بن جُبير ، أخو بنى عمرو بن عوف ؛ فقال : انطلقوا حتى تنظروا ، أحقّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فان كان حقًّا فالحنوا لى لحنا[2] أعرفه ، ولا تَفُتُّوا[3] فى أعْضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهرُوا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخْبث ما بلغهم عنهم ، فيما نالوا من رسول الله ﷺ ، وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدَّة ؛ فقال له سعدُ بن عبادة : دع عنْك مُشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أرْبى[4] من المشاتمة . ثم أقبل سَعْدٌ وسعدٌ ومن معهما ، إلى رسول الله ﷺ ، فسلَّموا عليه ، ثم قالوا : عَضَلٌ والقارة ؛ أى كغدر عَضَل والقارة[5] بأصْحاب الرجيع ، خُبَيب وأصحابه ؛ فقال رسولُ الله ﷺ : الله أكبر ، أبشْروا يا معشر المسلمين .

---

(١) الجهام : السحاب الرقيق الذى لا ماء فيه . (ترتيب القاموس ص ٥٤٩ ح ١) .

(٢) اللحن . اللغز : وهو أن يقول له قولاً يبهمه عنه ويخفى على غيره لأنه يُميله بالتورية عن الواضح المفهوم . (لسان العرب ص ٣٧٩ ح ١٣) .

(٣) تَفتُّوا : فتَّ فى عضده أى أضعفه وأوهنه . (لسان العرب ص ٦٥ ح ٢) .

(٤) أربى : أعظم . (ترتيب القاموس ص ٢٩٧ ح ٢) .

(٥) القارة : قوم رماة من العرب وهم عضل والديش وسموا بذلك لاجتماعهم والتفافهم لما أراد ابن الشدّاخ أن يفرقهم فى بنى كنانة . (لسان العرب ص ١٢٣ ج ٥) .

● ما عم المسلمين من الخوف وظهور نفاق المنافقين :

(قال) : وعظم عند ذلك البلاء ، واشتدّ الخوف ، وأتاهم عدوّهم من فَوقهم ومن أسفلَ منهم ، حتى ظنّ المؤمنون كلّ ظَنّ ، وَنَجم النِّفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعَتِّب بن قُشير ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يَعِدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحَدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط .

● رأى ابن هشام فى نفاق معتب :

قال ابن هشام : وأخبرنى من أثق به من أهل العلم : أن مُعتِّب بن قُشير لم يكن من المنافقين ، واحتجّ بأنه كان من أهل بدر .

● قال ابن إسحاق : وحتى قال أوس بن قَيْظِىّ ، أحد بنى حارثة بن الحارث : يا رسول الله ، إن بيوتنا عَوْرة من العدوّ ، وذلك عن ملأ من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج فَنرجع إلى دارنا ، فانها خارج من المدينة . فأقام رسول الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة ، قريبا من شَهْر ، لم تكن بينهم حرب إلا الرميا بالحبل والحِصار .

● هم الرسول بعقد الصلح بينه وبين غطفان ثم عدل :

فلما اشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله ﷺ ، كما حدثنى عاصم ابن عمر بن قتادة ومن لا أتهم ، عن محمد بن مُسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى إلى عيينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المُرّى ، وهما قائدا غَطَفان ، فأعطاهما ثُلثِ ثمار المدينة على أن يَرْجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كَتبوا الكِتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصُّلح ، إلا المُراوضة فى ذلك . فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ، بعث إلى سَعد بن مُعاذ وسعد بن عُبادة ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله ، أمرًا نُحبه فنَصنعه ، أم شيئا أمرك الله به ، لا بد لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال : بل شىء

أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العَرب قد رَمتْكم عن قَوْس واحدة ، وكالبوكم[١] من كلّ جانب فأردت أن أكْسِر عنكم من شَوْكتهم إلى أمرٍ مّا ؛ فقال له سَعْد بن معاذ يا رسول الله ، قد كنَّا نحن وهؤلاء القوم على الشِّرك بالله وعبادة الأوثان ، أفحين نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يَطْمعُون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرًى[٢] أو بيعا ؛ أكْرمنا الله بالإسلام وهدَانا له وأعزّنا بك وبه ، نُعْطِيهم أمْوالنا ! والله ، ما لنا بهذا مِن حاجة ، والله لا نُعْطيهم إلا السَّيف حتى يَحْكم الله بيننا وبينهم ؛ قال رسول الله ﷺ : فأنت وذاك . فتناول سعد بن مُعاذ الصَّحيفة ، فمحا ما فيها من الكِتاب ، ثم قال : ليَجْهدوا علينا .

عبور نفر من المشركين الخندق :

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله ﷺ والمسلمون ، وعدوّهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قِتال ، إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو ابن عَبْد وُدّ بن أبى قَيس ، أخو بنى عامر بن لُؤَىّ .

● وعِكْرمة بن أبى جهل ، وهُبيرة بن أبى وهب المخزوميّان ، وضِرار بن الخطَّاب الشاعر بن مرداس ، أخو بنى محارب بن فِهر ، تلبَّسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيْلهم ، حتى مرّوا بمنازل بنى كِنانة ، فقالوا : تهيَّئوا يا بنى كنانة للحرب ، فستَعلمون مَنِ الفُرسان اليوم . ثم أقْبلوا تُعْنِق[٣] بهم خيلُهم ، حتى وقفوا على الخَندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمَكيدة ما كانت العربُ تكِيدها .

سلمان الفارسى يُشير بحفر الخندق :

قال ابن هشام : يقال : إن سَلمان الفارسى أشار به على رسول الله ﷺ .

---

(١) كالبوكم : اشتدوا عليكم . (لسان العرب ص ٧٢٤ ج ١) .
(٢) القرى : الطعام الذى يصنع للضيف . قِرى أى ضيافة . (ترتيب القاموس ص ٦١٢ ج ٣) .
(٣) تُعْنِق : تسرع ، العنقُ : ضرب من سير الدابة والإبل . (لسان العرب ص ٢٧٤ ج ١٠) .

وحدثنى بعض أهل العلم : أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سَلمان منَّا ؛ وقالت الأنصار : سلمان منَّا ؛ فقال رسول الله ﷺ : سلمان منا أهل البيْت .

قال ابن إسحاق : ثم تيمَّموا[1] مكانا ضيِّقا من الخنْدق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت[2] بهم فى السَّبخة[3] بين الخندق وسَلْع ، وخرج علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثَّغرة[4] التى أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفُرسان تُعْنِق نحوَهم ، وكان عمرو بن عَبْدِ وُدّ قد قاتل يوم بدر حتى أثْبتته الجراحة ، فلم يَشْهد يوم أُحد ؛ فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلما[5] ليُرى مكانُه . فلما وقف هو وخَيْلُهُ ، قال : من يبارز ؟ فبرز له علىّ بن أبى طالب فقال له : يا عمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قُريش إلى إحدى خَلَّتين إلا أخذتَها منه ، قال له : أجَل ؛ قال له علىّ : فانى أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ؛ قال : لا حاجة لى بذلك ؛ قال : فانى أدعوك إلى النِّزال ؛ فقال له : لِمَ يا بن أخى ؟ فو الله ما أحبّ أن أقتلك ، قال له علىّ : لكنى والله أحبّ أن أقتلك ؛ فحَمِى[6] عمرو عند ذلك ، فاقتحَم عن فرسه ، فعَقره ، وضَرب وجهه ، ثم أقبل على علىّ ، فتنازلا وتجاولا[7] ، فقتله علىّ رضى الله عنه . وخرجت خيلهم مُنهزمة ، حتى اقتحمت من الخَندق هاربةً .

قال ابن إسحاق : وألقى عِكْرِمة بن أبى جهل رُمْحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو .

---

(١) تيمموا : قصدوا . (ترتيب القاموس ص ٦٨١ ج ٤) .
(٢) فجالت : فطافت بهم (لسان العرب ص ١٣١ ح ١١) .
(٣) السَّبَخة : أرض ذات ملح ونز . أى الأرض المالحة . (لسان العرب ص ٢٤ ح ٣) .
(٤) الثُّغرة : الثُّلم الذى كان هناك فى الخندق . (لسان العرب ص ١٠٣ ج ٤) .
(٥) المُعْلم : الذى جعل له علامة يعرف بها . (سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٢٥) .
(٦) حمى : اشتد غضبه . (ترتيب القاموس ص ٧١٩ ح ١) .
(٧) تجاولوا فى الحرب : طاف بعضهم على بعض . (لسان العرب ص ١٣١ ح ١١) .

• شعـار المسلميـن يـوم الخنـدق :

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبنى قريظة حمَ ، لا يُنْصرون .

• شـأن سعـد بـن معـاذ :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو ليلى عبد الله بن سَهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصارى ، أخو بنى حارثة : أن عائشة أمّ المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحْرز[1] حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن مُعاذ معها فى الحصن ؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يُضرب علينا الحجاب : فمرّ سعد وعليه درع له مُقلَّصة[2] ، قد خرجت منها ذراعه كلُّها ، وفى يده حربته يركض[3] بها ويقول لَبِّث قليلا يَشْهَدِ الهَيْجا جَمَل[4] لا بأس بالمَوت إذا حانَ الأجَل (قال) فقالت له أمه : الحقّ : أى ابنى ، فقد والله أخَّرت ؛ قالت عائشة : فقلت لها يا أمّ سعد ، والله لودِدت أن دِرْع سعد كانت أسبغ[5] مما هى ؛ قالت : خفت وخِفتِ عليه حيث أصاب السَّهمُ منه ، فرُمِى سعدُ بنُ معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل[6] ، رماه كما حدثنى عاصم بن عمر ابن قتادة ، حِبَّان بن قَيْس بن العرقة ، أحد بنى عامر بن لُؤَىّ ، فلما أصابه ، قال : خُذْها منى وأنا ابن العرقة[7] ؛ فقال له سعد : عرَّق الله وجهك فى النار ، اللهمّ إن كنتَ أبقيتَ من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، فإنه لا قوم أحبّ

---

(١) أحْرز : أحصن . (لسان العرب ص ٣٣٣ ح ٥) .

(٢) مُقَلَّصة : مجتمعة منضمة . (لسان العرب ص ٨٠ ح ٧) .

(٣) يركض : يسرع . (لسان العرب ص ١٨٣ ح ٣) .

(٤) جَمَل : اسم رجل .
قال السهيلى : « هو بيت تمثل به ، يعنى به حمل بن سعدانة بن الحارث بن معقل بن كعب ابن عليم بن جناب الكلبى » . (سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٦) .

(٥) أسبغ : أكمل وأطول . (لسان العرب ص ٤٣٣ ج ٨) .

(٦) الأكحل : عرق فى وسط الذراع يكثر فصده . (لسان العرب ص ٥٨٦ ج ١١) .

(٧) العرقة : هى قلابة بنت سعد بن سعد بن سهم ، وتكنى أم فاطمة ، وسميت العرقة لطيب ريحها وهى جدة خديجة أم أمها هالة . (راجع الروض الأنف) .

إلىّ أن أجاهدهم من قوم آذَوْا رسولك وكذّبوه وأخرجوه ، اللهمّ وإن كنت قد وضعت الحربَ بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولا تُمِتنى حتى تُقرّ عينى من بنى قُريظة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعدًا يومئذ إلا أبو أسامة الجُشَمى ، حليف بنى مخزوم .

قال ابن هشام : ويقال : إن الذى رَمى سعدًا خَفاجة بن عاصم بن حِبَّان .

• شجاعة صفية بنت عبد المطلب :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عباد قال : كانت صفيَّة بنت عبد المطَّلب فى فارِع ، حِصْن حسَّان بن ثابت ؛ قالت : وكان حسَّان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصّبيان . قالت صفيَّة ؛ فمرّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يُطِيفُ بالحِصْن ، وقد حاربتْ بنو قُريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسولِ الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحد يَدْفع عنا ، ورسولُ الله ﷺ والمسلمون فى نحور عدوّهم ، لا يستطيعون أن يَنْصرفُوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ . قالت : فقلت : يا حسَّان ، إن هذا اليهودىّ كما ترى يُطِيفُ بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يَدُلّ على عَوْرتنا مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شغِل عنَّا رسولُ الله ﷺ وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله ؛ قال : يَغْفِر الله لك يا ابنة عبد المطَّلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا : قالت : فلما قال لى ذلك ، ولم أر عنده شيئا ، احتجزت[1] ثم أخذت عَمودا ، ثم نزلت من الحِصْنِ إليه ، فضربتُه بالعَمود حتى قتلته . قالت : فلما فرغت منه ، رجعتُ إلى الحِصْن ؛ فقلت : يا حسَّان ، انزل إليه فاسلبه ، فانه لم يَمْنعنى من

---

(١) احتجرت : شددت وسطى . قال أبو در . « ومن رواه : اعتحرت ، فمعناه : شددت معجرى » .

سلبِهِ إلا أنه رَجل ؛ قال : مالى بسَلَبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب[1] .

• شأن نعيم فى تخذيل المشركين عن المسلمين :

قال ابن إسحاق : وأقام رسولُ الله ﷺ وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشدّة ، لتظاهر عدوّهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فَوْقهم ومن أسفل منهم .

ثم إن نُعيم بن مَسْعود بن عامر بن أُنَيف بن ثعلبة بن قُنْفد بن هِلال بن خَلاوة بن أشْجع بن رَيْث بن غَطفان ، أتى رسولَ الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إنى قد أسلمتُ ، وإن قومى لم يعلموا باسلامى ، فمرْنى بما شِئْت ؛ فقال رسول الله ﷺ : إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ ، فخَذّل عنا[2] إن استطعت ، فان الحَرب خُدعة . فخرج نُعيم بن مسعود حتى أتى بنى قُريظة ، وكان لهم نديما فى الجاهليَّة ، فقال : يا بنى قُريظة ، قد عَرفتم ودّى إياكم ، وخاصَّة ما بينى وبينكم ؛ قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتَّهم ؛ فقال لهم : إنّ قريشا وغَطَفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تَحوّلوا منه إلى غيره ، وإنّ قريشا وغَطفان قد جاءوا لحرب محمَّد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدُهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فان رأوا نُهزة[3] أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقُوا ببلادهم

---

(١) قال السهيلى . « ومحمل هذا الحديث عند الناس على أن حسان كان جبانا شديد الجبن . وقد دفع هذا بعض العلماء وأنكره ، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ؛ وقال : لو صح هذا لهجى به حسان ، فإنه كان يهاجى الشعراء كضرار وابن الزبعرى وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجبن ، ولا وسمه به ، فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلعل حسان أن يكون معتلا فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال ، وهذا أولى ما تأول عليه . وممن أنكر أن يكون هذا صحيحا أبو عمر رحمه الله فى كتاب الدرر له : قلت ويقوى ذلك كله أن رسول الله عليه السلام ، كان ينصب له منبرا بالمسجد ويقول : قل وروح القدس يؤيدك . وما يقال ذلك لجبان .

وعقب على هذا الحديث أبو ذر أيضا بما لا يخرج عما ذكره السهيلى .

وقال الزرقانى بعد ما ساق رأى أبى عمر فى الدرر ، واستبعاده هذا على حسان : « وإنما كان أولى ، لأن ابن إسحاق لم ينفرد به ، بل جاء بسند متصل حسن كما علم ، فاعتضد حديثه . وقد قال ابن السراج : سكوت الشعراء عن تعييره بذلك من أعلام النبوة ، لأنه شاعره ﷺ » .

(٢) خذّل عنا : أدخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا . (لسان العرب ص ٢٠٢ ج ١١) .

(٣) النُّهْزَةُ : الفرصة تجدها من صاحبك (لسان العرب ص ٤٢١ ج ٥) .

وخلَّوْا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خَلا بكم ، فلا تُقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُنا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقه لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه(١) ؛ فقالوا له : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قُريشا ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عَرفتم ودّى لكم وفِراقى محمدًا ، وإنه قد بَلغنى أمرٌ قد رأيت علىَّ حقًّا أن أبلغكموه ، نُصْحا لكم ، فاكتموا عَنى ؛ فقالوا : نَفعَل ؛ قال : تعْلمونَ أن معشر يهود قد نَدِموا على ما صَنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه إنا قد نَدِمنا على ما فَعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القَبيلتين ، من قُريش وغطفان رجالا مِن أشْرافهم فنُعطيكَهم ، فتضربَ أعناقهم ثم نكون معك على من بَقِى منهم حتى نَسْتأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فان بعثتْ إليكم يهودُ يلتمسون منكم رُهُنا من رجالِكم فلا تَدْفعوا إليهم مِنْكم رجلا واحدًا .

ثم خرج حتى أتى غَطفان ، فقال : يا معشر غَطفان ، إنكم أصْلِى وعَشيرتى وأحبّ الناس إلىّ ، ولا أُراكم تتَّهمونى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتَّهم قال : فاكتموا عنى ؛ قالوا : نفعل ، فما أمرك ؟ ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذّرهم ما حذّرهم .

فلما كانت ليلة السَّبت من شوّال سنة خمس ، وكان من صُنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حَرْب ورؤوس غَطفان إلى بنى قريظة عِكْرِمة بن أبى جهل ، فى نَفر من قُريش وغَطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هَلك الخفّ والحافر(٢) ، فاغدُوا للقِتال حتى نُناجز محمدا ، ونَفرغ مما بيننا وبينه ؛ فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، وقد كان أحدَث فيه بعضُنا حدَثا ، فأصابه ما لم يخَف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نُقاتل معكم محمدا حتى تُعطونا رُهْنا من رجالكم ، يكونون بأيدينا

(١) تناجزوه تناروه وتقاتلوه . (لسان العرب ص ٤١٤ ح ٥)
(٢) يريد « بالخف » الإبل ، و « بالحافر » : الخيل .

ثقة لنا حتى نناجز محمدا ، فانا نخشى إن ضَرّستكم(١) الحرب ، واشتدّ عليكم القتال أن تنشمروا(٢) ، إلى بلادكم وتَتْركونا ، والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه ، فلما رجعت إليهم الرسُل بما قالت بنو قريظة ، قالتْ قريش وغَطفان : والله إن الذى حدّثكم نُعيم بن مسعود لحقّ ، فأرسِلوا إلى بنى قُريظة : إنا والله لا نَدفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فان كنتم تُريدون القتال فاخرُجوا فَقاتلوا ؛ فقالت بنو قُريظة ، حين انتهت الرسلُ إليهم بهذا : إن الذى ذكر لنا نُعيم بن مَسْعود لحَقٌ ، ما يريد القوم إلا أن يُقاتلوا ، فان رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غيرَ ذلك إنشمروا إلى بلادهم . وخلّوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم ، فأرسِلوا إلى قريش وغَطفان : إنا والله لا نُقاتل معكم محمدا حتى تُعْطونا رُهْنا ؛ فأبوا عليهم وخذَّل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الرّيح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تَكْفأ قدورَهم(٣) ، وتطرح أبنيتهم .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم ، وما فرّق الله من جماعتهم ، دعا حُذيفة بن اليَمان ، فبَعثه إليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القَرظىّ ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحُذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرأيتم رسول الله ﷺ وصحِبتموه ؟ قال : نعم ، يا بن أخى ؛ قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد ؛ قال : فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ولحمَلناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يابن أخى ، والله لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ، وصلى رسولُ الله ﷺ هُوِيًّا (٤) من الليْل ، ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رَجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله ﷺ الرّجعة ـ أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة ؟ فما قام رجُل من القوم ، من شدّة الخوف ، وشدّة الجوع ، وشدّة البرد ؛ فلما لم يقم أحد ، دعانى رسول الله ﷺ ، فلم يكن لى بدّ من القيام حين دَعانى ، فقال : يا حُذيفة ، اذهب فادخُل فى القوم ، فانظُر ماذا يصنعون ، ولا تُحْدِثَنَّ

---

(١) صرستكم الحرب . جَرَّبَتكم وأحكمتكم . (لسان العرب ص ١١٩ ح ٦) .
(٢) أن تنشمروا : أن تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم . (لسان العرب ص ٤٢٨ ج ٤) .
(٣) تكفأ قدورهم : تميلها وتقلبها . (السيرة ج ٢ ص ٢٣١) .
(٤) هُوِيًّا من الليل : الساعة الممتدة من الليل . (لسان العرب ص ٣٧٢ ح ١٥) .

شيئا حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت فى القوم والرّيح وجُنوْد الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقرّ لهم قدْرا ولا نارا ولابناء . فقام أبو سفيان ، فقال : يا معشر قريش : لينظر امرؤ مَنْ جَليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان[1] .

- **مُناداة أبى سفيان فى قريش بالرحيل :**

ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصْبحَتم بدار مُقام ، لقد هَلك الكُراع[2] والخف ، وأخْلَفتنا بنُو قريظة ، وبلِغنا عنهم الذى نَكره ، ولَقينا من شدّة الريح ما تَرَوْن ، ما تطمئنّ لنا قِدْر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مرتحل ؛ ثم قام إلى جَمله وهو مِعْقول ، فجَلَس عليه ، ثم ضَربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أُطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عَهْد رسول الله ﷺ إلىّ « أن لا تُحدث شيئا حتى تأتينى » ثم شئت ، لقتلته بسهم .

قال حُذيفة : فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلى فى كساء المرط[3] لبعض نسائه ، مراجل .

قال ابن هشام : المراجل : ضرب من وشى اليمن .

فلما رآنى أدخلنى إلى رِجليه ، وطَرح علىّ طَرَف المرْط ، ثم ركع وسجَد ، وإنى لفيه ، فلما سلّم أخبرته الخبر ، وسمعتْ غَطفان بما فعَلت قُريش ، فانشمروا[4] راجعين إلى بلادهم .

قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسولُ الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح .

---

(١) فى شرح المواهب : « فضربت بيدى على يد الذى عن يمينى ، فأخذت بيده ، فقلت : من أنت ؟ قال : معاوية ابن أبى سفيان ؛ ثم ضربت بيدى على يد الذى عن شمالى ، فقلت : من أنت ؟ قال : عمرو بن العاص »

(٢) الكراع الخيل . (لسان العرب ص ٣٠٦ ح ٨) .
الخفّ : البعير . (القاموس المحيط ص ١٣٩ ح ٣) .

(٣) المرْطُ : الكساء من خزّ أو صوف أو كتان . (لسان العرب ص ٤٠١ ح ٧) .

(٤) انشمروا : انْشَمَرَ للأمر · تهيأ له . (لسان العرب ص ٤٢٨ ح ٤) .

غزوة بنى قريظة
فى سنة خمس

أمر الله لرسوله على لسان جبريل بحرب بنى قريظة :

فلما كانت الظُّهر ، أتى جبريل رسولَ الله ﷺ ، كما حدثنى الزهرى ، معتجرًا[1] بعمامة من استبرق[2] ، على بَغلْة عليها رِحالة[3] ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوَقد وضعتَ السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ فقال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القَوم ، إن الله عزّ وجلّ يأمرك يا محمد بالمَسيرِ إلى بنى قُريظة ، فانى عامدٌ إليهم فمزلزل بهم .

دعوة الرسول المسلمين للقتال :

فأمر رسول الله ﷺ مؤذّنا ، فأذّن فى الناس من كان سامعا مُطيعا ، فلا يصلينَ العصرَ إلا ببنى قُريظة .

واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

● قال ابن إسحاق : وقَدّم رسولُ الله ﷺ علىّ بن أبى طالب برايته إلى بنى قُريظة ، وابتدرها الناسُ . فسار علىّ بن أبى طالب ، حتى إذا دنا من الحُصون سمع منها مقا لةً قبيحةً لرسول الله ﷺ ، فرجع حتى لقى رسولَ الله ﷺ بالطريق ، فقال : يا رسول الله ، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث ؛ قال : لِمَ ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم يا رسول الله ؛ قال : لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا . فلما دنا رسول الله ﷺ من حُصونهم . قال :

---

(١) الإعْتِجارُ : لَفُّ العمامة دون التَّلَحّى . وهو أن يلف العمامة على رأسه ويردُّ طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئا تحت ذَقْنِه . (لسان العرب ص ٥٤٤ ج ٤) .

(٢) الإستبرق : الديباج الغليظُ ، فارسى معرّب . (لسان العرب ص ١٩ ح ١٠) .

(٣) الرِّحالة : هى أكبر من السَّرْج وتعش بالجلود وتكون للخيل والنجائب من الإبل .
(لسان العرب ص ٢٧٥ ح ١١)

يا إخوان القِرَدة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولا .

ومرَّ رسول الله ﷺ بنَفَر من أصحابه بالصَّوْرَيْن(1) قبل أن يصل إلى بنى قُريظة ، فقال : هل مَرَّ بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله ، قد مَرَّ بنا دِحْية ابن خَليفة الكلبى ، على بَغْلة بَيضاء عليها رِحالة ، عليها قَطيفة ديباج ، فقال رسولُ الله ﷺ : ذلك جِبْريل ، بُعث إلى بنى قُريظة يُزَلزل بهم حُصونهم ، ويقذفُ الرعبَ فى قلوبهم .

ولما أتى رسول الله ﷺ بنى قريظة : نزل على بئر من آبارها من ناحِية أموالهم ، يقال لها بئر أنا(2) .

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجالٌ منهم من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العَصر ، لقول رسول الله ﷺ : لا يصلينّ أحدٌ العصرَ إلا ببنى قُريظة ، فشغَلهم ما لم يكن منه بدّ فى حَرْبهم ، وأبَوا أن يصلُّوا ، لقول رسول الله ﷺ : حتى تأتوا بنى قريظة . فصلَّوْا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فما عابَهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عنَّفهم به رسولُ الله ﷺ(3) .
حدثنى بهذا الحديث أبى إسحاق بن يسار ، عن مَعبد بن كَعْب بن مالك الأنصارى .

وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين(4) ليلة ، حتى جَهدهم الحصار ، وقذفَ الله فى قُلوبهم الرعبَ .

وقد كان حُيَىّ بن أخْطب دخل مع بنى قريظة فى حصْنهم ، حين رجعت عنهم قُريش وغَطفان ، وفاءً لكَعْب بن أسد بما كان عاهده عليه . فلما أيقنوا بأن رسولَ الله ﷺ غير مُنصْرف عنهم حتى يُناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم :

---

(1) الصورين : موضع قرب المدينة . (عن معجم البلدان) .

(2) أنا (كهنا أو كحتى أو بكسر النون المشددة ؛ ويروى بموحدة بدل النون) : من آبار بنى قريظة . (راجع الروض وشرح المواهب ومعجم البلدان) .

(3) يؤخذ من هذا أنه لا يعاب من أحد بظاهر حديث أو آية ولا من استنبط من النص معنى يخصصه ، كما يؤخذ منه أن كل مجتهد فى الفروع مصيب . (راجع الروض وشرح المواهب) .

(4) وقيل : خمس عشرة ليلة ، وقيل بضع عشرة . (راجع الطبقات وشرح المواهب) .

يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا ، فخُذوا أيها شئتم قالوا : وما هى ؟ قال : نُتابع هذا الرجل ونصدّقه فوالله لقد تبَيَّن لكم أنه لنبى مُرْسَل ، وأنه للذى تَجِدونه فى كتابكم ، فَتأْمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارقُ حكمَ التَّوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره ؛ قال : فإذا أبيتم علىَّ هذه ، فهلمَّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مُصلتين السيوفَ ، لم نترك وراءَنا ثَقلا ، حتى يَحْكم الله بيننا وبين محمد ، فان نَهْلك نهلك ، ولم نترك وراءَنا نَسلا نخشى عليه ، وإن نَظهر فلعَمرى لنجدنَّ النساء والأبناء ؛ قالوا : نقتُل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فان أبيتم علىَّ هذه ، فان اللَّيلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلنَّا نُصيب من محمد وأصحابه غِرّة ؛ قالوا : نُفْسد سَبْتنا علينا ، ونُحدث فيه ما لم يحدث مَنْ كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخْف عليك من المَسخ[1] ! قال : ما باتَ رجل منكم منذ ولَدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما .

• أبــو لبابــة وتوبتــه :

ثم إنهم بعثوا إلى رسولِ الله ﷺ : أن ابعث إلينا أبا لبابة[2] بن عبد المُنذر ، أخا بنى عمرو بن عوف ، وكانوا حُلفاء الأوس ، لنَسْتشيره فى أمرنا ، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم ؛ فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجَهش[3] إليه النساء والصبيان يَبْكون فى وجهه ، فرقّ لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة ! أترى أن ننزل على حُكم محمد[4] ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حَلقه ، إنه الذبح[5] . قال أبو لُبابة : فو الله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفتُ أنى

---

(١) المسخ : هو تحويل الصورة البشرية إلى صورة أخرى أقبح . (القاموس ص ٢٧٩ ج ١) .

(٢) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصارى المدنى ؛ واختلف فى اسمه ، فقيل رفاعة ، وقيل : مبشر ، وقيل : بشير ، وهو أحد النقباء ، عاش إلى خلافة على . (راجع الاستيعاب والروض وشرح المواهب) .

(٣) جهش . بكى بصوت عال .

(٤) قال الزرقانى : « وذلك انهم لما حوصروا حتى أيقنوا بالهلكة ، انزلوا شأس بن قيس فكلمه ﷺ أن ينزلوا على ما نزل بنو النضير من ترك الأموال والحلقة والخروج بالنساء والذرارى وما حملت الإبل إلا الحلقة ، فأبى رسول الله ﷺ ، فقال : تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل ؛ فأبى ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه ؛ وعاد شأس إليهم بذلك » . (راجع شرح المواهب) .

(٥) كأن أبا لبابة فهم ذلك من عدم إجابة الرسول لهم بحقن دمائهم ، وعرف أن الرسول سيذبحهم إن نزلوا على حكمه ، وبهذا أشار لبنى قريظة (راجع شرح المواهب) .

قد خنتُ الله ورسوله ﷺ ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عُمده ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله علىّ مما صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بنى قريظة أبدا ، ولا أرى فى بلد خُنْت الله ورسوله فيه أبدا .

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى فى أبى لُبابة ، فيما قال سُفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن أبى قتادة : ﴿ **يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[1] .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسولَ الله ﷺ خبرُه ، وكان قد استبطأه ، قال : أما إنه لو جاءنى لاستغفرتُ له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذى أطلقُه من مكانه حتى يَتُوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيط : أنّ توبة أبى لُبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السَّحَر[2] ، وهو فى بيتِ أمّ سَلَمة . فقالت أمّ سَلَمَةَ : فسمعتُ رسولَ الله ﷺ من السَّحَر وهو يضحك . قالت : فقلت : ممّ تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنّك ؛ قال : تِيب على أبى لُبابة ؛ قالت : قلت : أفلا أبشّره يا رسول الله ؟ قال : بلى ، إن شئتِ . قال : فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحِجاب ، فقالت : يا أبا لُبابة ، أبْشِر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه ليُطلقوه فقال : لا والله حتى يكون رسولُ الله ﷺ هو الذى يُطلقنى بيده ؛ فلما مرّ عليه رسولُ الله ﷺ خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه .

• ما نزل فى التوبة على أبى لبابة :

قال ابن هشام : أقام أبو لُبابة مُرتبطا بالجذع ستَّ ليال ، تأتيه امرأته فى كل وَقْت صلاة ، فتحله للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجِذْع ، فيما حدثنى بعض أهل العلم والآية التى نزلت فى توبته قولُ الله عزّ وجلّ : ﴿ **وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا**

---

(١) سورة الأنفال : آية ٢٧

(٢) السَّحَر : قبيل الصبح . (القاموس ص ٤٦ ح ٢) .

بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحا وآخَرَ سَيِّئا عَسَى اللّهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِم إنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1] .

إسلام نفر من بنى هدل :

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بنَ سَعْية ، وأُسيد بن سَعْية ، وأسد بنى عُبيد ، وهم نفر من بنى هدْل ، ليسوا من بنى قُريظة ولا النَّضير ، نَسَبُهُم فوق ذلك ، هم بنو عمّ القوم ، أسلَموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قُريظة على حكم رسول الله ﷺ .

أمر عمرو بن سُعْدَى :

وخرج فى تلك اللَّيلة عَمْرو بن سُعْدَى القُرَظى ، فمرّ بحَرس رسولِ اللّهِ ﷺ ، وعليه محمد بن مَسْلمة تلك اللية ؛ فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سُعْدَى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قُريظة فى غدرهم برسول الله ﷺ ، وقال : لا أغدر بمحمد أبدا - فقال محمد بن مَسْلمة حين عرفه : اللهمّ لا تحرِمنى إقالة عَثرات الكِرام ، ثم خلَّى سبيله : فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذُكر لرسول الله ﷺ شأنه ؛ فقال : ذاك رجل نَجَّاه الله بوفَائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أُوثِق بِرُمَّةٍ[2] فيمن أُوثِقَ من بنى قُريظة ، حين نزلوا على حُكم رسول الله ﷺ ، فأصبحت رمَّته مُلْقاة ، ولا يُدرى أين ذهب ؛ فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة ، والله أعلم أىّ ذلك كان[3] .

• نزول بنى قريظة على حكم الرسول وتحكيم سعد :

قال فلما أصبحوا نزلوا على حُكم رسول الله ﷺ ، فتَواثبتِ الأَوْس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم كانوا موالينا دون الخَزرج ، وقد فعلتَ فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسولُ الله ﷺ قبل بنى قُريظة قد

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٢ .

(٢) الرمة الحبل البالى . (ترتيب القاموس ص ٣٩٤ ح ٢) .

(٣) قلت . لعل الأول أولى فما عدر الرجل وما طلمه المسلمون ، وبجّاه وفاؤه .

حاصَر بنى قَيْنُقاع ، وكانوا حُلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبدُ الله بن أُبَىّ بن سلول ، فوَهبهم له ـ فلما كلَّمته الأوس قال رسول الله ﷺ : ألا تَرْضون يا معشر الأوس أن يَحْكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال رسول الله ﷺ : فذاك إلى سعد بن مُعاذ . وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد ابنَ معاذ فى خَيْمة لامرأة من أسْلَم ، يُقال لها رُفَيدة ، فى مسجده ، كانت تُداوى الجَرّحَى ، وتحتسب بنفسها على خِدْمة مَنْ كانت به ضَيْعة من المُسلمين ، وكان رسولُ الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه فى خَيْمة رُفَيدة حتى أعُوده من قريب . فلما حكَّمه رسول الله ﷺ فى بنى قُريظة ، أتاه قومه فحَملوه على حمار قد وطَّئوا له بوسادة من أدَم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحْسنْ فى مواليك ، فان رسول الله ﷺ إنَّما ولاك ذلك لتُحسن إليهم ؛ فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسَعد أن لا تأخذه فى الله لَوْمةُ لائم . فرجع بعضُ من كان معه من قَوْمه إلى دار بنى عبد الأشْهل ، فنَعَى لهم رجال بنى قُريظة ، قبل أن يَصل إليهم سعد ، عن كلمته التى سمع منه . فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسولُ الله ﷺ : قوموا إلى سيِّدكم ـ فأما المُهاجرون من قَريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار ؛ وأما الأنصار ، فيقولون قد عمّ بها رسول الله ﷺ ـ فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسولَ الله ﷺ قد وَلاَّك أمرَ مواليك لتَحْكم فيهم ؛ فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أنَّ الحُكمَ فيهم لَمَا حَكَمْتُ ؟ قالوا : نعم : وعلى مَنْ ها هنا ؟ فى الناحية التى فيها رسولُ الله ﷺ ، وهو مُعرِض عن رسول الله ﷺ إجلالا له ؛ فقال رسولُ الله ﷺ : نعم ؛ قال سعد : فانى أحكم فيهم أن تُقتل الرجالُ ، وتُقسّم الأموال ، وتُسْبَى[1] الذرارى والنساء .

رضـاء الرسـول بحكـم سعـد :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن عمرو بن سَعْد بن مُعاذ ، عن عَلْقمة بن وقَّاص اللّيْثى ، قال : قال رسول الله ﷺ لسعد : لقد حكمتَ فيهم بحُكم الله من فوق سبعة أرْقعة[2] .

---

(١) الدرارى : الأولاد . (القاموس ص ٣٥ ح ٢) .

(٢) الأرقعة . السماوات ، الواحدة : رقيع . (لسان العرب ص ١٣٢ ج ٨) .

قال ابنُ هشام : حدثنى بعضُ من أثقُ به من أهل العلم : أن علىّ بن أبى طالب صاح وهم مُحاصرو بنى قُريظة : يا كَتيبة الإيمان ، وتقدّم هو والزُّبير بن العوّام ، وقال : والله لأذوقنّ ما ذاق حَمْزة أو لأَفْتَحَنّ حِصْنَهم ؛ فقالوا : يا محمد ننزل على حُكم سَعد بنِ مُعاذ .

مقتـل بنـى قريظـة :

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة فى دار بنت الحارث(١) ، امرأة من بنى النَّجَّار ، ثم خرج رسولُ الله ﷺ إلى سوق المدينة ، التى هى سوقها اليوم ، فخَنْدق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضَرب أعناقهم فى تلك الخنادق ، يُخرَج بهم إليه أرسالا(٢) ، وفيهم عدوّ الله حُيَىّ بن أخْطب ، وكَعْب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ستّ مائة أو سبع مائة ، والمُكْثِر لهم يقول : كانوا بين الثمان مائة والتسع مائة . وقد قالوا لكعب بن أسد ، وهم يُذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا : يا كَعْب ، ما تراه يُصنع بنا ؟ قال : أفى كلّ موطن لا تَعْقِلُون ؟ ألا ترون الداعى لا يَنْزِع ، وأنه من ذُهب به منكم لا يَرْجِع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ .

وأُتِىَ بحُيىّ بن أَخْطَبَ عدوّ الله ، وعليه حُلَّة له فقَّاحية(٣) ـ قال ابن هشام : فقَّاحية : ضرب من الوشى ـ قد شقَّها عليه من كل ناحية قدر أنملة(٤) لئلا يُسْلبها ، مجموعة يداه إلى عُنقه بحبل . فلما نَظر إلى رسول الله ﷺ ، قال : أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكنه من يَخْذل الله يُخْذل ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بَأْس بأمر الله ، كِتاب وقدر ومَلْحمة كَتَبها الله على بنى إسرائيل ، ثم جَلس فضُربتْ عنقه .

---

(١) قال السّهيلى : « واسمها كيسة بنت الحارث بن كوير بن حبيب بن عبد شمس وكانت تحت مسيلمة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز » .
وقال الزرقانى : « هى رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد ، زوجة معاذ بن الحارث بن رفاعة ، تكرر ذكرها فى السيرة . والواقدى يقول : رملة بنت الحدث (بفتح الدال المهملة) . وليست هى كيسة بنت الحارث

(٢) أرسالا : أى جماعة بعد جماعة . (لسان العرب ص ٢٨١ ج ١١) .

(٣) فقاحية : أى على لون الوردجين هَمَّ أن يتفتح (لسان العرب ص ٥٤٦ ج ٢) .

(٤) أنملة ـ الأنْمُلة : المفصل الأعلى الذى فيه الظفر من الإصبع . (لسان العرب ص ٦٧٩ ج ١١)

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عروة بن الزّبير ، عن عائشة أمّ المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندى تَحَدَّث معى ، وتَضحك ظَهْرًا وبَطْنا ، ورسولُ الله ﷺ يقتل رجالها في السُّوق ، إذ هتَف هاتفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله قالت : قلت لها : ويلك ؛ مالك ؟ قالت : أقتل ؛ قلت : ولم ؟ قالت : لحدثٍ أحدثته ؛ قالت : فانطلق بها ، فضُربت عنقها[1] ؛ فكانت عائشة تقول : فو الله ما أنسَى عَجَبا منها ، طيبَ نفسها ، وكثرة ضَحكها ، وقد عرفَتْ أنها تُقتل .

قال ابن هشام : وهى التى طرحت الرَّحا على خلاّد بن سُويد ، فقتلته .

قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قَيْس بن الشَّمّاس ، كما ذكر لى ابنُ شهاب الزُّهرى ، أتى الزُّبير بن باطا القُرظى ، وكان يُكنى أبا عبد الرحمن - وكان الزبير قد مَنَّ على ثابت بن قيْس بن شمَّاس فى الجاهلية . ذكر لى بعضُ ولد الزُبير أنه يوم بُعاث ، أخذه فجزّ ناصيتّه ، ثم خلَّى سبيله - فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفنى ؟ قال : وهل يَجْهل مثلى مثلَك ؛ قال : إنى قد أردت أن أجزيك بيدك عِندى ؛ قال : إن الكريم يَجزى الكريم ؛ ثم أتى ثابتُ بن قيس رسولَ الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله إنه قد كانت للزُبير علّى منَّة ، وقد أحببت أن أجزيه بها ، فهبْ لى دَمه ؛ فقال رسولُ الله ﷺ : هو لك ؛ فأتاه فقال : إن رسول الله ﷺ قد وهب لى دمَك ، فهو لك ؛ قال الزُبير : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابتٌ رسولَ الله ﷺ فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، هَبْ لى امرأته وولَده ؛ قال : هُمْ لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لى رسول الله ﷺ أهلَك وولدك ، فهم لك ؛ قال : أهلُ بيتٍ بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابتٌ رسول الله ﷺ ، ففال : يا رسول الله ، مالَه ؛ قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسول الله ﷺ مالَك ، فهو لك ؛ قال : أىْ ثابت ،

---

(١) قال أبو ذر : « هى امرأة الحسن القرظى » .

ما فعل الذى كأن وجْهه مرآة صِينيَّة يتراءى فيها عذارى الحىّ ، كعبُ بن أسد ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل سيِّد الحاضر والبادى حُيَىّ بن أخْطَب ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل مُقدّمتنا إذا شددنا ، وحاميتَنا إذا فَررنا ، عَزَّال بن سَمَوْءَلِ ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قُريظة وبنى عَمْرو ابن قريظة ؛ قال : ذهبوا قُتلوا ؟ قال : فانى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألْحَقْتنى بالقوم ، فو الله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فَتْلة دَلْو ناضح[1] حتى ألقى الأحبَّة . فقدّمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصدّيق قوله « ألقى الأحبَّة » . قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا (فيها) مخلَّدًا .

● قال ابن إسحاق : وحدَّثنى شُعبة بن الحجَّاج ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن عطية القرظى ، قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يُقتل من بنى قُريظة كل من أنبت[2] منهم ، وكنت غلاما ، فوَجدونى لم أُنبت ، فخلَّوا سبيلى . ثم قال : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صَعْصعة أخو بنى عدىّ بن النَّجار : أن سَلْمى بنت قيس ، أم المُنذر ، أخت سليط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ ، قد صلَّت معه القبلتين ، وبايعته بيعةَ النِّساء - سألته رفاعةَ بن سموءل القُرظى ، وكان رجلا قد بلغ ، فلاذَ[3] بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ؛ فقالت : يا نبىّ الله ، بأبى أنت وأمى ، هبْ لى رِفاعة ، فانه قد زعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل ؛ قال : فوهبه لها ، فاستَحيته .

---

(١) الحبل الذى يستخرج عليه الماء من البئر بالسانية . وأراد بقوله له : فتلة دلو ناضح ؛ مقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا أخرجت فيصبها فى الحوض ، يفتلها أو يردها إلى موضعه .
قال ابن هشام قبله دلو ناضح .
قال أبو ذر : « ومن رواه : قبلة ؛ بالقاف والباء ، فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ، ليصبها فى الحوض ثم يصرفها ، وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة .

(٢) أنبت منهم : أى وصل إلى مرحلة البلوغ . (القاموس المحيط ص ١٦٤ ح ١) .

(٣) لاذ بها . التجأ إليها (لسان العرب ص ٥٠٨ ح ٣) .

• قسم فيء بني قريظة :

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ قسَّم أموال بنى قُريظة ونساءَهم وأبناءَهم على المسلمين ، وأعلم فى ذلك اليوم سُهْمان الخيل وسُهْمان الرجال ، وأخرج منها الخُمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس سَهمان ولفارسه سهم ، وللراجل ، من ليس له فرس ، سهم . وكانت الخيل يوم بنى قُريظة ستا وثلاثين فرسا ، وكان أوّلَ فَيءٍ وقعت فيه السُّهمان ، وأُخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضىَ من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنَّة فى المغازى . ثم بعث رسول الله ﷺ سَعد بن زيد الأنصاريّ أخا بنى عبد الأشهل (ومعه) سبَايا من سبايا بنى قُريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا .

• شأن ريحانة :

وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم رَيْحانة بنت عمرو ابن خُنافة ، إحدى نساء بنى عمرو من قُريظة ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى تُوفّى عنها وهى فى ملْكه ، وقد كان رسول الله ﷺ عَرَض عليها أن يتزوّجها ، ويَضْرب عليها الحجاب ؛ فقالت : يا رسول الله ، بل تتركنى فى مِلْكك ، فهو أخفّ علىّ وعليك ، فتركها . وقد كانت حين سباها قد تعصّت[1] بالإسلام ، وأبت إلا اليهوديَّة ، فعزلها رسول الله ﷺ ، ووَجد فى نفسه لذلك من أمرها فبينا هو مع أصحابه ، إذ سمع وقْع نَعلين خَلْفه ؛ فقال : إن هذا لثعلبة ابن سَعْية يبشرنى باسلام رَيْحانة ؛ فجاءه فقال يا رسول الله ، قد أسْلمت ريحانة ، فسرّه ذلك من أمرها .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى فى أمر الخَنْدق ، وأمر بنى قُريظة من القرآن ، القِصّةَ فى سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البَلاء ، ونِعْمته عليهم ، وكِفايته إياهم حينَ فرّج ذلك عنهم ، بعد مقالة مَن قال من أهل النفاق :

---

(١) تعصت : أى رفصته شده .   (القاموس ص ٣١٩ ح ٢)

﴿ **يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحا وجُنُودًا لَمْ تَرَوْها ، وكانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** ﴾ . والجنود قريش وغَطفان وبنو قُريظة ، وكانت الجنود التى أرسلَ الله عليهم مع الريح الملائكةَ . يقول الله تعالى : ﴿ **إِذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَت الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ ، وتَظُنُّونَ باللَّهِ الظنونا** ﴾ . فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قُريظة ، والذين جاءوهم من أسفلَ منهم قُريش وغَطفان . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **هُنالِكَ ابْتُلِىَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا ، وَإِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وعَدَنَا اللَّهُ ورَسُولُهُ إلاَّ غُرُورا** ﴾ . يقول مُعَتِّب بن قُشير إذ يقول ما قال . ﴿ **وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ منْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فارجعُوا ويَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ ومَا هِىَ بعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إلاَّ فِرَارًا** ﴾ لقول أوس ابن قيظى وَمَنْ كان على رأيه من قومه « **وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها** »[1] .

● « **ثم سئلوا الفتنة** » : أى الرجوع إلى الشرك **لآتَوْها ومَا تَلَبَّثُوا بِها إلاَّ يَسِيرًا . وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبارَ ، وكانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولا** » ، فهم بنو حارثة ، وهم الذين همّوا أن يَفشلوا يوم أُحُد مع بنى سَلمة حينَ هَمتا بالفشل يوم أُحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدا ، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : ﴿ **قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ ، وَإِذًا لاتُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً . قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا ، أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ، وَلا يَجِدونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا . قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ** ﴾ : أى أهل النفاق « **والقائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا ، ولاَ يَأْتُونَ البَأْسَ إِلا قَلِيلاً** » : أى إلا دفعا وتعذيرًا[2] « **أَشِحةً عَلَيْكُمْ** » : أى للضِّغن[3] الذى فى أنفسهم « **فاذَا جاءَ الخَوْفُ رأَيْتَهُمْ**

---

(١) الأقطار : الجوانب والنواحى مفردها قُطْر . (لسان العرب ص ١٠٦ ح ٥) .

(٢) التعذير : التقصير والمُعَذِّرين الذين يعتذرون بلا عُذْر كأنهم المقصِّرون الذين لا عذر لهم . (لسان العرب ص ٥٤٦ ح ٤) .

(٣) الضّغن : الحقد والعداوة والبغضاء . (لسان العرب ص ٢٥٥ ح ٣) .

يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ، تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ » : أى إعظاما له وَفَرَقا منه « فاذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ[3] بألْسِنَة حِدَادٍ » . أى فى القول بما لا تحبون ، لأنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحملهم حِسْبة[4] ، فهم يهابون الموتَ هَيْبَةَ من لا يرجو ما بعده .

« **يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا** » قُريش وغَطفان « **وإنْ يَأْتِ الأحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أنَّهُمْ بادُونَ فِى الأعْرَابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أنْبائِكُمْ وَلَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إلاَّ قَلِيلاً** » .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : « **لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللّهِ أُسْوةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللّهَ واليَوْمَ الآخِرَ** » : أى لئلا يَرْغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكانٍ هُو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وَعدهُمُ الله من البلاء يختبرهم به ، فقال : « **وَلما رأى المُؤْمنُونَ الأحْزَابَ قالُوا هَذَا ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَقَ اللّهُ وَرَسُولُهُ ، وَما زَادَهُمْ إلاَّ إيمَانا وَتَسْلِيماً** » : أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء ، وتصديقا للحقّ ، لما كان الله تعالى وَعدهم ورسوله ﷺ ثم قال : « **مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهم مَنْ قَضَى نَحْبَهُ** » : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بَدْر ويوم أُحُد .

● قال ابن إسحاق : « **وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ** » : أى ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه . يقول الله تعالى : « **وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا** » : أى ماشكوا وما تردَّدوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره . « **لِيَجْزِىَ اللّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ، وَيُعَذِّبَ المُنافِقِينَ إنْ شاءَ ، أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إنَّ اللّهَ كانَ غَفُورًا رَحِيما . وَرَدَّ اللّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بغَيْظِهِمْ** » : أى قريشا وغَطَفان

---

(١) سَلَقُوكُمْ : أى بالَغُوا فيكم بالكلام وخاصموكم فى العيمة أشدَّ مخاصمةٍ وأبلغها .(لسان العرب ص ١٦٠ ح ١٠) .

(٢) الحسبة : طلب الأجر . (لسان العرب ص ٣١٤ ج ١) .

« **لَمْ يَنالُوا خَيْرًا ، وكَفَى اللّهُ المُؤْمِنِينَ القِتالَ وكانَ اللّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا . وأَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ** » : أى بنى قُريظة « من صَياصِيهِمْ » ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

● قال ابن إسحاق : « **وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقا تَقْتُلُونَ وتَأْسِرُونَ فَرِيقا** » : أى قتل الرجال ، وسبى الذَّرارى والنساء ، « **وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُم وَدِيارَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ وأَرْضًا لَمْ تَطَئُوها** » : يعنى خَيْبَر « **وكانَ اللّهُ عَلَى كُل شَىْءٍ قَدِيرًا** »[1] .

وفاة سعد بن معاذ وما ظهر مع ذلك :

قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قُريظة انفجَر بسعد بن مُعاذ جُرحه ، فمات منه شهيدًا .

قال ابن إسحاق : حدثنى مُعاذ بن رفاعة الزُّرَقى ، قال : حدثنى مَنْ شئت من رجال قومى : أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله ﷺ حين قُبض سعد بن مُعاذ من جوف الليل معتجرًا بعمامة من استبرق ، فقال : يا محمد ؛ من هذا المَيِّت الذى فُتحت له أبوابُ السماء ، واهتزّ له[2] العرش ؟ قال : فقام رسولُ الله ﷺ سريعا يجرّ ثَوبه إلى سَعد ، فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لاأتهم عن الحسن البَصْرى ، قال : كان سعد رجلا بادِنا ، فلما حمله الناس وجَدوا له خفَّة ، فقال رجالٌ من المسلمين :

---

(١) راجع تفسير الطبرى والقرطبى والفخر الرازى فى تفسير سورة الأحزاب من آية ٩ لغاية آخر آية ٢٧ .

(٢) قال السهيلى عند الكلام على اهتزاز العرش : « وقد تكلم الناس فى معناه وظنوا أنه مشكل . وقال بعضهم : الاهتزاز (هاهنا) : بمعنى الاستبشار بقدوم روحه . وقال بعضهم : يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعادا منهم لأن يهتز العرش على الحقيقة . ولا بعد فيه ، لأنه مخلوق ، ويجوز عليه الحركة والهزة ، ولا يعدل عن ظاهر (اللفظ) ما وجد إليه سبيل . وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح . قال أبو عمر : هو ثابت من طرق متواترة وما روى من قول البراء بن عازب فى معناه : أن سرير سعد اهتز ، لم يلتفت إليه العلماء ، وقالوا : كانت بين هذين الحيين من الأنصار ضغائن ، وفى لفظ الحديث : اهتز عرش الرحمن . رواه أبو الزبير عن جابر ، يرفعه ، ورواه البخارى عن طريق الأعمش عن أبى صالح وأبى سفيان ، كلاهما عن جابر . ورواه من الصحابة جماعة غير جابر ، منهم أبو سعيد الخدرى وأسيد بن حضير ورميثة بنت عمرو ، ذكر ذلك الترمذى ، والعجب لما روى عن مالك رحمه الله ، من إنكاره للحديث ، وكراهيته للتحدث به مع صحة نقله ، وكثرة الرواة له ولعل هذه الرواية لم تصح عند مالك ، والله أعلم »

والله إن كان لبادنا ، وما حملنا من جنازة أخفَّ منه ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فقال : إنّ له حَمَلةً غيركم ، والذى نفسى بيده ، لقد اسْتبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتزّ له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مُعاذ بن رِفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن ابن عمرو بن الجموح . عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ ، سبَّح رسول الله ﷺ ، فسبَّح الناس معه ، ثم كبر فكّبر الناس معه ؛ فقالوا : يا رسول الله ، ممّ سبَّحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرّجه الله عنه .

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قولُ عائشة : قال رسول الله ﷺ : إن للقبر لَضَمَّةً لو كان أحد منها ناجيا لكان سعدُ بن مُعاذ .

• شهداء يوم الخندق :

قال ابن إسحاق : ولم يُستشهد من المسلمين يوم الخَندق إلا ستة نفر .

من بنى عبد الأشهل :

ومن بنى عبد الأشهل : سعدُ بن مُعاذ ، وأنس بن أوس بن عَتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل . ثلاثة نفر .

من بنى جُشَم :

ومن بنى جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سَلمة : الطُّفيل بن النعمان ، وثَعلبة بن غَنمة . رجلان .

من بنى النجار :

ومن بنى النَّجار ، ثم من بنى دينار : كعبُ بن زيد ، أُصابه سهم غَرْب ، فقتله .

قال ابن هشام : سَهْمُ غَرْبٍ وسَهْمٌ غَرْبٌ ، باضافة وغير إضافة ، وهو الذى لا يعرف من أين جاء ولا من رَمى به .

• قتـــلى المشركيــن :

وقُتل من المشركين ثلاثة نفر .

مــن بنــى عبــد الــدار :

من بنى عبد الدّار بن قُصَىّ : مُنبِّه بن عثمان بن عُبَيد بن السبّاق بن عبد الدار ، أصابه سهم ، فمات منه بمكة .

قال ابن هشام : هو عثمان بن أميَّه بن منبَّه بن عُبيد بن السبَّاق .

عرض المشركين على الرسول شراء جسد نوفل :

قال ابن إسحاق : ومن بنى مَخزوم بن يَقَظة : نوفل بن عبد الله بن المُغيرة ؛ سألوا رسولَ الله ﷺ أن يَبيعهم جَسَده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورَّط[1] فيه ، فقُتل ، فغَلب المُسلمون على جَسَده . فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لنا فى جَسده ولا بثَمنه ، فخلى بينهم وبينه .

قال ابن هشام : أعطَوْا رسول الله ﷺ بجسده عشرة آلاف درهم ، فيما بلغنى عن الزُّهرى .

مــن بنــى عامــر :

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر ابن لُؤَىّ ، ثم من بنى مالك ابن حِسْل : عمرو بن عَبْد وُدّ ، قتله علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه .

قال ابن هشام : وحدثنى الثقة أنه حدّث عن ابن شهاب الزهرىّ أنه قال : قتل علىّ بن أبى طالب يومئذ عَمْرو بن عبد وُدّ وابنَه حِسْل بن عمرو .

قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد وُدّ ، ويقال : عمرو بن عَبْد .

---

(١) تورط فيه : انتشب وهلك . (لسان العرب ص ٤٢٦ ج ٧) .

• **شهداء المسلمين يوم بنى قريظة :**

قال ابن إسحاق : واسْتشهد يوم بنى قُريظة من المسلمين ، ثم من بنى الحارث ابن الخزرج : خلّاد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو ، طُرحت عليه رحَى ، فشَدختَه(١) شَدْخا شديدا ، فزعموا أنّ رسولَ الله ﷺ قال : إن له لأجرَ شهيد .

ومات أبو سنان بنِ محْصَن بن حُرْثان ، أخو بنى أسد بن خُزيمة ، ورسولُ الله ﷺ محاصر بنى قُريظة ، فدُفن فى مَقْبرة بنى قُريظة التى يَدْفنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتَهم فى الإسلام .

• **بشارة الرسول المسلمين بغزو قريش :**

ولما انصرف أهلُ الخَنْدَق عن الخندق ؛ قال رسولُ الله ﷺ فيما بلغنى : لن تَغْزوكم قريش بعد عامِكم هذا ، ولكنكم تَغزونهم . فلم تغزهم قُريش بعد ذلك ، وكان هو الذى يَغْزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

مقتل سلام بن أبى الحقيق

استئذان الخزرج الرسول فى قتل ابن أبى الحقيق :

قال ابن إسحاق : ولمّا انقضى شأن الخندق ، وأمْر بنى قُريظة ، وكان سلاّم بن أبى الحُقيق ، وهو أبو رافع فيمن حَزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ ، وكانت الأوس قبل أُحُد قد قَتلت كعب بن الأشرف ، لعَداوته لرسول الله ﷺ وَتحريضه عليه ، استأذنت الخزرجُ رسولَ الله ﷺ فى قَتْل سلام بن أبى الحُقيق ، وهو بخيبر ، فأذِن لهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مُسلم بن شهاب الزهرى ، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسوله ﷺ أن هذين

---

(١) الشَّدْخ : هو التهشيم ويعنى كسرك الشىء الأجوف كالرأس ونحوه . (لسان العرب ص ٢٨ ج ٣)

الحيين من الأنصار ، والأوس والخزرج ، كانا يتصاولان[١] مع رسول الله ﷺ تصاول الفَحْلين ، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله ﷺ غناء[٢] إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله ﷺ وفى الإسلام : قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ؛ وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف فى عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبدًا ؛ قال : فتذاكروا : مَنْ رجلٌ لرسول الله ﷺ فى العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبى الحُقيق ، وهو بخيبر ؛ فاستأذنوا رسول الله ﷺ فى قتله ، فأذن لهم .

• النفر الذين خرجوا لقتل ابن أبى الحقيق وقصتهم :

فخرج إليه من الخزرج من بنى سَلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتَيك ، ومسعود بن سِنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن رِبْعى ، وخزاعى بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمَّر عليهم رسول الله ﷺ عبدَ الله بن عتَيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليدًا أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قَدموا خَيْبر ، أتَوْا دار ابن أبى الحُقيق ليْلا ، فلم يَدعوا بيتا فى الدار إلا أغْلقوه على أهْله . قال : وكان فى عِلِّية له إليها عجلة[٣] قال : فأسندوا فيها[٤] ، حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجتْ إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : ناس من العرب نلتمس المِيرة[٥] . قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ؛ قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجرة ، تخوّفا أن تكون دونه مجاولة[٦] تحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته ، فنوّهت بنا[٧]

---

(١) يتصاولان : يتفاخران ، إذا فعل أحدهما شيئا فعل الآخر مثله . (لسان العرب ص ٣٨٨ ج ١١) .

(٢) غناء : منفعة . (لسان العرب ص ١٣٦ ج ١٥) .

(٣) العجلة : جدع النخلة ينقر فى موضع منه ويجعل كالسلم فيصعد عليه إلى العلالى والغرف (لسان العرب ص ٤٣٠ ج ١١)

(٤) أسندوا فيها : علوا . (لسان العرب ص ٢٢١ ج ٣) .

(٥) الميرة : جَلَب الطعام . (لسان العرب ص ١٨٨ ج ٥)

(٦) مجاولة : أى حركة تكون بينهم وبينه .

(٧) نوهت بنا . رفعت صوتها تشهر بنا . (لسان العرب ص ٥٥٠ ج ٣)

وابْتَدَرْناه[1] . وهو على فراشه بأسْيافنا ، فو الله ما يدلنا عليه فى سَواد اللَّيل إلا بياضُه كأنه قُبطيَّة[2] مُلقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأته ، جعل الرجل منَّا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نَهْىَ رسول الله ﷺ فيكف يدَه ، ولولا ذلك لفرغنا منها بلَيْل . قال : فلما ضربناه بأسْيافنا تحامَل عليه عبدُ الله بن أنيس بسيفه فى بَطْنه حتى أنفذَه ، وهو يقول : قَطْنى قَطْنِى : أى حَسْبى حَسْبى . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عَتيك رجلا سيِّءَ البصر ، قال : فوقع من الدَّرجة فوثِئت[3] يده وَثْئًا شديدا - ويقال : رِجله ، فيما قال ابن هشام - وحَملناه حتى نأتى به مَنْهَرًا[4] من عيونهم ، فندخل فيه . قال : فأوقدوا النيران ، واشتدّوا فى كلّ وجه يَطْلبوننا ، قال : حتى إذا يئسوا رَجعوا إلى صاحبهم ، فاكتنفوه وهو يَقْضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأنّ عدوّ الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلَق حتى دَخل فى الناس . قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المِصْباح تنظر فى وجهه ، وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعتُ صوتَ ابن عتيك ، ثم أكذبتُ نفسى وقلت : أنّى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت : فاظ[5] وإله يهود ؛ فما سمعتُ من كلمة كانت ألَذّ إلى نفسى منها . قال : ثم جاءنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، واختلفنا عنده فى قتله ، كلُّنا يدّعيه . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : هاتُوا أسيافكم ؛ قال : فجئْناه بها ، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قَتله ، أرى فيه أثر الطعام .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قَتْل كَعْب بن الأشرف ، وقتل سلاّم بن أبى الحُقيق :

---

(١) ابتدرباه : عاجلناه فى الأمر . (لسان العرب ص ٤٨ ج ٤) .

(٢) القُبطية : ثياب كتان بيض رِقاق تعمل بمصر وهى منسوبة إلى القبط . (لسان العرب ص ٣٧٣ ح ٧) .

(٣) وثئت : أصاب عظمها شىء ليس بكسر . (لسان العرب ص ٣٧٨ ج ١٥) .

(٤) المنهر : خرق فى الحصن نافذ يدخل فيه الماء . (لسان العرب ص ٢٣٧ ج ٥) .

(٥) فاط : مات . (لسان العرب ص ٤٥٣ ح ٧) .

لِلّــهِ دَرّ عِصابَــةٍ[1] لاقيتَهــم   يا بنَ الحُقَيق وأنت يا بن الأشْرف

يَسْرون بالبِيض الخِفاف[2] إلَيْكـمُ   مَرَحاً[3] كأسْد فى عَرِينٍ[4] مُغْرِفِ[5]

حتى أتَوْكم فـى مـحلّ بلادِكـم   فَسَقَوْكُمُ[6] حَتْفا ببِـيض ذُفَّــف[7]

مُسْتَبْصريـن لنَصْر دينِ نَبيِّهـم   مُسْتَصغرين لكُلّ أمْرِ مُجْحِـف[8]

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

ذهاب عمرو مع آخرين إلى النجاشى :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن راشد مولى حبيب عن أبى أوس الثقفى ، عن حبيب بن أبى أوس الثَّقفى ، قال : حدثنى عمرو ابن العاص مِنْ فِيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخَنْدق جمعتُ رجالا من قُريش كانوا يَرون رأيى ، ويَسْمعون منى ، فقلت لهم : تعلمون والله أنى أرى أمرَ محمد يعلو الأمور علوّا مُنْكرا ، وإنى قد رأيت أمرًا ، فما تَروْن فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نَلْحق بالنَّجاشى فنكون عنده ، فان ظهر محمدٌ على قومه كنا عند النجاشى ، فانا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدَىْ محمد وإن ظهر قومُنا فنحن مَن قد عرَفوا ، فلن يَأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأى قلت : فاجمعوا لنا ما نهْديه له ، وكان أحبَّ

---

(١) العصابة : الجماعة . (لسان العرب ص ٦٠٥ ج ١) .

(٢) البيض الخفاف : السيوف . (لسان العرب ص ١٢٨ ج ٧) .

(٣) مرحاً : نشاطا . (لسان العرب ص ٥٩١ ج ٢) .

(٤) العَرينُ : مأوى الأسد الذى يألفه . (لسان العرب ص ٢٨٢ ج ١٣) .

(٥) معرف : ملتف الأغصان . (لسان العرب ص ٢٦٥ ج ٩) .

(٦) الحتف : الموت والهلاك . (لسان العرب ص ٣٨ ج ٩) .

(٧) ذفف : سريعة القتل . (لسان العرب ص ١١٠ ج ٩) .

(٨) مجحف : يذهب بالأموال والأنفس . (لسان العرب ص ٢٢ ج ٩) .

ما يُهدى إليه من أرضنا الأدم[1]فجمعنا له أدَما كثيرًا ، ثم خرجنا حتى قَدِمْنا عليه .

فو الله إنا لعنده إذ جاءه عَمْرو بن أُميَّة الضَّمْرى ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه فى شأن جَعْفَر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابى : هذا عمرو بن أُميَّة الضَّمْرى ، لو قد دخلتُ على النجاشى وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فاذا فعلت ذلك رأت قُريش أنى قد أجْزأت عنها[2] حين قتلت رسولَ محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصْنع ، فقال : مرحبا بصديقى ، أهديتَ إلّى من بلادك شيئا ؟ قال : قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدما كثيرًا ؛ قال : ثم قرّبته إليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : أيها الملك ، إنى قد رأيتُ رجلا خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدوّ لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فانه قد أصابَ من أشْرافنا وخيارنا ؛ قال : فغضب ، ثم مدّ يده فضَرب بها أنفَه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره ، فلو انشقَّت لى الأرضُ لدخلت فيها فَرَقا منه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظنَنت أنك تكره هذا ما سألتكه ؛ قال : أتسألنى أن أعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه النَّاموسُ الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله ! قال : قلت : أيها الملك ، أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أطِعنى واتَّبعه ، فانه والله لعَلى الحقّ ، وليَظْهَرَنَّ على مَنْ خالَفَهُ ، كما ظهر موسى على فِرْعون وجُنوده ؛ قال : قلت : أفتُبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبَسط يَده ، فبايعتُه على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه ، وكتمتُ أصحابى إسلامى .

اجتماع عمرو وخالد على الإسلام :

ثم خرجت عامدًا إلى رسول الله ﷺ لأسلم ، فلقيتُ خالدَ بن الوليد ، وذلك قُبيل الفَتْح ، وهو مُقْبل من مكة ؛ فقلت : أين يا أبا سُليمان ؟ قال : والله

---

(١) الأدم : الجلد . (لسان العرب ص ٩ ج ١٢)

(٢) أجزأت عنها : كفيتها . (لسان العرب ص ١٤٤ ج ١٤)

لقد استقام المَنْسِم[1] ، وإن الرجل لنبىّ ، أذهبُ والله فأُسلم ، فحتى متى ؛ قال : قلت : والله ما جئتُ إلا لأسلم . قال : فقدِمنا المدينة على رسول الله ﷺ ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوتُ ، فقلت : يا رسول الله ، إنى أبايعك على أن يُغْفَر لى ما تقدّم من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر ؛ قال : فقال رسول الله ﷺ : يا عمرو ، بايعْ ، فان الإسلام يَجُبُّ[2] ما كان قَبله ، وإن الهجرة تَجبُّ ما كان قبلها ؛ قال : فبايعته ، ثم انصرفت .

إسلام ابن طلحة :

قال ابن إسحاق ، وحدثنى من لاأتهم : أن عثمان بن طلحة بن أبى طَلْحة ، كان معهما . حين أسْلما .

وكان فَتح بنى قُريظة فى ذى القَعدة وصَدْر ذى الحجَّة ، وولى تلك الحجَّة المُشركون .

غزوة بنى لحيان

خروج الرسول إلى بنى لحيان :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة ذا الحجَّة والمحرّم وصفرًا وشهرَىْ ربيع ، وخرج فى جُمادى الأولى على رأس ستَّة أشهر من فَتْح قُريظة ، إلى بنى لحيانَ يَطلب بأصحاب الرَّجيع : خُبيب بن عدىّ وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشامَ ، ليُصيب من القوْم غِرَّة[3] .

فخرج من المدينة ﷺ ؛ واستَعْمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم ، فيما قال ابن هُشام .

---

(١) المَنْسِم : طرف خفّ البعير والنعامة والفيل ، ومعناه : تبين الطريق ووضح (لسان العرب ص ٥٧٤ ج ١٢) .
(٢) يجبُّ . يقطع . (لسان العرب ص ٢٤٩ ج ١) .
(٣) الغِرَّة : الغفلة . (لسان العرب ص ١٢ ج ٥)

قال ابن إسحاق : فسلك على غُراب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على مَحيص ، ثم على البَتْراء ، ثم صَفَّق[1] ذاتَ اليَسار ، فخرج على بِيْن[2] ، ثم عن صخَيرات اليمام[3] ، ثم استقام به الطريقُ على المحجَّة من طريق مكة ، فأغذ[4] السير سريعا ، حتى نزل على غُرَان ، وهى منازل بنى لِحيْانٍ ، وغرَان وادٍ بين أمتج وعُسْفان ، إلى بلد يقال له : سايَة ، فوجدهم قد حَذِروا وتمنَّعوا فى رؤوس الجبال . فلما نَزلها رسولُ الله ﷺ وأخْطأه من غِرّتهم ما أراد ، قال : لو أنا هَبَطنا عُسفان لرأى أهلُ مكَّة أنَّا قد جئنا مكة ، فخرج فى مائتى راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان ، ثم بعث فارسَيْن من أصحابه حتى بلَغا كُراع الغَميم[5] ، ثم كرّ وراح رسولُ الله ﷺ قافلا[6] .

مقالة الرسول فى رجوعه :

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول حين وجه راجعا : آيبون تائبون إن شاء الله لربِّنا حامدون ، أعوذ بالله مِنْ وَعْثاء السَّفر[7] ، وكآبة[8] المُنْقَلب ، وسوء المنْظر فى الأهل والمال .

شعر كعب فى غزوة بنى لحيان :

والحديث فى غَزْوة بنى لِحْيان ، عن عاصم بن عمر بن قَتادة ، وعبد الله ابن أبى بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ؛ فقال كعب بن مالك فى غَزْوه بنى لِحْيان :

---

(١) صَفقَّ : عدل . (لسان العرب ص ٢٠٤ ج ١٠) .
(٢) بين . واد قرب المدينة . (ترتيب القاموس ص ٣٥١ ح ١) .
(٣) صخيرات اليمام : منزل رسول الله ﷺ إلى بدر وهو بين السيالة وقريش .
(٤) أغذ السير : أسرع فى السير . (لسان العرب ص ٥٠١ ج ٣) .
(٥) كُراعُ الغميم : موضع بين مكة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال .(لسان العرب ص ٣٠٩ ح ٨) .
(٦) وذكر ابن سعد أنه حين نزل رسول الله ﷺ عسفان بعث أبا بكر مع عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم ، فأتوا كراع الغميم ولم يلقوا كيداً .
(٧) وعثاء السفر : مشقته وشدته . (لسان العرب ص ٢٠٢ ح ٢)
(٨) الكآبة : الحزن . (لسان العرب ص ٦٩٥ ج ١) .

لو انَّ بنى لِحْيانَ كانُوا تَناظَرُوا[١]   لَقُوا عُصَبا[٢] فى دارِهم ذاتَ مَصْدَق

لَقُوا سَرَعانا[٣] يَمْلأ السَّرْبَ[٤] رَوْعُه[٥]   أمامَ طَحُون[٦] كالمجَرَّةِ[٧] فَيْلَق[٨]

ولكنَّهم كانُوا وِبارًا[٩] تَتَبَّعتْ   شِعاب[١٠] حِجازٍ[١١] غير ذى مُتَنَفَّق[١٢]

غـزوة ذى قـرد وسببهـا

ثم قدم رسولُ الله ﷺ المدينة ، فلم يُقِم بها إلا ليالى قلائلَ ، حتى أغار عُيينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر الفَزارى[١٣] ، فى خَيْل من غَطفان على لقاحِ[١٤] لرسولِ الله ﷺ بالغابَة[١٥] ، وفيها رجلٌ من بنى غِفار وامرأة له ، فقَتلوا الرجلَ ، واحتملوا المرأة فى اللِّقاح .

بلاء ابن الأكوع فى هذه الغزوة :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومَنْ لاأتَّهم ، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك ، كلٌّ قد حَدَّث فى غزوة ذى قَرَد[١٦] بعض الحديث : أنه كان أوّل من نَذَر[١٧] بِهم سَلمة بن عمرو بن

---

(١) تناطروا : انتطروا . (لسان العرب ص ٢١٦ ح ٥) .
(٢) العَصَب : الجماعات . (لسان العرب ص ٦٠٥ ح ١) .
(٣) السَرعَانُ : أول القوم . (لسان العرب ص ١٥٢ ج ٨) .
(٤) السَّرْب : (بفتح السين) الطريق . (لسان العرب ص ٤٦٤ ج ١) .
(٥) الروع : الفزع (لسان العرب ص ١٣٥ ح ٨) .
(٦) الطَّحْون : الكتيبة تطحنُ ما لقيت . (لسان العرب ص ٢٦٥ ج ١٣) .
(٧) المحرة : نجوم كثيرة يحتلط ضوؤها فى السماء . (لسان العرب ص ١٢٩ ح ٤) .
(٨) العيلق : الكتيبة العطيمة . (لسان العرب ص ٣١٢ ح ١٠) .
(٩) الوبار : حمع وبر ، وهى دويبة من دواب الصحراء على قدر الهرة ، تشبه بها العرب الضعيف . (لسان العرب ص ٢٧٢ ح ٥) .
(١٠) الشعاب : حمع شعب : وهو المنخفض من الأرض . (لسان العرب ص ٤٩٩ ح ١) .
(١١) حجار : أرض مكة وما يليها .
(١٢) عير ذى متنفق : أى ليس له باب يخرج منه .
(١٣) وقيل إن الذى أعار هو عبد الرحمن بن عيينة .
(١٤) اللقاح : الإبل الحوامل دوات الألبان . (لسان العرب ص ٥٨١ ح ٢) .
(١٥) العابة : موضع قريب من المدينة ، فيه أموال لأهل المدينة . (لسان العرب ص ٦٥٦ ح ١) .
(١٦) دو قرد : ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر ومنه غزوة ذى قَرَد .(لسان العرب ص ٣٥٢ ح ٣) .
(١٧) ندر : عَلِمَ . (لسان العرب ص ٢٠١ ج ٥) .

الأكْوع الأسْلمىّ ، غدا يريد الغابة متوشّحا قَوْسه ونَبْله ، ومعه غلامٌ لطلحة بن عُبيد الله معه فَرَس له يقوده ، حتى إذا علا ثَنيَّة الوَداع نظرَ إلى بعض خُيولهم ، فأشرف فى ناحية سَلْع ، ثم صرخ : واصباحاه ، ثم خرج يَشْتَدّ فى آثار القوم ، وكان مثل السبع حتى لَحق بالقوْم ، فجعَل يَردُّهم بالنَّبل ، ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرّضَّع[1] فاذا وُجِّهت الخيلُ نحوه انطلق هاربا ، ثم عارضَهم ، فاذا أمكنه الرَّمْى رَمى ، ثم قال : خُذْها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضّع ، قال : فيقول قائلهم : أُوَيْكعنا هو أوّل النهار .

● قال : وبلغ رسولَ الله ﷺ صِياحُ ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة الفَزع الفَزع ، فترامت الخيولُ إلى رسول الله ﷺ .

وكان أوّل من انتَهى إلى رسول الله ﷺ من الفُرسان : المِقْداد بن عمرو ، وهو الذى يُقال له : المِقْداد بن الأسْود ، حليف بنى زُهرة ؛ ثم كان أوّلَ فارس وقَف على رسول الله ﷺ بعد المِقْداد من الأنصار ، عبَّاد بن بشر ابن وقْش بن زُغْبة بن زَعُوراء ، أحد بنى عَبْدِ الأشْهل ؛ وسَعْد بن زيد ، أحد بنى كَعْب بن عبد الأشهل ؛ وأُسَيْد بن ظُهَير ، أخو بنى حارثة بن الحارث ، يُشكّ فيه ؛ وعُكَّاشة بنِ مُحصَن ، أخو بنى أَسَد بن خُزيمة وُمحرز بن نَضْلة ، أخو بنى أسد بن خُزيمة ، وأبو قَتادة الحارث بن رِبعىّ ، أخو بنى سَلمة ؛ وأبو عَيَّاش ، وهو عُبيد بن زيد بن الصَّامت ، أخو بنى زُريق فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمّرَ عليهم سعدَ بن زَيْد ، فيما بَلَغنى ، ثم قال : اخرُج فى طَلب القوم ، حتى أَلحقك فى الناس .

الرسول ونصيحته لأبى عياش بترك فرسه :

وقد قال رسولُ الله ﷺ ، فيما بلغنى عن رجال من بنى زُريق لأبى عيَّاش : يا أبا عياش ، لو أعْطيت هذا الفرس رجلا ، هو أفرس منك فلحق بالقوم ؟ قال أبو عيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا أفرس الناس ، ثم ضربت

---

(١) الرُّضَّع : جمع راضع ، وهو اللئيم والمعنى : اليوم يوم هلاك اللئام . (لسان العرب ص ١٢٨ ج ٨) .

الفرس ، فوالله ما جرَى بى خَمسين ذراعا حتى طرحنى ، فعَجبت أن رسول الله ﷺ يقول : لو أعطيتَه أفرسَ منك ، وأنا أقول : أنا أفرس الناس فزعم رجالٌ من بنى زُريق أن رسولَ الله ﷺ أعطَى فرس أبى عياش مُعاذ ابن ماعص ، أو عائذَ بن ماعص بن قَيس بن خَلَدة ، وكان ثامنا ، وبعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكْوع أحد الثمانية ، ويطرح أُسيدَ بن ظُهير ، أخا بنى حارثة ، والله أعلم أىّ ذلك كان . ولم يكن سلمة يومئذ فارسا ، وقد كان أوّل من لَحق بالقوم على رِجْليه . فخرج الفرسانُ فى طلب القوم حتى تلاحقوا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة : أنّ أوّل فارس لحق بالقوم مُحْرز بن نَضْلة ، أخو بنى أسد بن خُزَيمة ـ وكان يُقال لمحرز : الأَخْرَم ويقال له قُمَير ـ وأن الفزع لما كان جال فرسٌ لمحمود بن مَسْلمة فى الحائط ، حين سَمِع صاهلة الخيل ، وكان فرسا صَنِيعا[١] جامًّا ، فقال نساءٌ من نِساء بنى عبد الأشهل ، حين رأين الفرسَ يجول فى الحائط بِجِذْع نخل هو مَرْبوط فيه : يا قُمَير ، هل لك فى أن تركب هذا الفَرس ؟ فانه كما ترى ، ثم تَلْحق برسول الله ﷺ وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعطينَه إياه . فخرج عليه ، فلم يلبث أن بذّ الخيل بجَمامه ، حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قِفُوا يا معشر بنى اللَّكيعة[٢] حتى يلحق بكم مَنْ وَرَاءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار . قال : وحمل عليه رجلٌ منهم فقَتله ، وجال الفرس ، فلم يَقْدر عليه حتى وقف على آرِيِّهِ[٣] من بنى عَبْد الأشهل ، فلم يُقتل من المسلمين غيره .

قال ابن هشام : وقُتل يومئذ من المسلمين مع مُحرز ، وقَّاص بن مُجزّز لجىّ ، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم .

---

(١) الفرس الصنيع : الذى يخدمه أهله ويقومون عليه (لسان العرب ص ٢١٠ ج ٨) .

(٢) اللَّكيعة : اللئيمة . (لسان العرب ص ٣٢٢ ج ٨) .

(٣) الآرى : الحبل الذى تشد به الدابة ، وقد يسمى الموضع الذى تقف فيه الدابة آريا . (القاموس المحيط ص ١٢٩ ج ١) .

• قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ من لاأتهم عن عبد الله بن كَعْب بن مالك : أنّ مُجَزّزًا إنما كان على فَرس لعكاشة بن مِحْصن ، يقال له : الجَناح ، فقُتل مُجَزّز واستُلبت الجَناح .

القتلــى مــن المشركيــن :

. ولما تلاحقت الخيل قَتل أبو قتادة الحارث بن رِبْعى ، أخو بنى سَلمة ، حبيب بن عُيينة بن حِصْن ، وغشَّاه بُرْده ، ثم لحق بالناس .

وأقبل رسول الله ﷺ فى المسلمين .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أمّ مَكْتوم .

قال ابن إسحاق : فاذا حبَيب مُسَجَّى[1] ببرد أبى قَتادة ، فاسترْجع[2] ، الناس وقالوا : قُتل أبو قَتادة ؛ فقال رسول الله ﷺ : ليس بأبى قَتادة ولكنه قَتيل لأبى قَتادة ، وضَع عليه بُرْدَه ، لتَعْرِفوا أنه صاحبه .

وأدرك عُكَّاشة بنُ مِحْصن أوْبارًا وابنه عَمْرو بن أوْبار ، وهما على بعير واحد ، فانتَظَمها بالرُّمْح ، فقَتلهما جميعا ، واستَنْقذوا بعضَ اللّقاح ، وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذى قَرَد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسول الله ﷺ به ، وأقام عليه يوما وليلة ؛ وقال له سلمة بن الأكْوع : يا رسول الله ، لو سرحْتنى فى مائة رجل لاستنقذتُ بقيّة[3] السَّرح ، وأخذت بأعْناق القوم ؟ فقال له رسولُ الله ﷺ ، فيما بلغنى : إنهم الآن ليُغْبَقُون[4] فى غَطَفان .

---

(١) مسجى : مغطى . (القاموس ص ٥٢٦ ج ٢) .
(٢) استرجع الناس : قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٣) السَّرح : المال السائم . (لسان العرب ص ٤٧٨ ح ٢) .
(٤) ليغبقون : يسقون اللبن بالعشى . (لسان العرب ص ٢٨١ ح ١٠) .

- **تقسيم الفىء بين المسلمين :**

فقَسم رسولُ الله ﷺ فى أصحابه فى كل مائة رجل جَزُورا ، وأقاموا عليها ، ثم رجع رسولُ الله ﷺ قافلا حتى قَدِم المدينة .

وأقبلت امرأة الغِفارىّ على ناقة من إبل رسول الله ﷺ ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبرَ ، فلما فرغت ، قالت : يا رسول الله ، إنى قد نَذَرت لله أن أنحرها إنْ نجّانى الله عليها ؛ قال : فتبسّم رسولُ الله ﷺ ، ثم قال : بئس ما جَزَيْتِها أن حملك اللّهُ عليها ونجّاك بها ثم تنحرينها ! إنّه لا نَذْر فى مَعْصية الله ولا فيما لا تَمْلكين ، إنما هى ناقة من إبلى ، فارجعى إلى أهلك على بركة الله .

والحديث عن امرأة الغفارىّ وما قالت ، وما قال لها رسول الله ﷺ ، عن أبى الزبير المكّىّ ، عن الحسن بن أبى الحسن البَصْرىّ .

غزوة بنى المصطلق[1]

وقتها :

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة بعضَ جمادى الآخرة ورجبا ، ثم غزا بنى المُصطلق من خُزاعة ، فى شَعْبان سنة ستٌ .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذرّ الغِفارىّ ؛ ويقال : نُميلة ابن عبد الله الليثى .

سبب غزو الرسول لهم :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة وعبدُ الله بن أبى بكر ، ومحمد بن يَحيى بن حَبَّان ، كلٌ قد حدثنى بعض حديث بنى المُصطلق ،

---

(١) وتسمى أيضا « المريسيع » .

قالوا : بلغ رسولَ الله ﷺ أنّ بنى المُصطلق يَجْمعون له ، وقائدهم الحارث ابن أبى ضرار أبو جُوَيْرية بنت الحارث ، زوج رسول الله ﷺ ؛ فلما سمع رسولُ الله ﷺ بهم خَرج إليهم ، حتى لَقيهم على ماءٍ لهم يقال له : المُرَيسيع ، من ناحية قُديد إلى الساحل ، فتزاحف الناسُ واقتتلوا ، فهزَم الله بَنى المُصطلق ، وقُتل من قُتل منهم ، ونَفّل[1] رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

وقد أُصِيب رجلٌ من المسلمين من بنى كَلْب بن عَوْف بن عامر بن ليث ابن بكر ، يقال له : هشام بن صُبابة ، أصابه رجل من الأنصار من رَهْطِ عُبادة ابن الصامت ، وهو يرى أنه من العدوّ ، فقتله خطأ .

فبينا رسول الله ﷺ على ذلك الماء ، وردت واردةُ الناس ، ومع عمر ابن الخطّاب أجيرٌ له من بنى غِفار ، يقال له : جَهْجاه بن مَسْعود يقود فرسَه ، فازدحم جَهْجاه وسِنان بن وَبَر[2] الجُهنى ، حليف بنى عَوْف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصَرخ الجُهنى : يا معشر الأنصار ، وصرخ جَهْجاه : يا معشر المهاجرين[3] ، فغضب عبدُ الله بن أُبَىّ بن سَلول ، وعنْده رَهْط من قومه فيهم : زيد بن أرْقم ، غلام حَدث ، فقال : أوَقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدّنا وجلابيب[4] قريش إلا كما قال الأوّل : سَمّن كَلْبك يأكلك ، أما والله لَئن رَجَعْنا إلى المدينة لَيُخْرِجنّ الأعزّ منها الأذلّ . ثم أقبل على مَنْ حضَره من قومه ، فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحلَلْتموهم بلادكم ، وقاسمتوهم أموالكم ، أما والله لو أمْسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوّه ، فأخبره الخبرَ ، وعنده عمرُ بن

---

(١) النّفل : الغنيمة والهبة . (لسان العرب ص ٦٧٠ ح ١١) .

(٢) قال السهيلى : « وقال غيره . هو سنان بن تميم ، من جهينة بن سود بن أسلم ، حليف الأنصار » .

(٣) قال السهيلى : « ولم يذكر ما قال النبى ﷺ حين سمعها ، وفى الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما قال : دعوها فإنها منتنة ، يعنى أنها كلمة خبيثة ، لأنها من دعوى الجاهلية

(٤) جلابيب قريش : لقب من كان أسلم من المهاجرين ، لقبهم بذلك المشركون أصل الجلابيب : الأزر الغلاظ كانوا يلتحفون بها ، فلقبوهم بذلك .

الخطَّاب ، فقال : مُرْ به عَبَّاد بن بشر فلْيقتله ؛ فقال له رسولُ الله ﷺ : فكيفَ يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمدا يقْتل أصحابه ! لا ولكن أذّنْ بالرَّحيل ، وذلك فى ساعة لم يكن رسولُ الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناسُ .

اعتذار ابن أبىّ للرسول :

وقد مشى عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول إلى رسولِ الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلَّغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به - وكان فى قومه شريفا عظيما - ، فقال مَنْ حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوْهم فى حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل ، حَدَبا على ابن أُبَىّ بن سَلول ، ودَفْعا عنه .

الرسول وأسيّد ومقالة ابن أبى :

قال ابن إسحاق : فلما استقلّ رسولُ الله ﷺ وسار ، لقيه أُسَيد بن حُضير ، فحيَّاه بتحيَّة النبوّة وسلَّم عليه ، ثم قال : يا نبىّ الله ، والله فقد رُحتَ فى ساعة مُنكرة ، ما كنتَ تروح فى مثلها ؛ فقال له رسولُ الله ﷺ : أو ما بلغَك ما قال صاحبُكم ؟ قال : وأىّ صاحبٍ يا رسول الله ﷺ قال : عبد الله بن أُبَىّ ؛ قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخْرجن الأعزّ منها الأذلّ ، قال : فأنت يا رسول الله والله تُخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليلُ وأنت العزيز ؛ ثم قال : يا رسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنّ قومه لَيَنْظمون له الخَرز ليتوّجوه ، فانه لَيرى أنك قد استلبته مُلكا .

سير الرسول بالناس ليشغلهم عن الفتنة :

ثم مشى[1] رسولُ الله ﷺ بالناس يومَهم ذلك حتى أمْسى ، وليلتَهم حتى أصبح ، وصَدْر يَومهم ذلك حتى آذتهم الشمسُ ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا

(١) يعنى أنه سار بهم حتى أصعف إبلهم

أن وَجَدوا مسّ الأرض فوقعوا نِياما ، وإنما فعل ذلك رسولُ الله ﷺ ليَشغل النَّاس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أُبَىّ .

تنبؤ الرسول بموت رفاعة :

ثم راح رسول الله ﷺ بالنَّاس ، وسلَك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُوَيق النَّقيع[1] ؛ يقال له : بقعاء . فلما راح رسولُ الله ﷺ هبَّت على الناس ريحٌ شديدة آذتهم وتخوّفوها ؛ فقال رسولُ الله ﷺ : لا تخافوها ، فانما هبَّت لموت عَظيم من عُظماء الكُفَّار . فلمَّا قدموا المدينة وجدوا رِفاعة ابن زَيد بن التَّابوت ، أحد بنى قَيْنقاع ، وكان عظيما من عُظماء يهود ، وكَهْفا للمُنافقين ، مات فى ذلك اليوم .

ونزلت السورة التى ذَكَر الله فيها المنافقين فى ابن أُبَىّ ومَنْ كان على مثل أمره فلما نزلتْ أخذَ رسولُ الله ﷺ بأذن زَيْد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذى أوْفى الله بأذنه . وبلغ عبدَ الله ين عبد الله بن أُبَىّ الذى كان من أمر أبيه .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عاصمُ بن عُمر بن قتادة : أن عبد الله أتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتلَ عبد الله بن أبىّ فيما بلغك عنه ، فان كنت لا بدّ فاعلا فمُرنى به ، فأنا أحمِل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرجُ ما كان لها من رجل أبرَّ بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعُنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبَىّ يمشى فى الناس ، فأقتلَه فأقتلَ رجلا مؤمنا بكافر ، فأدخل النار ؛ فقال رسول الله ﷺ : بل نَترفّق به ، ونُحْسن صُحبته ما بقى معنا .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدثَ كان قومه هم الذين يُعاتبونه ويأخذونه ويُعَّنفُونه ؛ فقال رسولُ الله ﷺ لعُمر بن الخطَّاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؛ أما والله لو قتلته يوم قلتَ لى اقْتُله ، لأرْعِدت له آنُفٌ ،

---

(١) النَّقيع : البئر الكثيرة الماء . (لسان العرب ص ٣٥٩ ح ٨) .

لو أمرتها اليوم بقَتْلِهِ لقتلته ؛ قال : قال عمر : قد والله علمتُ لأمر رسول الله ﷺ أعْظم بركة من أمرى .

مِقيس بن صُبابة وحيلته فى الأخذ بثأر أخيه وشعره فى ذلك :

قال ابن إسحاق : وقَدِم مِقْيَس بن صُبابة من مكَّة مسلما ، فيما يُظْهِر ، فقال : يا رسول الله ، جئتك مسلما ، وجئتك أُطْلب دِيَة أخى ، قُتل خطأ ، فأمر له رسولُ الله ﷺ بدية أخيه هِشام بن صُبابة ؛ فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير ، ثم عَدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدًا ؛ فقال فى شعر يقوله :

شَفَى النفسَ أن قد مات بالقاع[1] مُسْندا ... تُضَرِّج[2] ثَوْبَيْه دماءُ الأخادِع[3]

وكانت هُموم النَّفس من قبل قَتْله ... تُلِمّ[4] فَتَحْمِينى[5] وِطاء المَضَاجِع[6]

حَللت به وِتْرى[7] وأدركتُ ثُؤْرَتى[8] ... وكنتُ إلى الأوْثان أوّل راجع

ثَأرتُ به فهرًا وحملت عَقْله[9] ... سراةَ[10] بنى النَّجَّار أربابَ فارِع[11]

• شعار المسلمين :

• قال ابن هشام : وكان شعار المُسلمين يوم بنى المُصْطلق : يا منصور ، أمِتْ أمِتْ .

---

(١) القاع : المنخفض من الأرض . (لسان العرب ص ٣٠٤ ح ٨) .

(٢) تضرّج : تلطخ . (لسان العرب ص ٣١٣ ح ٢) .

(٣) الأخادِع : عروق القفا . الأخدعان : عرقان فى جانبى العُنق قد خفيا وبطنا والجمع الأخادع . (لسان العرب ص ٦٦ ح ٨) .

(٤) تلم : تساورنى وتحل بى . (السيرة ص ٢٩٣) .

(٥) تحمينى : تمنعنى . (ترتيب القاموس ص ٧١٩ ج ١) .

(٦) وطاء المضاجع . ليانها . (السيرة ص ٢٩٣) .

(٧) الوَتْر : الطالب بالثأر . (لسان العرب ص ٢٧٤ ح ٥) .

(٨) الثُؤرَة : الثأر . (لسان العرب ص ٩٧ ج ٤) .

(٩) العقل : الدّية . (لسان العرب ص ٤٦٠ ح ١١) .

(١٠) سراة بنى النَّجَّار : خيارهم . (ترتيب القاموس ص ٥٥٨ ج ٢) .

(١١) فارع : حصن بالمدينة يقال إنه حصن حسان بن ثابت . (لسان العرب ص ٢٥١ ج ٨) .

قتلى بنى المصطلق :

قال ابن إسحاق : وأُصِيب من بنى المُصْطلق يومئذ ناسٌ ، وقَتل علىُّ ابن أبى طالب منهم رجلَين ، مالكا وابنه ، وقَتل عبدُ الرحمن بن عوف رجلاً من فُرسانهم ، يقال له : أحمر ، أو أُحَيمر .

أمر جويرية بنت الحارث :

وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سَبْيا كثيرًا ، فَشَاقَسْمه فى المسلمين ؛ وكان فيمن أُصيب يومئذ من السبَّايا جُويرية بنت الحارث أبى ضِرار ، زوج رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما قسّم رسولُ الله ﷺ سبايا بنى المُصْطلق وقعتْ جُويرية بنت الحارث فى السّهم لثابت بن قيس بن الشَّماس ، أو لابن عمْ له فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوةٌ مُلاّحة[1] ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسولَ الله ﷺ تَسْتعينه فى كِتابها ؛ قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتُها على باب حُجرتى فكَرهتها ، وعَرَفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيتُ ، فدخلتُ عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جُويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، سيد قومه ، وقد أصابنى من البَلاء ، ما لم يَخْف عليك ، فوقعت فى السّهم لثابت بن قَيس بن الشَّماس ، أو لابن عمّ له ، فكاتبتُه على نفسى ، فجِئتك أَسْتعينك على كِتابتى ؛ قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوّجك ؛ قالت : نعم يا رسول الله ؛ قال : قد فعلت .

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسولَ الله ﷺ قد تزوّج جُويرية ابْنة الحارث بن أبى ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ ، وأرسلوا

---

(١) المُلاّحة : الشديدة الملاحة (لسان العرب ص ٦٠١ ح ٢)

ما بأيديهم ؛ قالت : فلقد أُعْتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المُصطلق ، فما أعلم امرأة كانت اعظم على قومها بركة منها[1] .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بنى المُصطلِق ومعه جُويرية بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعةً ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله ﷺ المدينة ؛ فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته ؛ فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيَّبهما فى شِعب من شِعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبىّ ﷺ وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فِداؤها ؛ فقال رسول الله ﷺ : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق ، فى شِعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك محمد رسول الله فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ، فأسلم الحارثُ ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبىّ ﷺ ، ودُفِعَت إليه ابنتهُ جويرية ، فأسلمت ، وحسُن إسلامها ؛ فخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها ، فزوّجه إياها ، وأصدقها أربع مائة درهم .

الوليد بن عقبة وبنو المصطلق وما نزل فى ذلك من القرآن :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان : أن رسول الله ﷺ ، بعث إليهم بعد إسلامهم الوليدَ بن عقبة بن أبى مُعيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ، فرجع إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره أن القوم قد هّموا بقتله ، ومنعوه ما قِبَلهم من صَدقتهم ، فأكثر المسلمون فى ذكر غَزْوهم ، حتى هَمّ رسول الله ﷺ بأن يغْزوهم ، فبيناهم على ذلك قَدِم وفدُهم على

---

(١) قال السهيلى : « وأما نظره ﷺ لجويرية حتى عرف من حسنها ما عرف ، فإنما كان ذلك لأنها امرأة مملوكة ، ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء . وجائز أن يكون نظر إليها لأنه أراد نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التى قالت : إنى قد وهبت نفسى لك يا رسول الله فصعد فيها النظر ثم صوب ، ثم أنكحها من غيره . وقد ثبت عنه ﷺ الرخصة فى النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها ، وقال المغيرة حين شاوره فى نكاح امرأة : لو نظرت إليها ، فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما ، وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح ثبيتة بنت الضحاك »

رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنُكْرِمه ، ونُؤدّى إليه ما قِبَلنا من الصدقة ، فانشمر[1] راجعا ، فبَلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنّا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ما جئنا لذلك ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ **يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهالَةٍ ، فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ واَعْلَمُوا أنْ فِيكُمْ رَسُولَ اللّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الأمْرِ لَعَنِتُّمْ** ﴾ .. إلى آخر الآية[2] .

وقد أقبل رسولُ الله ﷺ من سفره ذلك ، كما حدثنى من لاأتهم ، عن الزهرى ، عنْ عروة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى إذا كان قريبا من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك[3] ما قالوا .

خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق[4]

(سنة ست هـ)

قال ابن إسحاق : حدّثنا الزهرى ، عن علقمة بن وقاص وعن سعيد بن جبير وعن عُروة بن الزّبير ، وعن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة قال : كلُّ قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعضُ القوم كان أوْعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدّثنى القوم .

شأن الرسول مع نسائه فى سفره :

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن عائشة ، وعبدُ الله بن أبى بكر ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهْل الإفك ما قالوا ، فكُل قد دخل فى

---

(١) انْشَمَرَ للأمر : تهيأ له . (لسان العرب ص ٤٢٨ ج ٤) .
(٢) سورة الحجرات : آيتى (٦ ، ٧) .
(٣) الإفك : الكذب . (لسان العرب ص ٣٩٠ ج ١٠) .
(٤) راجع كتب التفاسير ومنها : الطبرى ، وابن كثير ، والقرطبى ، وأيضا كتب السنة .

حديثها عن هؤلاء جميعا يحدّث بعضهم ما لم يحدّث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكلُّهم حدث عنها وسمع ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقْرع بين نِسائه ، فأيْهنّ خَرج سهمُها خرج بها معه ؛ فلما كانت غزوة بنى المُصْطلِق أقْرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سَهْمى عليهنّ معه ، فخرج بى رسولُ الله ﷺ .

سقوط عقْد عائشة وتخلفها للبحث عنه :

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العُلَق[1] لم يَهجهن[2] اللّحم فيَثْقلن ، وكنت إذا رُحّل لى بعيرى جلستُ فى هَوْدجى ، ثم يأتى القومُ الذين يُرَحِّلون إلى ويَحْملوننى ، فيأخذون بأسفل الهَوْدج ، فيرفعونه ، فيَضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فَرغ رسولُ الله ﷺ من سفره ذلك ، وجَّه قافلا ، حتى إذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا ، فبات به بعضَ الليل ، ثم أذّن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناسُ ، وخرجتُ لبعض حاجتى ، وفى عُنقى عِقْد لى ، فيه جَزْع[3] ظفَار ، فلما فرغت انسلّ من عُنقى ولا أدْرى ، فلما رجعتُ إلى الرَّحل ذهبتُ ألتمسه فى عُنقى ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرّحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافى ، الذين كانوا يُرَحِّلون لى البعير ، وقد فَرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودَج ، وهم يظنُّون أنى فيه ، كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدّوه على البعير ، ولم يشكوا أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به فرجعتُ إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مُجيب ، قد انطلق الناس .

---

(١) العلق : حمع عُلْقة : وهى ما فيه بُلْعة من الطعام إلى وقت العداء . (لسان العرب ص ٢٦٣ ج ١٠) .

(٢) التهييج : كالورم فى الحسد . (السيرة ص ٢٩٧) .

(٣) الحرع : الحرز . (ترتيب القاموس المحيط ص ٤٨٧ ، ج ١) .

مرور ابن المعطل بها واحتماله إياها على بعيره :

قالت : فتلفَّفت بجلبابى ، ثم اضطجعتُ فى مكانى ، وعرفت أن لو قد افتُقدت لرُجع إلىّ . قالت : فوالله إنى لمُضطجعة إذ مرّ بى صفوان بن المعطّل السُّلَمى وقد كان تخلّف عن العسكر لبَعْض حاجته[1] ، فلم يبتْ مع الناس ، فرأى سوادى فأقبل حتى وقف علىّ ، وقد كان يرانى قبل أن يُضْرَب علينا الحِجاب ، فلما رآنى قال : إنَّا لِلّهِ وإنَّا إلَيْهِ رَاجعُونَ ، ظَعِينة رسول الله ﷺ ! وأنا متلفِّفة فى ثيابى ؛ قال : ما خلّفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلّمته ، ثم قرّب البعير ، فقال : اركبى ، واستأخر عنِّى . قالت : فركبتُ ، وأخذَ برأس البعير ، فانطلق سريعا ، يطلب الناسَ ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدْت حتى أصبحتُ ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجلُ يقود بى ، فقال أهل الإفك ما قالوا فارتعج[2] العسكر ، ووالله ما أعْلم بشىء من ذلك .

إعـراض الرسـول عنهـا :

ثم قَدِمْنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيتُ شكوى شديدة ، ولا يبلغنى من ذلك شىء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ ، وإلى أبوىّ لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أنى قد أنكرتُ من رسول الله ﷺ بعض لُطْفه بى ، كنت إذا اشتكيتُ رَحِمنى ، ولَطف بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شكْواى تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل علىّ وعندى أمى تمرضنى - قال ابن هشام : هى أم رومان ، واسمها زَيْنب بنت عبد دُهمان ، أحد بنى فراس بن غَنم بن مالك بنِ كنانة - قال : كيف تِيكم ، لا يزيد على ذلك .

انتقالها إلى بيت أبيها وعلمها بما قيل فيها :

قال ابن إسحاق : قالت حتى وَجدتُ فى نفسى ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيتُ ما رأيت من جَفائه لى : لو أذنتَ لى ، فانتقلت إلى أمى ، فمرّضتنى ؟

---

(١) كان صفوان على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به ولذلك تخلف .

(٢) ارتعج . أى ارتعد . (ترتيب القاموس المحيط ص ٣٥٤ ، ج ٢)

قال : لا عليك . قالت : فانتقلت إلى أمى ، ولا علْم لى بشىء مما كان ، حتى نَقِهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوما عربا ، لا نتخذ فى بُيوتنا هذه الكُنُف التى تتَّخذها الأعاجم ، نَعافها ونكرهها ، إنما كنَّا نذهب فى فُسح المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن كلّ ليلة فى حوائجهنّ ، فخرجتُ ليلةً لبعض حاجتى ومعى أمّ مِسْطح بنت أبى رُهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صَخْر بن عامر بن كعب بن سَعد بن تيم ، خالة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ؛ قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مِرْطِها[1] ؛ فقالت : تَعس مسْطح ! ومسْطح لقب واسمه عوف ؛ قالت : قلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ؛ قالت : أومابلغك الخبر يا بنت أبى بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أوْ قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقْضى حاجتى ، ورجعت ؛ فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيَصْدع[2] كَبدى ؛ قالت : وقلت لأمى : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئا ! قالت : أى بنيَّة ، خفِّضى[3] عليك الشأن ، فوالله لقلَّما كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر . إلاَّ كَثَّرْن وكَثَّر الناس عليها .

خطبة الرسول فى الناس يذكر إيذاء قوم له فى عرضه :

قالت : وقد قام رسولُ الله ﷺ فى الناس يَخْطبهم ولا أعلم بذلك ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يُؤذوننى فى أهلى ، ويقولون عليهم غيرَ الحقّ ، والله ما علمت منهم إلا خيرًا ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرًا ، وما يَدْخل بيتا من بيوتى إلا وهو معى .

---

(١) المِرْط : كساء من صوف أو خَزٍ ح مُرُوطٌ . (ترتيب القاموس ص ٢٢٩ ، ح ٤)
(٢) سيصدع · سيشق (ترتيب القاموس المحيط ح ٢ ، ص ٨٠٥) .
(٣) حفصى عليك : هونى عليك . (ترتيب القاموس المحيط ح ٢ ، ص ٨٣)

أثر ابن أبىّ وحمنة فى إشاعة هذا الحديث :

قالت : وكان كُبْر(١) ذلك عند عبد الله بن أُبىّ بن سلولَ فى رجال من الخزرج مع الذى قال مِسْطح وحمنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عندِ رسول الله ﷺ ، ولم تكن من نسائه امرأة تُناصينى(٢) فى المنزلة عنده غيرها ؛ فأما زينب فعَصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرا وأما حَمْنة بنت جَحش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تُضادُّنى لأختها ، فشَقِيت بذلك .

ما كان بين المسلمين بعد خطبة الرسول :

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة ، قال أُسَيد بن حُضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نَكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فُمرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم ؛ قالت : فقام سَعْد بن عُبادة ، وكان قبل ذلكَ يُرَى رجلا صالحا ؛ فقال : كذبت لعَمْر الله ، لا نضرب أعناقَهم ، أما والله ما قلتَ هذه المقالة إلا أنَّك قد عَرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلتَ هذا ، فقال أُسَيد : كذبت لَعمر الله ، ولكنَّك مُنافق تُجادل عن المُنافقين ؛ قالت : وتساور(٣) الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيَين من الأوس والخزرج شرّ . ونزل رسولُ الله ﷺ ، فدخل علىّ .

استشـارة الرسـول لعلـى وأسامـة :

قالت : فدعا علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد ، فاستَشارهما ؛ فأمَّا أسامة فأثنى علىّ خيرًا وقاله ؛ ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرا ، وهذا الكذب والباطل ؛ وأما علىّ فانه قال : يا رسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تَستخلف ، وسَل الجارية ،

---

(١) الكبر (بالضم والكسر) : الإثم . (ترتيب القاموس ص ٧ ج ٤) .
(٢) تناصيني : تنازعني وتباريني . (لسان العرب ص ٣٢٧ ح ١٥) .
(٣) تساور الناس : قام بعضهم إلى بعض . (لسان العرب ص ٣٨٥ ج ٤) .

فانها ستصدقك . فدعا رسول الله ﷺ بُريرة ليَسألها ؛ قالت : فقام إليها علىّ ابن أبى طالب ، فضَربَها ضربا شديدًا ، ويقول : اصْدُقى رسول الله ﷺ ؛ قالت : فتقول والله ما أعلم إلا خيرا ، وما كنت أعِيب على عائشة شيئا ، إلا أنى كنت أعجِن عجينى ، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتى الشاة فتأكله .

نـزول القـرآن ببراءة عائشـة :

قالت : ثم دخل علىّ رسول الله ﷺ ، وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ، وأنا أبْكى ، وهى تبْكى معى ، فجلس ، فحَمِد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة ، إنه قد كان ما قد بَلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفْت سوءا[1] مما يقول الناس فتُوبى إلى الله ، فان الله يقْبل التوبة عن عباده ؛ قالت : فوالله ما هو إلا أن قال لى ذلك ، فقلَص[2] دمعى ، حتى ما أُحسّ منه شيئا ، وانتظرت أبوىّ أن يُجيبا عنى رسولَ الله ﷺ ، فلم يتكلَّما قالت : وايم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى ، وأصغر شأنا من أن يُنزل الله فىّ قرآنا يُقرأ به فى المساجد ، ويُصَلى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى نومه شيئا يكذّب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يُخبر خبرا ؛ فأمَّا قرآن يَنزل فىّ ، فوالله لنَفسى كانت أحقَر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوىّ يتكلَّمان ، قالت : قلت لهما : ألا تُجيبان رسول الله ﷺ ؟ قالت : فقالا : والله ما ندرى بماذا نُجيبه ؛ قالت : ووالله ما أعلم أهلَ بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام ؛ قالت : فلما أن استعجما علىّ ، استعبرتُ فبكيتُ ؛ ثم قلت : والله لاأتوب إلى الله مما ذكرت أبدا . والله إنى لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لأقولنّ ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدِّقوننى . قالت :

---

(١) قارفت سوءا : يعنى : ارتكبت ذنبا أو عملت دنيا . (لسان العرب ص ٢٨٠ ج ٩) .

(٢) فقلص دمعى : ارتفع . (ترتيب القاموس المحيط ص ٦٧٦ ج ٣)

ثم التمست اسمَ يعقوب فما أذكره ؛ فقلت : ولكن سأقولُ كما قال أبو يوسف : ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾[١] . قالت : فوالله ما بَرح رسولُ الله ﷺ مجلسه حتى تَغَشَّاه من الله ما كان يتغشَّاه ، فسُجِّى بثوبه ووُضعت له وسادة من أدَم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فَزعت ولا باليْتُ ، قد عَرفت أنى بَريئة ، وأن الله عزّ وجلّ غيرُ ظالمى ؛ وأمّا أبَواى ، فوالذى نفسُ عائشة بيده ، ما سُرّى عن رسول الله ﷺ حتى ظننتُ لتخرجنّ أنفسُهما ، فَرَقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ؛ قالت : ثم سُرّى عن رسول الله ﷺ ، فجَلس ، وإنه ليتحدّر منه مثل الجُمان[٢] فى يوم شاتٍ ، فجعل يَمْسح العَرق عن جَبينه ، ويقولُ : أبْشرى يا عائشة ، فقد أنزل الله بَراءتك ؛ قالت : قلت : بحمد الله ثم خرج إلى الناس ، فخَطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمِسْطح بن أثاثة ، وحسّان بن ثابت ، وحَمْنة بنت جحش ، وكانوا ممن أفْصح بالفاحشة ، فضُربوا حدَّهم .

أبو أيوب وذكره طهر عائشة لزوجه :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يَسار عن بعض رجال بنى النَّجّار أن أبا أيُّوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أمّ أيُّوب : يا أبا أيُّوب ، ألا تَسمع ما يقول الناس فى عائِشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت يا أمّ أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنتُ لأفعله ؛ قال : فعائشة والله خيرٌ منك .

ما نزل من القرآن فى ذلك :

قالت : فلما نزل القرآن بذكر مَنْ قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لا تَحْسَبُوهُ شَرًا**

---

(١) سورة يوسف آية ١٨ .

(٢) الجُمان . حب من فضة يصنع فى مثل الدر . (ترتيب القاموس المحيط ص ٥٣٤ ج ١) .

لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ ما اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ، والَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

وقال ابن هشام : والذى تولى كِبرَه عبد الله بن أُبَىّ ، وقد ذكر ذلك ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا . ثم قال تعالى : ﴿ **لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ والمُؤْمِناتُ بأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا** ﴾[2] : أى فقالوا كما قال أبو أيُّوب وصاحبتهُ ، ثم قال : ﴿ **إِذْ تَلَقَّوْنَه بأَلْسِنَتِكُمْ ، وتَقُولُونَ بأفوَاهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وتَحْسَبُونَهُ هَيِّنا ، وَهُوَ عِنْدَ الله عَظِيمٌ** ﴾[3] .

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ما قال ، قال أبو بكر ، وكان ينفقُ على مِسْطح لقرابته وحاجته : والله لا أُنفق على مِسْطح شيئا أبدا ، ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة ، وأدْخَل علينا ؛ قالت : فأنزل الله فى ذلك ﴿ **وَلا يأتَلِ أولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أولى القُرْبَى والمَساكِينَ والمُهاجِرِينَ فِى سَبِيلِ اللّهِ ، وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ألا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ ، وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[4] .

وقال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله ، إنى لأحبّ أن يَغْفِر الله لى ، فرَجع إلى مِسْطح نَفقته التى كان يُنفق عليه ، وقال : والله لا أنزِعها منه أبدا .

● قالت : وكانت عائشة تقول : لقد سُئل عن ابن المُعطل ، فوَجدوه رجلا حَصُورا ، ما يأتى النساء ، ثم قُتل بعد ذلك شهيدا . وقال حسَّان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة رضى الله عنها :

---

(١) سورة النور آية ١١ .
(٢) سورة النور الآية ١٢ .
(٣) سورة النور الآية ١٥
(٤) سورة النور الآية ٢٢ .

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُـزَنّ بريبـــةٍ ... وتُصْبَح غَرْثَى من لُحوم الغَوافل[1]

عَقيلة حَىّ من لُؤَىّ بن غالبٍ ... كِرَام المَساعى مَجْدُهم غير زَائل[2]

مُهَذَّبـةٌ قد طَيَّبَ اللّهُ خِيمَهـا ... وطَهَّرَها مِنْ كُلّ سُوءٍ وباطل[3]

فان كُنْتُ قد قلتُ الذى قد زَعمْتَمُ ... فَلا رفَعتْ سَوْطِى إلَىَّ أنامِلـى[4]

وكيفَ ووُدّى ما حَييتُ ونُصْرتى ... لآل رسولِ اللّهِ زَيْن المَحـافِل

له رَتَب عالٍ على النَّاس كُلِّهِمْ ... تَقاصَرُ عنه سَوْرَة المُتَطـاوِل[5]

فإنّ الذى قد قيلَ لَيْس بلائـطٍ ... ولكنَّه قَوْلُ امرىءٍ بَى مـاحِل[6]

أمر الحديبية فى آخر سنة ست ، وذكر بيعة الرضوان والصّلْـح بيـن رسـول الله ﷺ وبين سهيل بن عمرو

خـروج الرســول :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهرَ رمضان وشوّالا ، وخرج فى ذى القعدة معتمرًا ، لا يريد حربا .

---

(١) الحصان : العفيفة . (ترتيب القاموس المحيط ص ٦٥٧ ح ١) .
الرزان · الملازمة موضعها . (لسان العرب ص ١٧٩ ج ١٣) .
ما تزن : ما تتهم . (لسان العرب ص ٢٠٠ ح ١٣) .
عرثى : حائعة . (ترتيب القاموس المحيط ص ٣٨٠ ح ٣) .
العوافل : جمع عافلة ويعنى بها الغافلة القلب عن الشر .

(٢) العقيلة : الكريمة . (ترتيب القاموس المحيط ص ٢٧٨ ح ٣) .
المساعي : حمع مسعاة . (ترتيب القاموس المحيط ص ٥٦٨ ج ٢) .

(٣) الحيم : الطبع . (ترتيب القاموس المحيط ص ١٤٠ ح ٢) .

(٤) الأنامل : الأصابع . ومفردها الأنمل . (لسان العرب ص ٦٧٩ ح ١١) .

(٥) الرتب . ما ارتفع من الأرض وعلا . ويريد به هنا الشرف والمجد . والسورة (بفتح السين) الوثبة . (وبضم السين) : المنزلة . (ترتيب القاموس ص ٢٩٨ ج ٢) .

(٦) لائط . لاصق . والماحل : الماشى بالنميمة . (ترتيب القاموس ص ٢١٠ ح ٤) .

استنفار الرسول الناس :

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومَن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قُريش الذى صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيتَ ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب ، وخرج رسولُ الله ﷺ بمَن معه من المهاجرين والأنصار ومن لَحِق به من العرب ، وساق معه الهَدْى ، وأحرم بالعُمرة ليأمن النَّاسُ من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرْاً لهذا البيت ومعظّما له .

قال ابن إسحاقٍ : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ ، عن عَروة ابن الزبير عن مِسْوَر بن مَخْرمة ومَرْوان بن الحَكم أنهما حدّثاه قالا : خرجَ رسول الله ﷺ عام الحُدَيْبِية[1] يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالا ، وساق معه الهَدْىَ سَبعين بَدَنةً ، وكان الناس سبع مائة رجل ، فكانت كلّ بدنة عن عَشْرة نفر .

وكان جابر بن عبد الله ، فيما بلغنى ، يقول : كنَّا أصحابَ الحُدَيبية أربعَ عشرة مائة .

قال الزهرى : وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان بعُسْفان[2] لَقِيه بشر بن سُفيان الكَعْبى ـ قال ابن هشام : ويقال بُسْر ـ فقال : يا رسول الله هذه قُريش ، قد سَمِعت بمَسيرك ، فخرجوا معهم العُوذ المَطافِيل[3] ، قد لَبِسوا

---

(١) الحديبية (بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء . وقد اختلف فيها فمنهم من شدد ومنهم من خفف) : قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة بايع رسول الله ﷺ تحتها ، بينها وبين مكة مرحلة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل (عن معجم البلدان) .

(٢) عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ؛ وقيل : هى بين المسجدين ، وهى من مكة على مرحلتين ؛ وقيل غير ذلك . (راجع معجم البلدان) .

(٣) العوذ : جمع عائذ ، وهى من الإبل الحديثة النتاج . (ترتيب القاموس المحيط ص ٣٤٠ ج ٣) .
المطافيل : التى معها أولادها . (ترتيب القاموس المحيط ص ٢٥٨ ح ٤) .

جُلودَ النُّمور ، وقد نَزلوا بذى طُوى[١] ، يُعاهدون الله لا تَدْخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خَيْلِهم قد قَدّموها إلى كُراع الغَميم[٢] ؛ قال : فقال رَسُولُ الله ﷺ : يا وَيْحَ قُريش ! لقد أكَلتهم الحربُ ، ماذا عليهم لو خَلَّوا بينى وبين سائر العرب ، فان هم أصابُونى كان الذى أرادُوا ، وإن أظْهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافِرين ، وإن لم يَفْعلوا قاتَلُوا وبهم قُوّة ، فما تَظُنّ قريش ، فوالله لا أزال أُجاهد على الذى بَعثنى الله به حتى يُظهره الله أو تَنْفرد هذه السَّالفة[٣] ، ثم قال : مَنْ رجل يَخْرج بنا على طَريق غير طَريقهم التى هُمْ بها ؟

تجنب الرسول لقاء قريش :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن أبى بكر : أن رجلا من أسْلم قال : أنا يا رسول الله ؛ قال : فسَلك بهم طريقا وعرًا أجرَل[٤] بين شِعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شقّ ذلك على المُسلمين وأفْضوا إلى أرض سَهْلة عند مُنْقطع الوادى ؛ قال رسولُ الله ﷺ للناس : قُولوا نَستغفر اللّهَ ونَتوب إليه ؛ فقالوا ذلك ، فقال : واللّهِ إنها لَلْحِطَّة[٥] التى عُرِضت على بنى إسرائيل . فلم يقولوها .

قال ابنُ شهاب : فأمر رسولُ الله ﷺ الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظَهْرى الحَمْش ، فى طريقٍ (تُخرجه) على ثَنِيَّة المُرَار مَهْبط الحُديبية من أسفل مكَّة ؛ قال : فسلك الجيشُ ذلك الطريق ، فلما رأت خيلُ قريش قَترَة[٦] الجيش قد خالَفوا عن طَريقهم ، رَجعوا راكضين إلى قُريش ، وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا سلك ، فى ثَنيَّة المُرار بركت ناقته ، فقالت

---

(١) دو طوى : موضع قرب مكة . (ترتيب القاموس المحيط ص ١١٤ ح ٣) .
(٢) كُراع العميم : موضع ساحية الححار بين مكة والمدينة . (لسان العرب ص ٣٠٩ ح ٨) .
(٣) السَّالفة : صفحة العنق . (لسان العرب ص ١٥٩ ج ٩) .
(٤) أحرَل : الكثير الحجارة . (ترتيب القاموس المحيط ص ٥٩٨ ح ٢) .
(٥) الحطة : يريد قول الله تعالى لبنى إسرائيل : ﴿ وقولوا حطة ﴾ ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .
(٦) قترة الحيش : عباره . (ترتيب القاموس المحيط ص ٥٥٨ ح ٣) .

الناس : خَلأت[1] الناقة ، قال : ما خلأتْ وما هو لها بخُلق ، ولكنْ حبَسها حابسُ الفِيل عن مكة . لا تَدْعونى قريش اليومَ إلى خُطَّة يسألوننى فيها صِلَة الرحم إلا أعطيتُهم إياها . ثم قال للناس : انزلُوا ؛ قيل له : يا رسول الله : ما بالوادى ماءٌ ننزل عليه ، فأخرج سهما من كِنانته ، فأعطاه رجلا من أصحابه ، فَنزل به فى قَلِيب[2] من تلك القُلُب . فغَرزه فى جَوفه ، فجاش[3]بالرَّواء[4] حتى ضَرب الناس عنه بعَطَن[5] .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعضُ أهل العلم عن رجال من أسْلم : أن الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جُندبَ بن عمير بن يَعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة ابن سَهْم بن مازن بن سلامان بن أسْلم بن أفْصى بن أبى حارثة ، وهو سائق بُدْن رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى بعضُ أهل العلم : أن البَراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسَهم رسول الله ﷺ ؛ فالله أعلم أىّ ذلك كان .

وقد أنْشدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجيةُ ، قد ظَننا أنه هو الذى نزَل بالسهم ، فزعمت أسلم أن جاريةً من الأنصار أقبلت بدَلْوها ، وناجية فى القَلِيب يميح[6] على الناس ، فقالت :

يأيها المائح دَلْوى دُونَكا إنى رأيتُ الناسَ يَحْمَدونَكا

يثْنون خيرًا ويُمجِّدونكا

فقال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأنّ رسولُ الله ﷺ أتاهُ بُدَيل بن وَرْقاء الخُزاعىّ ، فى رجال من خُزاعة ، فكلَّموه وسألوه : ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم

---

(١) خلأت : بركت . قال أبو ذر : « الخلاء فى الإبل : بمنزلة الحران فى الدواب ، وقال بعضهم : لا يقال إلا للناقة خاصة . (ترتيب القاموس المحيط ص ٨٧ ج ٢) .

(٢) القليب : البئر . (ترتيب القاموس المحيط ص ٦٧٢ ح ٣) .

(٣) جاش : ارتفع . (ترتيب القاموس المحيط ص ٤٣٢ ح ٣) .

(٤) الرواء (بفتح الراء) : الكثير . (ترتيب القاموس المحيط ص ٤١٨ ح ٢) .

(٥) العطن : مبرك الإبل حول الماء . (ترتيب القاموس المحيط ص ٢٥٤ ح ٣) .

(٦) يميح على الناس : يملأ الدلاء . (لسان العرب ص ٦٠٨ ج ٢) .

أنه لم يأت يُريد حربا ، وإنما جاء زائرًا للبيت ، ومعظّما لحُرمته ، ثم قال لهم نحوًا مما قال لبِشر بن سُفيان ، فرَجعوا إلى قُريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تَعْجلون على محمد ، إن محمدا لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائرًا هذا البيت ، فاتهموهم وجَبَّهوهم(١) وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالا ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ، ولا تحدّثُ بذلك عنّا العرب .

قال الزهرى : وكانت خُزاعة عَيْبة نُصْح(٢) رسول الله ﷺ ، مُسْلمُها ومُشْركها ، لايُخفون عنه شيئا كان بمكة .

قال : ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حَفْص بن الأَخْيَف ، أخا بنى عامر بن لؤَىّ ، فلما رآه رسول الله ﷺ مُقبلا قال : هذا رجل غادِر ؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلَّمه ، قال له رسولُ الله ﷺ نحوًا مما قال لبُدَيل وأصحابه ، فرجع إلى قُريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ .

ثم بعثوا إليه الحُلَيس بن عَلقمة أو ابن زَبَّان ، وكَان يومئذ سَيِّد الأحابيش ، وهو أحد بنى الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة ؛ فلما رآه رسول الله ﷺ قال : إن هذا من قوم يتألّهون(٣) ، فابعثوا الهَدْى فى وجْهه حتى يراه ، فلما رأى الهَدْى يَسيل عليه من عُرْض(٤) الوادى فى قلائده(٥) ، وقد أكل أوْباره من طُول الحَبس عن مَحلِّه(٦) ، رجع إلى قُرَيْش ، ولم يَصِل إلى رسولِ اللّهِ ﷺ إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فانما أنت أعْرابى لا عِلْم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن الحُلَيس غضب عند ذلك وقال : يا معشر قُريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا

---

(١) جبهوهم : خاطبوهم بما يكرهون . (لسان العرب ص ٤٨٣ ج ١٣) .
(٢) عيبة نصح الرسول ، أى خاصته وأصحاب سره . (لسان العرب ص ٦٣٤ ج ١)
(٣) يتألهون : يتعبدون ويعظمون أمر الإله . (لسان العرب ص ٤٦٨ ج ١٣) .
(٤) عرض الوادى : جانبه . (ترتيب القاموس المحيط ص ١٩٤ ج ٣) .
(٥) القلائد : ما يعلق فى أعناق الهدى ليعلم أنه هدى . (ترتيب القاموس ص ٦٧٤ ج ٣) .
(٦) محله : موضعه الذى ينحر فيه من الحرم . (لسان العرب ص ١٦٦ ج ١١) .

عاقدناكم أيُصدّ عن بيت الله من جاء معظّما له ! والذى نفس الحُلَيس بيده ، لتُخَلّن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفْرة رجل واحد . قال : فقالوا له : مَهْ ، كفّ عنا يا حُلَيس حتى نأخذَ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهرىّ فى حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عُروة بن مَسعود الثَّقفى ؛ فقال : يا معشر قريش ، إنى قد رأيت ما يلْقى منكم مَنْ بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التَّعنيف وسُوء اللَّفظ ، وقد عَرفتم أنكم والدٌ[1] وإنى وَلد وكان عُروة لسُبَيعة بنت عبد شمس - وقد سمعت بالذى نابكم ، فجمعتُ من أطاعنى من قومى ، ثم جِئْتكم حتى آسَيْتكم[2] بنفسى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد ، أجمعتَ أَوْشاب[3] الناس ، ثم جِئْتَ بِهم إلى بَيْضَتك[4] لتَفُضّها[5] بهم ، إنها قُريش قد خَرجت معها العُوذُ المطافِيل . قد لَبِسوا جُلود النُّمور ، يُعاهدون الله لا تَدخُلها عليهم عَنْوة أبدا . وايْم الله ، لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عَنْك غَدا . قال : وأبو بكر الصدّيق خَلْف رسول الله ﷺ قاعد ؛ فقال . امصُصْ بظْر اللات ، أنحن نَنْكشِف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبى قُحافة ؛ قال : أما والله لولا يدٌ كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ؛ قال : ثم جعلَ يتَناول لِحْية رسولِ الله ﷺ وهو يكلّمه . قال : والمغيرة بنُ شُعْبة واقف على رأس رسول الله ﷺ فى الحديد . قال : فجعلَ يقْرع يَده إذا تناول لِحْية رسول الله ﷺ ، ويقول : أكفف يدَك عن وَجْه رسول الله ﷺ قبلَ أن لا تصلَ إليك ؛ قال : فيقول عروة : ويحك ! ما أفظَّك وأغلظك ! قال : فتبسّم رسولُ الله ﷺ ؛ فقال له عُروة : مَن هذا يا محمد ؟

---

(١) والد : أى كل واحد منكم كالوالد . وقيل أى أنكم حى قد ولدنى لأنه كان لسفيعة بنت عبد شمس . (لسان العرب ص ٤٦٧ ج ٣) .

(٢) آسيتكم : عاونتكم . (لسان العرب ص ٣٥ ح ١٤) .

(٣) الأوشاب : الأخلاط . (ترتيب القاموس المحيط ص ٦١٣ ج ٤) .

(٤) بيضة الرحل . أهله وقبيلته . (لسان العرب ص ١٢٧ ج ٧) .

(٥) تفضها : تكسرها (لسان العرب ص ٢٠٦ ح ٧) .

قال : هذا ابن أخيك المُغيرة بن شُعْبة ؛ قال : أى غُدَر ، وهل غَسَلْتُ سَوْءتَك إلا بالأمس .

قال ابن هشام : أراد عُروة بقوله هذا أن المُغيرة بن شُعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك ، من ثقيف ، فتهايج الحَيَّان من ثقيف : بنو مالك رهط المَقتولين ، والأحلاف رَهْط المُغِيرة ، فوَدَى عُروة المَقْتولين ثلاثَ عَشرة ديَةَ ، وأصلح ذلك الأمر .

قال ابن إسحاق قال الزهرى : فكلَّمه رسول الله ﷺ بنَحْو مما كلَّم به أصحابه ، وأخْبره أنه لم يأتِ يُريد حَرْبا .

فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابُه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يَبْصق بُصاقا إلا ابتدروه . ولا يَسْقط من شَعره شىء إلا أخذوه . فرجع إلى قُريش ، فقال : يا معشر قُريش ، إنى قد جِئْت كِسْرى فى مُلكه ، وقيصر فى مُلكه . والنَّجاشىَّ فى مُلكه . وإنى والله ما رأيت مَلِكا فى قوم قطّ مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيتُ قوما لا يُسْلمونه لشىء أبدا ، فَرَوْا رأيكم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أميَّة الخُزاعى ، فبَعثه إلى قُرَيْش بمكة ، وحَمَله على بعير له يقال له الثَّعلب ، ليبلِّغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعَقروا به جمل رسول الله ﷺ ، وأرادوا قَتْله ، فمَنَعَتْه الأحابيش، فخلَّوا سبيله ، حتى أتى رسولَ الله ﷺ .

النفر القرشيون الذين أرسلتهم قريش للعدوان ثم عفا عنهم الرسول :

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعضُ من لاأتهم عن عكْرِمة مولى ابن عبَّاس عن ابن عبَّاس : أن قُرَيشا كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين رجلا ، وأمروهم أن يُطيفوا بعَسْكر رسول الله ﷺ ، ليُصيبوا لهم من أصحابه أحدًا ، فأخذوا أخذا ، فأتِى بهم رسول الله ﷺ ، فعَفا عنهم ، وخلَّى سبيلهم ، وقد كانوا رَمَوْا فى عسكر رسولِ الله ﷺ بالحجارة والنَّبْل .

عثمان بن عفان رسول محمد ﷺ إلى قريش :

ثم دعا عمرَ بن الخطَّاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلِّغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، قال : يا رسول الله ، إنى أخاف قريشا على نفسى ، وليس بمكة من بنى عدىّ بن كَعْب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قُرَيش عداوتى إياها ، وغلْظتى عليها ، ولكنى أدلك على رجل أعَزّ بها منى ، عثمانَ بن عفَّانَ . فدعا رسولُ الله ﷺ عثمانَ بن عفَّان ، فبَعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش ، يُخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ، ومعظِّما لحُرْمته .

● **إشاعة مقتل عثمان بن عفان :**

قال ابن إسحاق : فخرج عثمانُ إلى مكة ، فلَقيه أبانُ بن سَعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلَّغ رسالةَ رسول الله ﷺ ؛ فانطلق عثمانُ حتى أتى أبا سُفيان وعُظماء قريش ، فأبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم : إن شئت أن تَطُوف بالبيت فطُف ؛ فقال : ما كنتُ لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ . واحتَبسته قريش عندها ، فبلَغ رسولَ الله ﷺ والمسلمين أنّ عثمان بن عفَّان قد قتل .

بيعــة الرضــوان

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أنّ رسولَ الله ﷺ ، قال حين بلغه أنّ عثمان قد قُتل : لا نَبْرح حتى نُناجز القوم ، فدعا رسولُ الله ﷺ الناس إلى البيعة . فكانت بيْعة الرّضْوانِ تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايَعهم رسول الله ﷺ على المَوْت ، وكان جابرُ بن عبد الله يقول : إن رسولَ الله ﷺ لْم يُبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفرّ .

فبايع رسول الله ﷺ الناس ، ولم يتخلَّف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجَدّ بن قيس ، أخو بنى سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنى أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته . قد ضَبأ[1] إليها ، يَسْتتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله ﷺ أنّ الذى ذُكر من أمر عثمان باطل .

---

(١) ضبأ إليها : لصق بها واستتر . (ترتيب القاموس المحيط ص ٤ ح ٣) .

قال ابن هشام : فذكرَ وكيع عَن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشَّعبّى : أن أول منْ بايع رسولَ الله ﷺ بيعةَ الرّضوان أبو سِنان[1] الأسدى .

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به عمن حدثه باسْناد له ، عن ابن أبى مُلَيكة عن ابن أبى عمر : أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان ، فضَرب باحدى يديه على الأخرى .

أمــــر الهدنـــة

إرسال قريش سهيلا إلى الرسول ﷺ للصلح :

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : ثم بعثتْ قُريش سُهَيل بن عمرو ، أخا بنى عامر ابن لُؤَىّ ، إلى رسول الله ﷺ ، وقالوا له : ائْتِ محمدًا فصالِحْه ولا يكن فى صُلْحه إلا أن يرجعَ عنَّا عامه هذا ، فوالله لا تحدّث العربُ عنَّا أن دَخَلَها علينا عَنْوَةً أبدا . فأتاه سُهيل بن عمرو ؛ فلما رآهُ رسولُ الله ﷺ مقبلاً ، قال : قد أراد القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سُهيل ابن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلَّم فأطال الكلامَ ، وتراجَعا ثم جرى بينهما الصلح[2] .

عمر ينكر على الرسول ﷺ الصلح :

فلما التأم الأمر ولم يَبْقَ إلا الكتابُ ، وثَب عمر بن الخطَّاب ، فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ؛ قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فعلام نُعطى الدّنِيَّة[3] فى ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غَرْزه[4] ، فإنى أشهد

---

(١) اختلف فى اسم أبى سنان هذا ، فقيل : وهب بن عبد الله ، وقيل : عبد الله بن وهب ، وقيل : عامر ؛ وقيل بل اسمه وهب بن محصن بن حرثان ، أخو عكاشة بن محصن ، وهذا الرأى الأخير أصح الأدلة وكانت وفاته فى سنة خمس من الهجرة وهو ابن أربعين سنة . (راجع الاستيعاب) .

(٢) كان صلح الحديبية بداية عهد جديد فى حياة المسلمين . فقد تصالح مع النبى ﷺ أقوى أجنحة الأحزاب الثلاثة فى غزوة الخندق - قريش وغطفان واليهود - وأعطت هذه الهدنة فرصة كبيرة للمسلمين ، لنشر الدعوة الإسلامية وبدأ النبى ﷺ . يراسل الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام .

(٣) الدنية . الذل والأمر الخسيس . (ترتيب القاموس المحيط ص ٢٢٠ ج ٢)

(٤) الزم غرزه : أى الزم أمره . والغرز الرحل : بمنزلة الركاب السرج . (لسان العرب ص ٣٨٦ ج ٥) .

أنه رسولُ الله ؛ قال عمر : وأنا أشهد أنه رسولُ الله ؛ ثم أتى رسولَ الله ﷺ فقال : يا رسول الله ألستَ برسول الله ؟ قال : بلى ؛ قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ؛ قال : أو ليْسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فعَلام نُعْطَى الدَّنِيَّة فى ديننا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسوله ، لن أُخالفَ أمرَه ، ولن يُضيِّعنى ! قال : فكان عُمر يقول : مازلت أتصدّق وأصوم وأصلي وأُعتق ، مِن الذى صنعتُ يومئذٍ ! مخافةَ كلامى الذى تكلَّمت به ، حتى رجوتُ أن يكون خيرًا .

شـــروط الصلـــح :

قال : ثم دَعا رسولُ الله ﷺ علىَّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : اكتبْ : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ قال : فقال سُهَيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللّهمّ ؛ فقال رسولُ الله ﷺ : اكتب باسمك اللهمّ ، فكتبها ؛ ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ سُهَيل بن عمرو ؛ قال : فقال سُهيل : لو شهدت أنّك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسْمك واسم أبيك ؛ قال : فقال رسولُ الله ﷺ : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سُهَيل بن عمرو ، اصطلحا على وَضع الحرب عن الناس عشرَ سنين يَأمن فيهنّ الناسُ ويكفُّ بعضُهم عن بعض ، على أنه مِن أتى محمدًا من قُرَيش بغير إذن وليِّه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردّوه عليه ، وإن بيننا عَيْبة مكفوفة(١) ، وأنه لا إسلال(٢) ولا إغلال(٣) ، وأنه من أحبّ أن يدخل في عقْد محمد وعَهْده دَخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل فى عقد قُرَيش وعهدهم دخل فيه .

دخول خزاعة فى عهد محمد وبنى بكر فى عهد قريش :

فتواثبت خُزاعة فقالوا : نحن فى عقْد محمد وعَهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن فى عَقْد قُريش وعَهْدهم ، وأنَّك ترجع عنَّا عامَك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل ، خرَجنا عنك فدَخلْتها بأصحابك ، فأقمتَ بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب ، السُّيوف فى القُرُب ، لا تدْخلها بغيرها .

---

(١) أى صدور منطوية على ما فيها ، لا تبدى عداوة ، وضرب العيبة مثلا . (لسان العرب ص ٦٣٤ ج ١) .
(٢) الإسلال : السرقة الخفية . (لسان العرب ص ٣٤٢ ج ١١) .
(٣) الإغلال : الخيانة . (لسان العرب ص ٥٠٠ ج ١١) .

ما أهم الناس من الصلح ومجىء أبى جندل :

فبينما رسولُ الله ﷺ يكتب الكتابَ هو وسُهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جَنْدل بن سُهيل بن عمرو يَرْسُف فى الحديد ، قد انفلتَ إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان أصحابُ رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشُكُّونَ فِى الفَتْح ، لرُؤْيا رآها رسولُ الله ﷺ ، فلما رأَوْا ما رأَوْا من الصُّلح والرُّجوع ، وما تحمل عليه رسولُ الله ﷺ فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمرٌ عظيم ، حتى كادوا يهلكون ؛ فلما رأى سُهيل أبا جَنْدل قام إليه فضَرَب وَجْهه ، وأخذ بتلبيبه ؛ ثم قال : يا محمد ، قد لَجَّت[1] القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ؛ قال : صدقتَ ، فجعل ينتره[2] بتلبيبه ، ويجرّه ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جَنْدل يَصْرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أأُرَدّ إلى المشركين يَفْتنوننى فِى دينى ؟ فزاد ذلك النَّاسَ إلى ما بهم ، فقال رسولُ الله ﷺ : يا أبا جَنْدل ؛ اصبر واحتسِبْ ، فان الله جاعِلٌ لك ولمن معك من المُستضعفين فرَجا ومَخْرجا ، إنَّا قَد عَقدنا بيننا وبين القوم صُلحا ، وأعطيناهم على ذلك ؛ وأعطونا عهد الله ، وإنَّا لا نَغْدِر بهم ؛ قال : فوثب عمر بن الخطَّاب مع أبى جندل يَمْشى إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فانما هم المشركون ، وإنما دَمُ أحدهم دم كلب . قال : ويُدْنى قائم السَّيف منه . قال : يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السَّيفَ فيضرب به أباه ؛ قال : فضنّ الرجل بأبيه ، ونفذت القضيَّة .

مـن شهـدوا علـى الصلـح :

فلما فرغ (رسول الله ﷺ) من الكتاب أشْهَد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصدّيق ، وعمر بن الخطَّاب ، وعبد الرحمن بن عَوْف ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ، وسَعد بن أبى وقَّاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومِكْرَز بن حَفْص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلىّ ابن أبى طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

---

(١) لجت القضية . وجبت . (لسان العرب ص ٣٥٥ ج ٢) .

(٢) ينتره : يجذبه جذبا شديدا . (لسان العرب ص ١٩٠ ح ٥) .

• دعوة الرسول للمحلقين والمقصرين :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ مضطربا فى الحِلّ(١) ، وكان يُصلى فى الحرم ، فلما فرغ من الصُّلح قدم إلى هَدْيه فنحره ، ثم جلس فحَلَق رأسه ، وكان الذى حَلقه ، فيما بلغنى ، فى ذلك اليوم خِراش بن أُميَّة بن الفضل الخزاعىّ ؛ فلما رأى الناسُ أن رسولَ الله ﷺ قد نَحر وحَلَق تواثبوا يَنْحَرون ويَحْلِقون .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مُجاهد ، عن ابن عبَّاس ، قال : حلق رجالٌ يوم الحُدَيبية ، وقَصَّر آخرون . فقال رسولُ الله ﷺ : يَرْحم الله المحلِّقين ، قالوا : والمُقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلِّقين ؛ قالوا : والمقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلِّقين ؛ قالوا : والمقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : والمقصِّرين ؛ فقالوا : يا رسول الله : فلم ظاهرت(٢) الترحيم للمحلِّقين دون المقصِّرين ؟ قال : لم يشكُّوا .

وقال عبد الله بن أبى نَجيح : حدثنى مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ أهْدى عام الحُدَيبية فى هَداياه جملا لأبى جَهْل ، فى رأسه بُرَةٌ(٣) من فضَّة ، يغيظ بذلك المشركين .

نـزول سـورة الفتـح :

قال الزهرى فى حديثه : ثم انصرف رسولُ الله ﷺ من وجهه ذلك قافلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ

---

(١) مصطربا فى الحل : أى أن أبنيته كانت مصروبة فى الحل ، وكانت صلاته فى الحرم ، وهذا لقرب بيته من الحرم . (لسان العرب ص ١٦٥ ح ١١) .

(٢) طاهرت الترحيم . أى قويته أكدته بتكريرك إياه ؛ والمطاهرة : القوة والمعاونة .(لسان العرب ص ٥٢٥ ج ٤) .

(٣) البرة : حلقة تجعل فى أنف البعير ليذل ويرتاض ، فإن كانت من شعر فهى خزامه ، وإذا كانت من حشب فهى حشاش . (ترتيب القاموس المحيط ص ٢٦٤ ح ١) .

فتحا مُبينا ليَغفِرَ لكَ اللّهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِك ومَا تأخَّرَ ، ويُتِمَّ نِعْمَته عَلَيْكَ ، ويَهْدِيَكَ صِرَاطا مُسْتقيما ﴾(١) .

ذكـــر البيعـــة :

ثم كانت القصّة فيه وفى أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيْعة ، فقال جلّ ثناؤه : **﴿ إنَّ الَّذِينَ يُبايعُونكَ إنَّمَا يُبايعُونَ اللّهَ ، يَدُ اللّهِ فَوْقَ أيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكثَ فإنَّمَا يَنْكُثُ على نَفْسِهِ ، وَمَنْ أوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللّهَ ، فَسَيُؤْتِيهِ أجْرًا عَظِيما ﴾**(٢) .

ذكـــر مـــن تخلـــف :

ثم ذكر من تخلّف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استفزّهم للخروج معه فأبطأوا عليه : **﴿ سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأعْرَابِ شَغَلَتْنا أمْوَالُنَا وأهْلُونا ﴾**(٣) . ثم القصّة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : **﴿ سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ إذا انْطَلَقْتُمْ إلى مَغانِمَ لِتأْخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ ، يُرِيدُونَ أنْ يُبَدِّلوا كَلامَ اللّهِ ، قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا كَذَلِكُمْ قالَ اللّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾**(٤) .. ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عَن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس ، قال : فارس : قال ابن إسحاق : وحدثنى من لاأتهم ، عن الزهرى أنه قال : أولو البأس الشديد حنيفةُ مع الكذّاب .

ثم قال تعالى : **﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللّهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إذْ يُبايِعُونكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ ما فِى قُلُوبِهِمْ ، فَأنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ، وأثابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبا . ومَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها ، وكانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيما . وعَدَكُمُ اللّهُ مغانِمَ كَثِيرَةً**

---

(١) سورة الفتح من الآية ١ إلى الآية ٢ .
(٢) سورة الفتح الآية رقم ١٠ .
(٣) سورة الفتح الآية رقم ١١ .
(٤) سورة الفتح الآية رقم ١٥ .

تأخذونها فعجّل لكم هذه ، وكفّ أيدى النّاس عنكم ، ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما . وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط اللّه بها ، وكان اللّه على كلّ شئ قديرًا ﴾ .

ذكر كف الرسول عن القتال :

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال ، بعد الظفر منه بهم ، يعنى النّفر الذين أصاب منهم وكفّهم عنه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أنْ أظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وكانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ . ثم قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُم عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ والهَدْىَ مَعْكُوفا أنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ﴾[1] .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَلَوْلا رجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بغيرِ عِلْمٍ ﴾ ، والمعرّة : الغرم ، أى أن تصيبوا منهم (معرّة) بغير علم فتخرجوا دِيَته ، فإما إثم فلم يخشه عليهم .

قال ابن هشام : بلغنى عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية فى الوليد ابن الوليد بن المُغيرة ، وسَلَمة بن هشام ، وعَيَّاش بن أبى ربيعة ، وأبى جَنْدل ابن سُهيل ، وأشباههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ إذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ ﴾[2] يعنى سهيل بن عمرو حين حَمِى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن محمدًا رسول الله ، ثم قال تعالى : ﴿ فأنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلى المُؤْمِنِينَ ، وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ

---

(١) سورة الفتح من آية ١٦ لغاية آخر آية ٢٥ . (مع مراجعة كتب التفاسير الطبرى والألوسى .

(٢) سورة الفتح الآية رقم ٢٦ .

التَّقْوَى ﴾ ، وكانوا أحقّ بها وأهلَها)(١) : أى التوحيد ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله .

ثم قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شاءَ اللّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تخافُون فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا** ﴾(٢) : أى لرؤيا رسول الله ﷺ التى رأى ، أنه سيدخل مكة آمنا لا يخاف ؛ يقول : محلِّقين رؤوسكم ، ومقصِّرين معه لا تخافون ، فعلم من ذلك ما لم تعلموا ؛ فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ، صلح الحديبية .

يقول الزهرى : فما فُتح فى الإسلام فتح قبلَه كان أعظَم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ؛ فلما كانت الهُدنة ، ووُضعت الحرب ، وآمن الناس بعضُهم بعضا ، والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمُنازعة ، فلم يكلِّم أحد بالإسلام يَعْقل شيئا إلا دخل فيه .

ما جرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح

مجىء أبى بصير إلى المدينة وطلب قريش له :

قال ابن إسحاق : فلمَّا قدِم رسول الله ﷺ المدينة أتاه أبو بَصير عُتْبة ابن أَسِيد بن جارية ، وكان ممن حُبس بمكة ، فلما قَدِم رسول الله ﷺ كتب فيه أزْهَر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرَة ، والأخنس بن شَريق ابن عمرو بن وهب الثَّقفى إلى رسولِ الله ﷺ ، وبعثا رجلا من بنى عامر ابن لُؤَىّ ، ومعه مولى لهم ، فقَدما على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر والأخنس ؛ فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القومَ ما قد علمتَ ، ولا يصلحُ لنا فى ديننا الغدرُ ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المُسْتَضْعَفين فرجا ومخرجا ، فانْطَلِق إلى قومك ؛ قال يا رسول الله ، أتردّنى

---

(١) سورة الفتح الآية رقم ٢٦

(٢) سورة الفتح الآية رقم ٢٧ .

إلى المشركين يَفْتنوننى فى دينى ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلِق ، فانّ الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المُسْتَضْعفين فرجا ومخْرجا .

فانطلَق معهما ، حتى إذا كان بذى الحُلَيفة[1] ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بَصير : أصارمٌ سيفك هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال : نعم ؛ قال : أنظر إليه ؟ قال : انظر ، إن شئت . قال : فاستلّه أبو بَصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ طالعا ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فزعا ؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، قال : ويحك ! مالك ؟ قال : قَتَل صاحبُكم صاحبى . فوالله مابَرح حتى طلَع أبو بَصير متوشّحا بالسَّيف ، حتى وقف على رسولِ الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، وفَت ذِمتّك ، وأدّى الله عنك ، أسلَمتنى بيد القوم وقد امتنعتُ بدينى أن أُفتن فيه ، أو يُعْبَث بى . قال : فقال رسول الله ﷺ : ويل امِّه مَحش[2] حرب لو كان معه رجال !

• اجتماع المحتبسين إلى أبى بصير وإيذاؤهم قريشا وإيواء الرسول ﷺ لهم :

ثم خرج أبو بَصير حتى نزل العِيصَ ، من ناحية ذى المَرْوة ، على ساحل البحر ، بطريق قُرَيش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المُسْلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قولُ رسول الله ﷺ لأبى بصير : « وَيْلُ امِّه مَحَشُّ حَرب لو كان معه رجال ! » ، فخرجوا إلى أبى بصير بالعِيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا ، وكانوا قد ضيَّقوا على قُرَيش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تَمُرُّ بهم عِيرٌ إلا اقتطعوها ، حتى كتبت

---

(١) دو الحليفة : قرية بيها وبين المدينة ستة أميال ، أو سبعة . ومنها ميقات أهل المدينة .
(لسان العرب ص ٥٦ ح ٩) .

(٢) محش حرب : موقد حرب ومهيجها ؛ يقال : حششت النار ، وارثتها ، وأذكيتها ، وسعرتها ، بمعنى واحد . وفى الصحيح : « ويل أمه مسعر حرب » . (لسان العرب ص ٢٨٥ ح ٦) .

قُريش إلى رسول الله ﷺ تسأل بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم . فآواهم رسول الله ﷺ ، فقدموا عليه المدينة .

قال ابن هشام : أبو بصير ثَقفىّ .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ سُهَيل بن عمرو قتلُ أبى بَصير صاحبَهم العامرىّ ، أسند ظهرَه إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظَهْرى عن الكَعبة حتى يُودَى هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لهو السَّفه ، والله لا يُودَى ثلاثا .

أمـر المهاجـرات بعـد الهدنـة

هجرة أم كلثوم إلى الرسول ﷺ وإباؤه ردها :

• قال ابن إسحاق : وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أمّ كُلثوم بنت عُقْبة بن أبى مُعَيط فى تلك المدة ، فخرج أخَوَاها عُمارة والوليد ابنا عُقْبة ، حتى قَدِما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردّها عليهما بالعَهْد الذى بينه وبَين قُريش فى الحُديبية ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

سؤال ابن هنيدة لعروة عن آية المهاجرات ورده عليه :

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزُّهرى ، عن عُروة بن الزُّبير ، قال : دخلت عليه وهو يَكْتب كتابا إلى ابن أبى هنيدة ، صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى : ﴿ **يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ ، اللّهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِنَّ ، فانْ عَلِمْتُمُوهُن مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ ، لا هُنَّ حِلٌ لَهُمْ ، وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وآتُوهُمْ ما أنْفَقُوا ، وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَنْكِحُوهُنَّ إذَا آتَيْتُموهُنَّ أجُورَهُنَّ ، وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ وَاسْئَلُوا ما أنْفَقْتُمْ ، وَلْيَسْئَلُوا ما أنْفَقُوا ، ذَلَكُمْ حُكْمُ الله يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[1] .

---

(١) سورة الممتحنة آية ١١ .

قال : فكتب إليه عُروة بن الزُّبير : إن رسول الله ﷺ ، صالح قُرَيشا يوم الحُدَيبية على أن يردّ عليهم مَنْ جاء بغير إذن وليّه ؛ فلما هاجر النساءُ إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام ، أبَى اللّهُ أنْ يُرْدَدْنَ إلى المُشركين إذا هنّ امتُحنّ بمِحْنة الإسلام ، فعَرفوا أنهنّ إنما جئن رغبة فى الإسلام ، وأمرَ بردّ صَدُقاتهنّ إليهم إن احتَبَسن عنهم ، إن هم ردّوا على المسلمين صداقَ من حبسوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم . فأمسك رسول الله ﷺ النساء وردَّ الرجال ، وسأل الذى أمره الله به أن يسأل من صدُقات نساءِ من حُبسوا منهنّ ، وأن يردّوا عليهم مثل الذى يردّون عليهم ، إن هم فعلوا ، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لردّ رسول الله ﷺ النساء كما ردّ الرجال ، ولولا الهُدنة والعَهْد الذى كان بينه وبين قُريش يوم الحُديبية لأمسك النساء ، ولم يردُدْ لهنّ صداقا ، وكذلك كان يصنع بمَنْ جاءه من المسلمات قبل العهد .

سؤال ابن إسحاق الزهرى عن آية المهاجرات :

قال ابن إسحاق : وسألت الزُّهْرى عن هذه الآية ، وقول الله عزّ وجلّ فيها : ﴿ **وإنْ فاتَكُمْ شَىْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فعاقَبْتُمْ ، فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنْفَقُوا ، واتَّقُوا اللّهَ الَّذِى أنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ** ﴾[1] فقال : يقول : إن فات أحدًا منكم أهلُه إلى الكفّار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم ، فعوّضوهم من فَىْءٍ إن أصبتموه ؛ فلما نزلت هذه الآية : ﴿ **يأأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ** ﴾ .. إلى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وَلا تُمْسِكُوا بعِصَمِ الكَوَافِرِ** ﴾ ، كان ممن طلّق عمرُ بن الخطّاب ، طلّق امرأته قُريبة بنت أبى أُميّة بن المُغيرة ، فتزوّجها بعده مُعاوية ابن أبى سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأمّ كلثوم بنت جَرْول أمّ عبيد الله ابن عمر الخُزاعيَّة ، فتزوّجها أبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شرْكهما .

---

(١) سورة الممتحنة آية ١١ .

- **بشرى فتح مكة وتعجل بعض المسلمين :**

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أنّ بعضَ منْ كان مع رسول الله ﷺ قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمنا ؟ قال : بلى ، أفقلت لكم مِنْ عامى هذا ؟ قالوا : لا ، قال : فهو كما قال لى جبريل عليه السلام .

ذكـر المسيـر إلـى خيبـر

فـى المحـرم سنـة سبـع هـ

قال محمد بن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجَع من الحُدَيبية ، ذا الحجة وبعضَ المحرّم ، ووَلِى تلك الحجَّة المشركون ، ثم خرج فى بقيَّة المحرّم إلى خَيبر .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيْلَة بن عبد الله اللَّيْثى ، ودفَع الراية إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكانت بيضاء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِى عن أبى الهيثم بن نصر بن دُهْر الأسلمى أنّ أباه حدّثه : أنه سَمِع رسولَ الله ﷺ يقول فى مسيره إلى خَيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عمّ سَلمة بن عمرو بن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سِنان : انزل يا بن الأكوع ، فخُذ لنا من هَناتك(١) ، قال : فنزلَ يرتجز برسولِ الله ﷺ ، فقال :

واللّهِ لـوْلا اللّهُ ما اهْتَدَيْنا ولا تَصَدَّقْنا وَلا صَلَّيْنا

إنَّا إذا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنا وإن أرادوا فِتْنَة أبَيْنا

---

(١) هناتك ، أى أخبارك وأمورك وأشعارك ؛ وهى جمع هنة ، ويكنى بها عن كل شىء لا تعرف اسمه ، أو تعرفه فتكنى عنه . وأراد رسول الله ﷺ أن يحدو بهم ، والإبل تستحث بالحداء ، ولا يكون الحداء إلا بشعر أو رجز .
(لسان العرب ص ٣٦٦ ج ١٥) .

فأنْزِلَـــنْ سَكِنَـــةً عَلَيْنـــا[١]　　وثَـبِّتِ الأقْـدامِ إنْ لاقينـــا[٢]

قال رسولُ الله ﷺ : يرحمك ألله ؛ فقال عمر بن الخطَّاب : وَجبت والله يا رسول الله ، لو أمْتَعْتنا به ! فقُتل يوم خَيبر شهيدا ، وكان قَتْله ، فيما بلغنى ، أنّ سيفه رَجع عليه وهو يُقاتل ، فكَلمه كلْما شديدًا[٣] ، فمات منه ؛ فكان المسلمون قد شكُّوا فيه ، وقالوا : إنما قتله سلاحُه ، حتى سأل ابنُ أخيه سلمةُ ابن عمرو بن الأكوع رسولَ الله ﷺ عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ؛ قال رسولُ الله ﷺ : إنه لشهيدٌ ، وصلَّى عليه ، فصلى عليه المسلمون .

دعاء الرسول لما أشرف على خيبر :

قال ابن إسحاق : حدثنى من لاأتهم ، عن عَطاء بن أبى مَرْوان الأسلمى ، عن أبيه ، عن أبى مُعتِّب بن عمرو : أنّ رسولَ الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قفُوا ، ثم قال : اللهمّ ربّ السمواتِ وما أظْللْن وربَّ الأرضين وما أقللْن ، وربَّ الشيَّاطين وما أضللْن ، وربَّ الرّياح وما أذْرين[٤] إنَّا نسألك خيرَ هذه القَرْية وخيرَ أهلها وخيرَ ما فيها ، ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ ما فيها ، أقدِموا بسم الله . قال : وكان يقوُلها عليه السلام لكلّ قَرْيةٍ دخَلَها .

فرار أهل خيبر لما رأوا الرسول :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لاأتهم عن أنَس بن مالك ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا غَزَا قوما لم يُغرْ عليهم حتى يُصْبح ، فان سَمِع أذانا أمسك ، وإن لم يسمع أذانا أغار . فنزلنا خيبر ليلا ، فبات رسول الله ﷺ ، حتى إذا

---

(١) السكينة : الوقار والتثبت .　　(لسان العرب ص ٢١٣ ح ١٣)

(٢) ذكر الزرقانى هذا الرجز وهو يختلف هنا فى الفاظه ويزيد عليه .

(٣) الماحى : جمع محاه وهى المحرقة من الحديد ، والمكائل : جمع مكتل وهى قفة كبيرة .
(لسان العرب ص ٥٨٣ ح ١١) .

(٤) أذرين : بمعنى ما طيّرن وأذهبن .　　(لسان العرب ص ٢٨٢ ح ١٤) .

أصبح لم يَسْمع أذانا ، فركب وركبْنا معه ، فركبتُ خلف أبى طلحة ، وإن قَدَمى لتمسّ قَدم رسول الله ﷺ ، واستقبَلنا عُمَّال خيبر غادين[1] ، قد خرجوا بمساحِيهم ومَكاتِلِهم ، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيشَ ، قالوا : محمد والخَميس[2] معه ! فأدْبروا هُرَّابا ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، خَربت خيبر ، إنَّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحُ المُنذرَين .

منازل الرسول ﷺ فى طريقه إلى خيبر :

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خَيبر سلك على عِصْر[3] ، فبنى له فيها مَسجدٌ ، ثم على الصَّهباء[4] ، ثم أقبل رسول الله ﷺ بجَيْشه ، حتى نزل بوادٍ يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غَطَفان ، ليَحُول بينهم وبين أن يُمِدّوا أهلَ خيبر ، وكانوا لهم مُظاهِرين[5] رسولِ الله ﷺ .

غطفان ومحاولتهم معونة خيبر ثم انخذالهم :

فبلغنى أنّ غَطفان لَمَّا سَمِعت بمَنْزِل رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا له ، ثم خرجوا ليُظاهِروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة[6] سمعوا خَلْفهم فى أموالهم وأهْلِيهم حسًّا ، ظَنُّوا أن القَوم قد خالفوا إليهم ، فرَجعوا على أعقابهم ، فأقاموا فى أهلِيهم وأموالهم ، وخلَّوا بين رسولِ الله ﷺ وبين خيبر .

---

(١) عادين : يعنى منكرين . (لسان العرب ص ١١٨ ح ١٥) .
(٢) الحميس : الجيش . (ترتيب القاموس المحيط ص ١٠٨ ح ٢)
(٣) عصر (بالكسر ، ويروى بالتحريك ، والأول أشهر وأكثر) : حبل بين المدينة . للفرع . (عن معجم البلدان) . (لسان العرب ص ٥٨١ ج ٤) .
(٤) الصهباء : موضع بينه وبين خيبر روحة . (راجع معجم البلدان لسان العرب ص ٥٣٣ ح ١) .
(٥) مظاهرين : معاونين . (لسان العرب ص ٥٢٥ ج ٤) .
(٦) منقلة : مرحلة . (لسان العرب ص ٦٧٤ ح ١١) .

افتتاح رسول الله ﷺ الحصون :

وتدّنى[1] رسولُ الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتتحها حِصْنا حِصْنا ، فكان أوّل حُصونهم افتُتح حِصْن ناعم ، وعنده قُتل محمود بن مسلمة أُلْقِيَت عليه منه رحا فقتلته ، ثم القَموص ، حِصْن بنى أبى الحُقيق وأصاب رسولُ الله ﷺ منهم سَبايا ، منهنَّ صَفيَّة بنتُ حيىّ بنِ أخْطب ، وكانت عندَ كنانَة بن الرَّبيع بن أبى الحُقيق ، وبِنْتَى عَمّ لها ؛ فاصطفى رسولُ الله ﷺ صفيَّة لنفسه .

وكان دِحْية بن خَليفة الكَلْبى قد سأل رسولَ الله ﷺ صفية فلما أصفاها لنفْسه أعطاه ابنَتَىْ عمِّها ، وفَشَت السَّبايا من خَيْبر فى المُسلمين .

نهى الرسول ﷺ يوم خيبر عن أشياء :

وأكل المُسلمون لحُوم الحُمر الأهليَّة من حُمرها ، فقام رسولَ الله ﷺ ، فنَهى الناسَ عن أمور سَّماها لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن عمرو بن ضمْرة الفَزارى عن عبد الله بن أبى سَليط ، عن أبيه ، قال : أتانا نَهْى رسولِ الله ﷺ عن أكْل لحُوم الحُمر الإنسيَّة ، والقُدور تَفُور بِها ، فكَفأناها على وجوهها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مكحول : أنَّ رسول الله ﷺ نهاهم يومئذٍ عن أربع : إتيان الحبالى من السَّبايا ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كلّ ذى ناب من السباع ، وعن بيْع المغانم حتى تُقْسم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سلاّم بن كِرْكِرة ، عن عَمْرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، ولم يشْهَد جابر خَيْبر : أن رسولَ الله ﷺ حين نَهَى الناس عن أكل لحُوم الحُمر ، أذِن لهم فى أكل لحوم الخَيْل .

---

(١) تدنى : أى أخذ الأدنى فالأدنى (لسان العرب ص ٢٧٤ ح ١٤) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرزوق مولى تُجِيب ، عن حنش الصَّنعانى ، قال : غزونا مع رُوينع بن ثابت الأنصارى المغرب ، فافتتحَ قرية من قُرى المغرب يقال لها جِربة[1] ، فقام فينا خطيبا ، فقال : يأيها الناس ، إنى لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقوله فينا يومَ خيبر ، قام فينا رسولُ الله ﷺ فقال : لا يحلّ لامرئٍ يُؤْمن بالله واليوم الآخر أن يَسْقى ماؤه زرعَ غيره ، يعنى إتيانَ الحبالى من السَّبايا ، ولا يحلّ لامرىء يؤمّن بالله واليوم الآخر أن يُصيب امرأة من السَّبى حتى يستبرئها[2] ، ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَبيع مَغْنما حتى يقسم ، ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابَّة مِنْ فَىْء المسلمين حتى إذا أعْجَفَها[3] ردّها فيه ، ولا يحلّ لامرىء يؤْمن بالله واليوم الآخر أن يَلْبس ثوبا من فَىْء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيط ، أنه حدَّث عن عُبادة بن الصامت ، قال : نهانا رسولُ الله ﷺ يوم خَيبر عن أن نَبيع أو نَبْتاع تِبْر الذّهب بالذّهب العين ، وتبر الفضَّة بالوَرِق العين ؛ وقال : ابتاعوا تبر الذهب بالوَرِق العين ، وتبر الفضة بالذهب العين .

قال ابن إسحاق : ثم جعَلَ رسولُ الله ﷺ يَتَدَنَّى الحُصون والأموال .

شـأن بنـى سهـم الأسلميـين :

فحدثنى عبدُ الله بن أبى بَكْر أنه حدّثه بعضُ أسْلم : أن بنى سَهْم من أسْلم أتَوْا رسول الله ﷺ ، فقالوا : والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شىء ؛ فلم يَجِدوا عند رسول الله ﷺ شيئا يُعطيهم إياه ؛ فقال : اللهمّ إنك قد عَرَفت حالَهم وأن ليْست بهم قوّة ، وأن ليس بيدى شىء أعطيهم إياه ، فافتح

---

[1] جربة (بالكسر) : جزيرة بالمغرب من ناحية قابس . (عن معجم البلدان) .

[2] يستبرئها : لا يطؤها حتى تطهر من حيضها . (ترتيب القاموس ص ٢٣٧ ج ١) .

[3] أعجفها : هزلها وأضعفها . (ترتيب القاموس المحيط ص ١٦٣ ج ٣ .

عليهم أعْظم حُصونها عنهم عناء ، وأكثرها طَعاما وودَكا ، فغدا الناسُ ، ففتح الله عزّ وجلّ حِصْنَ الصَّعْب بن مُعاذ ، وما بخَيبر حِصْن كان أكثر طَعاما وودَكا منه .

مقتـل مرحــب اليهــودى :

قال ابن إسحاق : ولَّما افتتح رسولُ الله ﷺ من حُصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حِصْنيهم الوَطِيح والسُلالم ، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحا ، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب الرسول الله ﷺ يوم خيبر : يا منصور ، أمِت أمت .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن سَهل بن عبد الرحمن بن سهل أخو بنى حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مَرْحب اليهودىّ من حِصْنهم ، قد جمع سلاحه ، يرتجز وهو يقول :

قد عَلِمَتْ خَيْبرُ أنّى مَرْحَبُ شاكى السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبْ[١]

أطْعُنُ أحْيانا وحِينـا أضْرِبْ إذا اللّيُوث أقْـبلَتْ تَحَـرَّبْ[٢]

إن حِماى للحِمى لا يُقرب

وهو يقول : من يُبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك ، فقال :

قد عَلِمَت خَيْبر أنّى كَـعْبُ مُفَرِّجُ الغَمّى جَـرِىء صَلب[٣]

إذْ شبَّت الحربُ تَلَتها الحربُ مَعى حُسام كالعَقيـق عَضْب[٤]

---

(١) شاكى السلاح : حاد السلاح (ترتيب القاموس المحيط ص ٧٤٥ ج ٢ .

(٢) تحرب : أى معصبة . (لسان العرب ص ٣٠٧ ج ١) .

(٣) العمى : الكرب والشدة . (ترتيب القاموس ص ٤٢١ ح ٣) .

(٤) شبت الحرب : أثيرت . والعقيق : شعاع البرق ، شبه السيف به . (لسان العرب ص ٤٨١ ج ١) .

نَطؤُكم[1] حتى يَذِلّ الصَّعب نُعْطِى الجَزاءَ أو يفيءَ النَّهبُ
بكفّ ماضٍ ليس فيه عَتَبُ[2]

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن سَهْل ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : فقال رسولُ الله ﷺ : من لهذا ؟ قال محمد بن مَسْلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله المَوتور الثائر[3] ، قُتل أخى بالأمس ؛ فقال : فقم إليه ، اللهمّ أعِنْهُ عليه . قال : فلما دنا أحدُهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عُمرية[4] من شجر العُشَر[5] ، فجعل أحدُهما يلوذ بها من صاحبه ، كلَّما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها ، حتى بَرز كلّ واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرَّجل القائم ، ما فيها فَنن ، ثم حملَ مَرْحبٌ على محمد بن مَسْلمة ، فضربه ، فاتَّقاه بالدَّرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضّت به فأمْسكته ، وضربه محمدُ بن مَسلمة حتى قتله .

قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مَرْحب أخوه ياسر ، وهو يقول : من يبارز ، فزعم هشام بنُ عروة أن الزّبير بن العوّام خرج إلى ياسر ، فقالت أمه صفيَّة بنت عبد المطلب : يقتل ابنى يا رسول الله ! قال : بل ابنُك يقتله إن شاء الله . فخرج الزُّبير فالتَقيا ، فقتله الزّبير .

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بنُ عروة : أن الزّبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارمًا عَضْبا ، قال : والله ما كان صارما ، ولكنى أكرهتُه .

شـأن علـىّ يـوم خيبـر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمى ، عن أبيه

---

(١) نطؤكم . ندوسكم . (ترتيب القاموس المحيط ص ٦٢٦ ج ٤ .

(٢) ليس فيه عتب : ليس فيه استرخاء . (ترتيب القاموس ص ١٤٥ ح ٣) .

(٣) الموتور : هو من قتل له قتيل فلم يُدرك بدمه . (ترتيب القاموس المحيط ص ٥٧٠ ح ٤) .

(٤) عمرية . قديمة . (ترتيب القاموس المحيط ص ٣٠٩ ح ٣) .

(٥) العُشَرُ . شجر أملس مستو ضعيف العود . (لسان العرب ص ٥٧٤ ج ٤) .

سفيان ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : بعث رسولُ الله ﷺ أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه برايته ، وكانت بيضاء ، فيما قال ابن هشام ، إلى بعض حصون خَيْبر ، فقاتل ، فرَجع ولم يك فَتْحٌ ، وقد جهد ؛ ثم بعث الغد عمرَ بن الخطَّاب ، فقاتَل ، ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جهد ؛ فقال رسول الله ﷺ : لأعطينّ الرّاية غدًا رجلا يحبّ الله ورسولَه ، يفتح الله على يديه ، ليس بفَرَّار . قال : يقول سلمة ، فدعا رسول الله ﷺ عليًا رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فتَفل فى عينه ، ثم قال : خُذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتّح الله عليك .

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأبِح[1] ، يُهرول هَرْولة ، وإنا لخَلفه نتبع أثره ، حتى ركَز رايته فى رضْم[2] من حجارة تحت الحِصْن ، فاطَّلع إليه يهودى من رأس الحِصْن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا علىّ بن أبى طالب . قال : يقول اليهودى : علَوتم ، وما أُنزل على موسى ، أو كما قال . قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن الحسن ، عن بعض أهله ، عن أبى رافع ، مولى رسول الله ﷺ ، قال : خرجنا مع علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، حين بعثه رسولُ الله ﷺ برايته ؛ فلما دَنا من الحِصْن خرج إليه أهله فقاتَلهم ، فضَربه رجلٌ من يهود ، فطاح تُرْسُه من يده ، فتناول علىّ عليه السلام بابا كان عند الحصْن فترَّس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى فى نَفَر سبعة معى أنا ثامنهم ، نَجْهد على أن نَقْلب ذلك الباب ، فما نقلبه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بُرَيدة بن سفيان الأسلمى ، عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليَسر كَعْب بن عمرو ، قال : والله إنَّا لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشيَّة ، إذ أقْبلت غَنم لرجل من يَهود تريد حِصْنهم ، ونحن

---

(١) يأبح : أى به شديد من الإعياء فى العدو . قال السهيلى : « هو من الأبيح ، وهو علو .
(لسان العرب ص ٤٠٥ ح ٢) .

(٢) الرصم : الحجارة المجتمعة . (ترتيب القاموس المحيط ص ٣٤٩ ح ٢) .

محاصروهم قال رسولُ الله ﷺ : مَن رجلٌ يُطعمنا من هذه الغنم ؟ قال أبو اليسر : فقلت : أنا يا رسول الله ؛ قال : فافعل ؛ قال : فخرجت أشتدّ مثل الظّليم(١) ، فلما نظرَ إلَيَّ رسولُ الله ﷺ موليًا قال : اللهمّ أمْتِعنا قال : فأدركتُ الغنم وقد دخلت أُولاها الحِصْن ، فأخذت شاتين من أُخْراها ، فاحتضنتهما تحت يدىَّ ، ثم أقبلت بهما أشتدّ ، كأنه ليس معى شىء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ ، فذَبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليَسر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ هلاكا ، فكان إذا حدّث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أمتِعوا بى ، لعمرى ، حتى كنت من آخرهم هُلْكا .

أمـر صفيـة أم المؤمنيـن :

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسولُ الله ﷺ القَموص ، حصن بنى أبى الحُقيق ، أتى رسول الله ﷺ بصفيَّة بنت حُيىّ بن أخْطب ، وبأخرى معها ، فمرّ بهما بلال ، وهو الذى جاء بهما على قَتْلى من قَتْلى يهود ؛ فلما رأتهم التى مع صفيَّة صاحت ، وصكَّت وجهها وحَثت التراب على رأسها ؛ فلما رآها رسولُ الله ﷺ قال : أعْزِبوا(٢) عنى هذه الشيطانة ، وأمر بصفيَّة فحيزَت خلفه ، وألقى عليها رداءَه ؛ فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه . فقال رسول الله ﷺ لبلال ، فيما بلغنى حين رأى بتلك اليهوديَّة ما رأى : أنزعتْ منك الرحمة يا بلال ، حين تمرّ بامرأتين على قَتلى رجالهما ؟ وكانت صفيَّة قد رأت في المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق ، أن قمرًا وَقَع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زَوْجها ؛ فقال ما هذا إلا أنك تَمَنَّيْن ملك الحجاز محمدًا ، فلطَم وجهها لطمةً خضَّر عينها منها . فأتِى بها رسولُ الله ﷺ وبها أثر منه ، فسألها ما هو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

---

(١) الظليم : ذكر النعام (ترتيب القاموس المحيط ص ١٢٨ ج ٣) .

(٢) أعزبوا : أبعدوا . (لسان العرب ص ٥٩٧ ح ١) .

بقيـة أمـر خيبـر

• عقوبـة كنانـة بـن الربيـع :

وأتِي رسول الله ﷺ بكِنانة بن الربيع ، وكان عنده كنز بنى النَّضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعرف مكانه ، فأتى رسولُ الله ﷺ رجل من يهود ، فقال لرسول الله ﷺ : إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخَرِبة كلّ غداة ؛ فقال رسول الله ﷺ لكنانة أرأيت إن وجدناه عندك ، أأقتلك ؟ قال : نعم ؛ فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحُفِرت ، فأخرج منها بعض كَنْزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يُؤَدّيه ، فأمر به رسولُ الله ﷺ الزّبيرَ بن العوّام ، فقال : عذّبه حتى تَسْتأصل ما عنده ، فكان الزبير يقدح بزَنْدٍ فى صَدره ، حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسولُ الله ﷺ إلى محمد بن مسْلمة ، فضرب عُنقه بأخيه محمود بن مَسْلمة .

مصالحـة الرسـول أهـل خيبـر :

وحاصر رسولُ الله ﷺ ، أهلَ خيبر فى حِصْنيهم الوَطِيح والسلالم ، حتى إذا أيْقنوا بالهَلكة ، سألوه أن يُسيرَهم[1] وأن يحقِن لهم دماءهم ، ففعل . وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كُلها : الشّق ونَطاةَ والكتيبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذَيْنَك الحِصْنين . فلما سَمِع بهم أهلُ فدك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يُسيّرهم ، وأن يَحْقِنَ دماءهم ، ويخلُّوا له الأموال ، ففعل . وكان فيمن مَشَى بين رسول الله ﷺ وبينهم فى ذلك مُحيِّصة بن مَسْعود ، أخو بنى حارثة ، فلما نزل أهلُ خَيْبر على ذلك ، سألوا رسول الله ﷺ أنْ يُعاملهم فى الأموال على النِّصف ، وقالوا :

---

(١) يسيرهم : يحليهم . (لسان العرب ص ٣٨٩ ح ٤) .

نحن أعلم بها منكم ، وأعمر لها ؛ فصالحهم رسولُ الله ﷺ على النِّصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ فصالحه أهل فَدك على مثل ذلك ، فكانت خَيْبر فَيْئا بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ ، لأنهم لم يَجْلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

فلما اطمأنّ رسولُ الله ﷺ : أهدت له زينبُ بنت الحارث ، امرأة سلاّم ابن مِشْكم ، شاةً مَصْلِيَّةً(١) ، وقد سألتْ أىّ عُضْو من الشاة أحبّ إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذّراع ؛ فأكثرت فيها من السمّ ، ثم سمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ؛ فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ ، تناول الذّراع ، فلاك منها مُضْغة ، فلم يُسِغها ، ومعه بِشْر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسولُ الله ﷺ ؛ فأما بشر فأساغها ؛ وأما رسولُ الله ﷺ فلَفظها ، ثم قال : إن هذا العَظْم ليُخبرنى أنه مَسْموم ، ثم دعا بها ، فاعترفت ؛ فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغتَ من قَوْمى ما لم يَخْف عليك ، فقلت : إن كان مَلِكا استرحتُ منه ، وإن كان نبيًّا فسيُخْبَرُ ، قال : فتجاوزَ عنها رسولُ الله ﷺ ؛ ومات بِشْر من أكْلَته التى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مَروان بن عثمان بن أبى سَعيد بن المُعَلَّى ، قال : كان رسول الله ﷺ قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ، ودخلت أمّ بِشْر بنت البَراء بن مَعْرور تَعوده : يا أمّ بشر ، إن هذا الأوان وجدتُ فيه انقطاع أبهرى(٢) من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخَيبر . قال : فان كان المسلمون لَيروْن أنّ رسول الله ﷺ مات شهيدا ، مع ما أكرمه الله به من النبّوة .

رجوع الرسول إلى المدينة :

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله ﷺ من خَيْبر انصرف إلى وادى القُرى ، فحاصَر أهلَه ليالى ، ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

---

(١) مصلية : مشوية . (ترتيب القاموس المحيط ص ٨٤٧ ج ٢) .

(٢) الأبهر : عرق إذا انقطع مات صاحبه . وهما أبهران يخرجان من القلب ، ثم يتشعب منهما سائر الشرايين . (راجع لسان العرب مادة بهر) (لسان العرب ص ٨٣ ح ٤) .

مقتل غلام رفاعة الذى أهداه للرسول ﷺ :

قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مُطيع[١] عن أبى هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله ﷺ عن خَيبر إلى وادى القُرى نزلنا بها أصيلا مع مَغْرب الشمس ، ومع رسول الله ﷺ غلام له[٢] ، أهداه له رِفاعة بن زيد الجذامىّ ، ثم الضُّبِينىّ .

قال ابن هشام : جُذام ، أخو لخم .

قال : فوالله إنه ليضع رَحْل رسولِ الله ﷺ إذ أتاه سَهْم غَرْب[٣] اصابه فقتله ؛ فقلنا : هنيئا له الجنةُ ؛ فقال رسول الله ﷺ : كلا ، والذى نفس محمد بيده ، إنّ شملته[٤] الآن لتحترق عليه فى النار ، كان غَلَّها[٥] من فىء المسلمين يوم خَيْبر . قال : فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبتُ شِراكَيْن لِنَعلين لى ؛ قال : فقال : يُقدّ[٦] لك مثلهما من النار .

ابن مُغفل وجراب شحم أصابه :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لاأتهم ، عن عبد الله بن مُغَفَّل المُزنى ، قال : أصبت من فَىْء خَيبر جرابَ[٧] شَحْم ، فاحتملته على عاتقى إلى رَحْلى وأصحابى . قال : فلقينى صاحبُ المَغانم الذى جُعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هُلَمّ هذا نقسمه بين المسلمين ؛ قال : قلت : لا والله لا أُعطيكه ؛ قال : فجعل يُجابذنى الجراب . قال : فرآنا رسولُ الله ﷺ ونحن نَصْنع ذلك . قال :

---

(١) اسم هذا الغلام : مدعم . (راجع الاستيعاب) .

(٢) كذا فى المشتبه والاستيعاب ، فى إحدى روايتيهما ، وفى الرواية الأخرى : « الضبيبى » .

(٣) سهم عرب : هو الذى لا يعلم من رماه أو من أين أتاه . (ترتيب القاموس المحيط ص ٣٧٩ ح ٣) .

(٤) قال أبو ذر : الشملة . كساء غليظ يلتحف به . (ترتيب القاموس المحيط ص ٧٥٦ ح ٢) .

(٥) غلها : اختانها من المغنم . (ترتيب القاموس المحيط ص ٤١٢ ج ٣) .

(٦) يقد : يقطع (بالبناء للمجهول فيهما) (ترتيب القاموس المحيط ص ٥٦٨ ح ٣) .

(٧) الجراب : المزود (ترتيب القاموس المحيط ص ٤٦٦ ح ١) .

فتبسمّ رسولُ الله ﷺ ضاحكا ، ثم قال لصاحب المَغانم : لا أبا لك ، خلّ بينه وبينه . قال : فأرسله ، فانطلقتُ به إلى رَحْلى وأصحابى ، فأكَلْناه .

بناء الرسول بصفية وحراسة أبى أيوب للقبة :

قال ابن إسحاق : ولما أعْرس رسولُ الله ﷺ بصفيَّة ، بخَيْبر أو ببعض الطريق ، وكانت التى جَمَّلتها لرسول الله ﷺ ومَشَّطتها أو أصلحت من أمرها أمّ سُليم بنت مِلْحان ، أمّ أنس بن مالك . فبات بها رسولُ الله ﷺ فى قُبة له ، وبات أبو أيُّوب خالد بن زيد ، أخو بنى النَّجَّار متوشِّحا سيفه ، يحرس رسول الله ﷺ ، ويُطيف بالقُبة ، حتى أصبح رسول الله ﷺ ؛ فلما رأى مَكانه قال : مالك يا أبا أيوب قال : يا رسول الله ، خفْت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكُفر ، فخِفتها عليك . فزعموا أن رسول الله ﷺ ، قال : اللهمّ احفظ أبا أيوب كما باتَ يحفْظنى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزُّهرى ، عن سعيد بن المُسيِّب ، قال : لما انصرف رسول الله ﷺ من خَيْبر ، فكان ببعض الطريق ، قال من آخر الليل : مَنْ رجل يحفظ علينا الفَجر لعلّنا ننام ؟ قال بِلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك . فنزل رسول الله ﷺ ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلال يصلى ، فصلى ما شاء الله عزّ وجلّ أن يصلى . ثم استند إلى بعيره ، واستقبل الفَجْر يَرمُقه ، فغَلَبْته عينه ، فنام ، فلم يُوقظهم إلاّ مَسُّ الشمس ؛ وكان رسولُ الله ﷺ أولَ أصحابه هَبّ ، فقال : ماذا صنعتَ بنا يا بلال ؟ قال : يا رسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ؛ قال : صدقت ؛ ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضّأ ، وتوضّأ الناس ، ثم أمر بلال فأقام الصلاة ، فصلى رسولُ الله ﷺ بالناس ؛ فلما سلَّم أقبل على الناس فقال : « إذا نَسيتم الصلاة فصلُّوها إذا ذَكَرْتموها ، فان الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ أقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى ﴾ .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى ، قد أعطى ابن لُقيم العَبسىّ ، حين افتتح خَيْبر ، ما بها من دَجاجة أو داجن[1] ، وكان فَتح خَيبر فى صَفر .

● شُهُود النساء خيبر وحديث المرأة الغفارية :

قال ابن إسحاق : وشهد خَيبر مع رسول الله ﷺ نِساء من نساء المسلمين ، فَرَضَخ لهنّ[2] رسولُ الله ﷺ من الفيء ، ولم يضرب لهنّ بسْهم .

وقال ابن إسحاق : حدثنى سليمان بن سُحَيم ، عن أُميَّة بن أبى الصلت ، عن امرأة من بنى غِفار ، قد سمَّاها لى ، قالت : أتيت رسول الله ﷺ فى نِسْوة من بنى غِفار ، فقلنا : يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خَيْبر ، فنُداوى الجَرْحى ، ونُعين المسلمين بما استَطعنا ؛ فقال : على بركة الله . قالت : فخرجنا معه ، وكنت جارية حَدَثة ، فأَرْدَفنى رسولُ الله ﷺ على حَقيبةِ رَحْله . قالت : فوالله لنزل رسولُ الله ﷺ إلى الصُّبح وأناخ ، ونزلت عن حَقيبة رَحْله ، وإذا بها دَمٌ منى ، وكانت أوّل حَيْضة حِضْتها ، قالت : فتقبَّضت إلى الناقة واستحيَيت ؛ فلما رأى رسول الله ﷺ ما بى ورأى الدم ، قال : مالك ؟ لعلك نُفِست[3] ؛ قالت : قلت : نعم ؛ قال : فأصلحى من نفسك ، ثم خُذى إناء من ماء ، فاطرحى فيه مِلْحا ، ثم اغسلى به ما أصاب الحَقيبة من الدمّ ، ثم عودى لمَرْكبك .

قالت : فلما فتح رسولُ الله ﷺ خَيبر ، رضَخ لنا من الفيء وأخذ هذه القِلادة التى تَرَيْن فى عنقى فأعطانيها ، وعلَّقها بيده فى عُنقى ، فوالله لا تُفارقنى أبدا .

---

(١) الداجن : كل ما ألف الناس فى بيوتهم ، كالشاة التى تعلف والحمام .(ترتيب القاموس المحيط ص ١٥٢ ج ٢) .

(٢) رضح لهن : أعطاهن عطاء يسيرا ، لم يصل إلى نصيب السهم .(ترتيب القاموس المحيط ص ٣٤٧ ج ٢) .

(٣) نفست : حضت . (ترتيب القاموس المحيط ص ٤١٤ ج ٤)

قالت : فكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تُدْفن معها . قالت : وكانت لا تتطهَّر من حيضة إلا جعلت فى طَهُورها مِلْحا ، وأوصت به أن يجعل فى غُسلها حين ماتت .

شهــداء خيبــر :

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استُشهد بخيبر من المسلمين ، من قُريش ، ثم من بنى أميَّة بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكثم بن سَخْبرة بن عمرو بن بكير بن عامر بن غَنْمِ بن دُودان بن أسد ؛ وثَقِيف بن عمرو ، ورفاعة بن مَسْروح .

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى : عبد الله بن الهُبَيْب ، ويقال : ابن الهَبِيب ، فيما قال ابن هشام ، ابن أهيب بن سُحَيم بن غِيرَة ، من بنى سعد بن ليث ، حليف لبنى أسد ، وابن أختهم .

ومن الأنصار ثم من بنى سلمة : بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرور ، مات من الشاة التى سُمّ فيها رسولُ الله ﷺ : وفُضيل بن النعمان . رجلان .

ومن بِنى زريق : مسعود بن سَعْد بن قيس بن خَلَدة بن عامر بن زريق .

ومن الأوس ثم من بنى عبد الأشهل : محمود بن مَسْلمة بن خالد بن عدىّ ابن مُجْدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة .

ومن بنى عمرو بن عوف : أبو ضَيَّاح(1) بن ثابت بن النُّعمان بن أميَّة ابن(2) امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ؛ والحارث بن حاطب ؛ وعروة بن مُرّة بن سُراقة ؛ وأوس بن القائد ؛ وأنيف بن حبيب ؛ وثابت بن أثلة ؛ وطلحة(3) .

ومن بنى غِفار : عُمارة بن عُقبة ، رمى بسهم .

---

(1) فى الطبرى : « أبو ضياح النعمان بن ثابت بن النعمان بن أمية بن البرك » .

(2) اسمه النعمان ؛ وقيل عمير . (راجع الاستيعاب) .

(3) هو طلحة بن يحيى بن مليل بن ضمرة . (راجع شرح السيرة) .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ؛ والأسود الراعى ، وكان اسمه أسلم ، قال ابن هشام : الأسود الراعى من أهل خَيبر .

وممن استُشهد بخَيبر فيما ذكر ابن شهاب الزّهرىّ ، من بنى زهرة : مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارّة .

ومن الأنصار بنى عمرو بن عوف : أوس بن قَتادة .

أمر الأسود الراعى فى حديث خيبر

- **إسلامــه واستشهــاده :**

قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعى ، فيما بلغنى : أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حُصون خيبر ، ومعه غَنم له ، كان فيها أجِيرًا لِرجل من يهود ، فقال : يا رسول الله ، اعرض علىّ الإسلام ، فعَرضه عليه ، فأسلم - وكان رسولُ الله ﷺ لا يَحْقِر أحدًا أن يَدْعوه إلى الإسلام ، ويعرضه عليه - فلما أسلم قال : يا رسول الله ، إنى كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم ، وهى أمانة عندى ، فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب فى وُجوهها ، فانها سَترْجع إلى ربها - أو كما قال - فقال الأسود ، فأخذ حَفْنة من الحصى فرَمى بها فى وُجوهها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك ، فوالله لا أصحبك أبدًا ، فخرجت مجتمعة ، كأنّ سائقا يسوقها ، حتى دخلت الحِصْن ، ثم تقدّم إلى ذلك الحصن ليُقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صلاة قطّ ؛ فأُتى به رسولُ الله ﷺ ، فوُضع خلفه ، وسُجِّى بشَمْلَة كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ، ومعه نفر من أصحابه ، ثم أعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله ، لِمَ أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زَوْجَتيه من الحور العين .

قال ابن إسحاق : وأخبرني عبد الله بن أبي نَجيح أنه ذُكر له : أن الشهيد إذا ما أصيب تدلَّت (له) زَوْجتاه من الحُور العين ، عليه تَنْفُضان التراب عن وجهه ، وتقولان : تَرّب الله وجهَ من تربك ، وقتلَ مَنْ قتلك .

أمر الحجاج بن علاط السلمى

قال ابن إسحاق : ولما فُتحت خيبر ، كلَّم رسول الله ﷺ ، الحجَّاج بن عِلاط السُّلمى ثم البَهْزى ، فقال : يا رسول الله ، إن لى بمكة ما لا عند صاحبتى أمّ شَيْبة بنت أبى طلحة - وكانت عنده ، له منها مُعْرض بنِ الحجاج ومالٌ متفرّق فِى تجّار أهل مكة ، فأْذن لى يا رسول الله ؛ فأذن له ، قال : إنه لا بدّ لى يا رسول الله من أن أقول ؛ قال : قل : قال الحجَّاج : فخرجتُ حتى إذا قدمت مكة وجدت بَثنِيَّة البيضاء(١) رجالا من قريش يتسمَّعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قَرْية الحجاز ، رِيفا ومَنَعة ورجالا ، فهم يتحسَّسون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رأونى قالوا : الحجاج بن عِلاط - قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى عنده والله الخبر - أخْبرنا يا أبا محمد ، فانه قد بلغنا أنّ القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بلد يهود وريف الحجاز ؛ قال : قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسرّكم ؛ قال : فالتَبطوا بجنبى ناقتى(٢) يقولون : إيهِ يا حجاج ؛ قال : قلت : هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قطّ ، وقُتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قطّ ، وأسر محمد أسرًا ؛ وقالوا : لا نقتله حتى نَبْعث به إلى أهل مكة ، فيقتلوه بين أظْهرهم بمنْ كان أصاب من رِجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم ، فيُقتل بين أظْهُركم . قال : قلت : أعينونى على جمع مالى بمكّة

---

(١) قال يا قوت : « والبيضاء : ثنية التنعيم بمكة ، لها ذكر فى كتاب السيرة » .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٣٤٩ ج ١) .

(٢) اللبطةُ . أن يضرب البعير بيديه . التبطوا بجنب ناقتى : أى مشوا إلى جنبها ملازمين لها ، مطيفين بها .
(لسان العرب ص ٣٨٨ ح ٧) .

وعلى غُرمائى ، فانى أريد أن أقْدم خيبر ، فأصيب من فَلّ[1] محمد وأصحابه قبل أن يَسْبقنى التجّار إلى ما هنالك .

قال ابن هشام : ويقال : من فىء محمد .

العباس يستوثق من خبر الحجاج ويفاجىء قريشا :

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كأحثّ[2] جمْع سمِعت به . قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وقد كان لى عِندها مال موضوع ، لعلى ألحق بخَيْبر ، فأُصيبَ من فُرص البيع قبل أن يسبقنى التجّار ؛ قال : فلما سمع العباس بن عبد المطّلب الخَبر ، وجاءَه عنى ، أقبل حتى وقف إلى جَنْبى وأنا فى خيمة من خِيام التجار ، فقال : يا حجّاج ، ما هذا الخبر الذى جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حِفْظ لما وضعتُ عندك ؟ قال : نعم ؛ قال : قلت : فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء ، فانى فى جَمْع مالى كما ترى ، فانصرفْ عنى حتى أفْرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة ، وأجمعت الخروجَ ، لقيت العباسَ ، فقلت : احفظ علّى حديثى يا أبا الفضل ، فانى أخشى الطلب ثلاثا ، ثم قل ما شئت ، قال : افعل ؛ قلت : فإنى والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على بِنْت مَلِكهم . يعنى صفيَّة بنت حُيّى ، ولقد افتتَح خَيْبر ، وانتثل[3] ما فيها ، وصارت له ولأصحابه ؛ فقال : ما تقول يا حجّاج ؟ قال : قلت : إى والله ، فاكتم عنى ، ولقد أسلمتُ وما جئت إلا لآخذ مالى ، فَرَقا من أن أغلب عليه ، فاذا مضت ثلاثٌ فأظهر أمرك ، فهو والله على ما تحبّ ، قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لَبس العباس حلة له ،

---

(١) الفَلّ : القوم المنهزمون . (لسان العرب ص ٥٣١ ج ١١) .

(٢) كأحث : كأسرع . (لسان العرب ص ١٣١ ح ٢) .

(٣) انتثل : استخرج . (لسان العرب ص ٦٤٥ ح ١١) .

وتخلّق[1] ، وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها ، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلّد لحرّ المصيبة ؛ قال : كلا ، والله الذى حلفتم به ، لقد افتتح محمد خَيبر وتُرك عروسا على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحتْ له ولأصحابه ؛ قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مُسْلما ، فأخذ مالَه ، فانطلق ليَلحق بمحمد وأصحابه ، فيكون معه ؛ قالوا : يا لعباد الله ! انفلت عدوّ الله ، أما والله لو عَلمنا لكان لنا وله شأن ؛ قال : ولم يَنْشَبوا[2] أن جاءهم الخبر بذلك .

ذكر مقاسم خيبر وأموالها

قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خيبر ، على الشِّقّ ونطاةَ والكَتيبَة فكانت الشَّقُّ ونَطاةُ فى سُهْمان المسلمين ، وكانت الكَتيبَة خُمْسَ الله ، وسهم النبىّ ﷺ ، وسهم ذوى القُرْبى واليتامى والمساكين ، وطُعْمَ أزواج النبىّ ﷺ ، وطُعْمَ رجالٍ مشوا بين رسول الله ﷺ وبين أهل فَدَك بالصلح ؛ منهم مُحيِّصة بن مَسْعود ، أعطاه رسول الله ﷺ ثلاثين وَسْقا من شعير ، وثلاثين وَسْقا من تمر ، وقُسمت خيبرُ على أهل الحُدَيبية ، مَن شهد خيبر ، ومَن غاب عنها ، ولم يَغِب عنها إلا جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام ، فقَسم له رسول الله ﷺ كَسَهْم مَنْ حضرها ، وكان واديها ، وادى السُّرَيْرة ، ووادى خاص ، وهما اللذان قُسِمت عليهما خيبر ، وكانت نَطاة والشَّقُّ ثمانية عشر سهما ، نَطاة من ذلك خمسة أسهم ، والشَّقُّ ثلاثةَ عَشَرَ سهما ، وقُسِمت الشَّقُّ ونَطاةُ على ألف سهم ، وثمان مِئَة سهم .

وكانت عِدَّة الذين قُسِمت عليهم خَيبر من أصحاب رسول الله ﷺ ألف سهم وثمان مِئة سهم ، برجالهم وخيلهم ، الرجال أربع عشرة مئة ، والخيل مئتا

---

(١) تخلق : تطيب بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب . (لسان العرب ص ٩١ ج ١٠) .

(٢) لم ينشبوا : لم يلبثوا غير قليل . (لسان العرب ص ٧٥٧ ج ١) .

فارس ؛ فكان لكلّ فرس سهمان ، ولفارسه سهم ، وكان لكلّ راجل سهم ؛ فكان لكل سهم رأسٌ جُمِع إليه مئة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهما جُمع .

قال ابن هشام : وفى يوم خَيبر عَرَّب رسول الله ﷺ العربىّ من الخيل ، وهَجَّن الهجين .

قال ابن إسحاق : فكان علىّ بن أبى طالب رأسا ، والزُّبير بن العوّام ، وطلحةُ بنُ عبيد الله وعُمر بن الخطَّاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم ابن عَدىّ ، أخو بنى العَجْلان ، وأُسَيْدُ بن حُضَير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بنى بياضة ، وسهم بنى عُبيد ، وسهم بنى حَرام من بنى سَلمة ، وعُبَيْد السَّهام .

قال ابن هشام : وإنما قيل له عبيْد السَّهام لما اشترى من السهام يوم خيبر ، وهو عُبَيْدُ ابن أوْس ، أحدُ بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوْس .

قال ابن إسحاق : وسهم ساعدة ، وسهم غِفار وأسْلَم ، وسهم النّجار وسهم حارثة ، وسهم أوْس . فكان أوّل سهم خرَج من خَيْبر بنَطاةَ سهم الزُّبير بن العوّام ، وهو الخَوْع[1] ، وتابعه السُّرَيْر ؛ ثم كان الثانى سهم بياضة ، ثم كان الثالث سهم أُسَيْد ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج ، ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف ابن الخزرج ومزَينة وشُركائهم ، وفيه قُتِل محمود بن مَسْلمة ؛ فهذه نَطاة .

ثم هبطوا إلى الشّقّ ، فكان أوّل سهم خرج منه سهم عاصم بن عَدِى ، أخى بنى العَجْلان ، ومعه كان سهم رسول الله ﷺ ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ، ثم سهم النجَّار ، ثم سهم علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طَلْحة بن عُبيد الله ، ثم سهم غِفار وأسْلَم ، ثم سهم عمر

---

(١) الخَوْعُ : موضع قرب خيبر . (لسان العرب ص ٨١ ج ٨) .

ابن الخطّاب ، ثم سهما سَلَمَة بن عُبَيْد وبنى حَرام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عُبَيْد السّهام ، ثم سهم أوْس ، وهو سهم اللفيف ، جمعت إليه جُهَيْنة ومن حَضر خيبر من سائر العرب ؛ وكان حَذْوهُ[1] سهم رسول الله ﷺ ، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدىّ .

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد الرسول ﷺ إلى نسائه بنصيبهن فى المغانم :

ذكر ما أعطى محمد رسول الله ﷺ نساءه من قمح خَيبر قسم لهنّ مئة وسْق وثمانين وَسْقا ، ولفاطمة بنت رسول الله ﷺ خمسةً وثمانين وَسْقا ، ولأسامة بن زيد أربعين وَسْقا ، وللمِقْداد بن الأسود خمسةَ عَشَر وَسْقا ، ولأمّ رُمَيْثَة[2] خمسة أوْسق .

أمر فدك فى خبر خيبر

مصالحة الرسول ﷺ أهل فدك :

قال ابن إسحاق : فلما فرَغ رسول الله ﷺ من خيبرَ قذف الله الرُّعْب فى قلوب أهل فَدَك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر ، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فَدَك ، فقدمت عليه رُسُلُهم بخيبر ، أو بالطائف أو بعد ما قَدِم المدينة ، فقبل ذلك منهم ، فكانت فَدَك لرسول الله ﷺ خالصة ، لأنه لم يوجَف[3] عليها بخيل ولا ركاب .

---

(١) حدوه : بإرائه . (ترتيب القاموس المحيط ح ١) .
(٢) قال السهيلى : « ... ولا تعرف إلا بهذا الحبر وشهودها فتح حيبر » .
(٣) لم يوحف : لم يجتمع . (لسان العرب ص ٣٥٢ ح ٩)

تسميـة النفـر الداريين
الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خيبر

نسبهـم :

وهم بنو الدار بن هانى بن حَبيب بن نُمارة بن لخم ، الذين ساروا إلى رسول الله ﷺ من الشام : تميم بن أوس ونُعَيْم بن أوْس أخوه ، ويزيد بن قَيْس ، وعرفة بن مالك ، سماه رَسُولُ الله ﷺ عبد الرحمن .

قال ابن هشام : ويقال : عَزّة بن مالك : وأخوه مُرَّان بن مالك .

قال ابن هشام : مَرْوان بن مالك .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن نُعْمان ، وجَبَلَة بن مالك ، وأبو هِنْد بن بَرّ ، وأخوه الطيِّب بن بَرّ ، فسماه رسولُ الله ﷺ عبد الله .

خرص ابن رواحة ثم جبار على أهل خيبر :

فكان رسول الله ﷺ ، كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، يبعث إلى أهل خَيْبر عبدَ الله بن رَواحة خارصا بين المسلمين ويهود ، فيَخْرُص عليهم ، فاذا قالوا : تعدّيت علينا ؛ قال : إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

وإنما خَرَص عليهم عبدُ الله بن رَواحَة عاما واحدًا ، ثم أصيب بمُؤتة يرحمه الله ، فكان جبَّار بن صخر بن أمية بن خَنْساء ، أخو بنى سَلمة ، هو الذى يخْرُص عليهم بعد عبد الله بن رَواحة(١) .

---

(١) الخارص . الذى يحرر ما على النخل والكرم من ثمر ، وهو من الخرص أى الظن ، لأنه تقدير بظن .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٣٨ ح ٢)

مقتل ابن سهل ودية الرسول إلى أهله :

أقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم المسلمون بأسا فى معاملتهم ، حتى عَدَوْا فى عَهْد رسول الله ﷺ على عبد الله بن سَهل ، أخى بنى حارثة فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزّهرىّ عن سهل بن أبى حَثْمة ؛ وحدثنى أيضا بُشَير بن يَسار ، مولى بنى حارثة ، عن سهل بن أبى حَثْمَة ، قال : أصيب عبد الله بن سهل بخَيبر ، وكان خرج إليها فى أصحاب له يمتار[1] منها تمرًا ، فوُجِد فى عَين قد كُسِرَتْ عُنُقه ، ثم طُرح فيها ؛ قال : فأخذوه فغيَّبوه ، ثم قَدِموا على رسول الله ﷺ ، فذكروا له شأنه ، فتقدّم إليه أخوه عبدُ الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمِّه حُوَيِّصَةُ ومُحَيِّصَة ابنا مسعود ، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنًّا ، وكان صاحبَ الدم ، وكان ذا قَدم فى القوم ، فلما تكلَّم قبل ابنى عمِّه ، قال رسول الله ﷺ : الكُبْرَ الكُبْرَ[2] .

قال ابن هشام : ويقال : كَبِّرْ كَبِّرْ - فيما ذكر مالك بن أنس - فسكت ؛ فتكلَّم حُوَيِّصَة ومُحَيِّصَة ، ثم تكلم هو بعد ، فذكروا لرسول الله ﷺ قتلَ صاحبهم ؛ فقال رسولُ الله ﷺ : أتُسَمُّون قاتلكم ، ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنُسْلِمه إليكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنحلف على ما لا نعلم ؛ قال : أفيحلفون بالله خمسين يمينا ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يَبرأون من دمه ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، ما فيهم من الكفر أعظمُ من أن يحلفوا على إثم . قال : فوداه[3] رسولُ الله ﷺ من عنده مئة ناقة .

قال سهل : فوالله ما أنسى بَكْرَةً منها حمراء ضربتنى وأنا أحُوزها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، عن

---

(١) يمتار التمر : يجلبه ويحذيه . (لسان العرب ص ١٥٨ ح ٥) .
(٢) الكبر الكبر ، أى قدموا الأكبر للكلام ، إرشادا إلى الأدب فى تقديم الأسن .
(٣) فوداه : أعطاهم ديته . (ترتيب القاموس ص ٥٩٣ ح ٤) .

عبد الرحمن ابن بُجَيْد بن قَيْظِيٍّ ، أخي بني حارثة ، قال محمد بن إبراهيم : وايم الله ، ما كان سهل بأكثر علما منه ، ولكنَّه كان أسنّ منه ؛ إنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ! ولكن سهلا أَوْهَمَ ، ما قال رسول الله ﷺ ، احلفوا على ما لا علم لكم به ، ولكنه كتب إلى يهود خيبرَ حين كلَّمته الأنصار : إنه قد وُجِدَ قتيل بين أبياتِكم فَدوُه ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا ، فوداه رسولُ الله ﷺ من عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بُجيد ، إلا أنه قال في حديثه : دُوهُ أو ائذنوا بحرب . فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ؛ فوداه رسولُ الله ﷺ من عنده .

إجلاء اليهود عن خيبر أيام عمر[1] :

قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهريّ : كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهودَ خيبرَ نخلَهم ، حين أعطاهم النخل على خَرْجها ، أَبَتَّ ذلك لهم حتى قُبِض ، أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟

فأخبرني ابنُ شِهابٍ : أن رسول الله ﷺ افتتح خَيبر عَنْوَةً بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عزّ وجلّ على رسول الله ﷺ ، خَمسها رسولُ الله ﷺ ، وقَسَمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسولُ الله ﷺ ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تُعملوها ، وتكون ثمارُها بيننا وبينكم ، وأُقِرُّكُم ما أَقَرَّكُمُ الله ، فقبلوا ، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رَوَاحة ، فيقسم ثَمَرَها ، ويعدِل عليهم في الْخَرْص ، فلما توفَّى الله نبيَّه ﷺ ، أقرّها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، بعد رسول الله ﷺ بأيديهم ، على المُعاملة التي عاملهم عليها رسول الله ﷺ ، حتى تُوفي ؛ ثم أقرّها عمر رضي الله عنه

---

(١) كان يهود خيبر هم زعماء التآمر والدس ، وهم الذين حزبوا الأحزاب في غزوة الخندق ضد المسلمين ، وحثوا بني قريظة على الغدر والخيانة ، واتصلوا بالمنافقين في صفوف المسلمين . وأيضا هم الذين وضعوا خطة لقتل النبي ﷺ . وغدروا بالعهد .

صَدرا من إمارته . ثم بلغ عُمَرَ أن رسول الله ﷺ قال في وَجَعِه الذى قبضه الله فيه : لا يَجْتمعنَّ بجزيرة العرب دِينان ؛ ففحص عُمَرُ ذلك ، حتى بلغه الثَّبْتُ ، فأرسل إلى يهودَ ، فقال : إن الله عزّ وجلّ قد أذنَ في جَلائكم ، قد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : لا يَجْتَمِعَنَّ بجزيرة العرب دينان ، فمن كان عنده عهدٌ من رسول الله ﷺ من اليهود فليأتنى به ، أُنفذهُ له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود ، فليتجهز للجلاء ، فأجْلَى عُمَرُ من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله ابن عمر قال : خرجت أنا والزُّبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قَدِمْنا تفرّقنا في أموالنا ، قال : فعُدِىَ علىَّ تحت الليل ، وأنا نائم على فراشِى ، ففُدِعَتْ(١) يداىَ من مِرْفَقَىّ ، فلما أصبحت استصرَخَ علىّ صاحباى ، فأتيانى فسألانى : من صَنَع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ؛ قال : فأصلَحا من يدَىَّ ، ثم قَدِما بى على عمر رضى الله عنه ؛ فقال : هذا عمل يهودَ ، ثم قام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ كان عامَل يهودَ خيبر على أنا نخرجُهم إذ شئنا ، وقد عَدَوا على عبد الله بن عمر ، ففدعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عَدْوِهم على الأنصارىّ قبله ، لا نشكّ أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدوّ غيرهم ، ان كان له مال بخَيبر فليلحق به ، فانى مُخرج يهودَ ، فأخرجهم .

قسمة عمر لوادى القرى بين المسلمين :

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن مَكْنَف ، أخى بنى حارثة ، قال : لمَّا أخرج عمرُ يهودَ من خيبر ركب فى المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبَّار بن صخر بن أميَّة بن خنساء ، أخو بنى سَلَمة ، وكان خارصَ أهل المدينة وحاسبَهم - ويزيدَ بن ثابت ، وهما قَسَما خَيبر بين أهلها ، على أصل جماعة السُّهْمان ، التى كانت عليها .

(١) فدعت يداه : أى أزيلت مفاصلها عن أماكنها . (لسان العرب ص ٢٤٦ ج ٨) .

وكان ما قَسَم عمر بن الخطَّاب من وادى القُرَى ، لعثمانَ بن عَفَّان خَطَرٌ ، ولعبد الرحمن بن عوف خَطَرٌ ، ولعمرَ بن أبى سَلَمة خَطَرٌ ، ولعامر ابن أبى ربيعة خَطَرٌ ، ولعمرو بن سُراقة خَطَرٌ ، ولأُشَيْم خَطَر .

قال ابن هشام : ويقال : ولأسلم ولبنى جعفر خَطَر ، ولمُعَيْقِيب خَطَر ، ولعبد الله بن الأرقم خَطَرٌ ، ولعبد الله وعُبَيْد الله خَطَرَان ، ولابن عبد الله بن جَحْش خَطَر ، ولابن البُكَيْر خَطَرٌ ، ولمُعْتمر خَطَر ، ولزيد بن ثابت خَطَر ، ولأُبىّ بن كَعْب خَطَر ، ولمُعاذ بن عَفْراء خَطَر ، ولأبى طلحة وحَسَن خَطَر ، ولجبَّار بن صخْر خَطَر ، ولجابر بن عبد الله بن رئاب خَطَر ، ولمالك بن صَعْصَعة وجابر بن عبد الله بن عَمْرو خَطَر ، ولابن حُضَيْر خَطَر ، ولابن سَعْد بن مُعاذ خَطَر ، ولسَلامة بن سَلامة خَطَر ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبى شريك خَطَر ، ولأبى عَبْس بن جبر خَطَر ، ولمحمَّد بن مَسلمة خَطَر ، ولعبادة ابن طارق خَطَر .

قال ابن هشام : ويقال : لقتادة .

قال ابن إسحاق : ولجَبْر بن عَتِيك نِصْفُ خَطَر ، ولابنى الحارث بن قَيس نصف خَطَر ، ولابن حَزَمَة والضحاك خَطَر ، فهذا ما بلغنا من أمر خَيبر ووادى القُرَى ومقاسِمِها .

وقال ابن هشام : الخَطَر : النَّصيب . يقال : أَخْطَرَ لى فلان خَطَرًا .

● ذكر قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة وحديث المهاجرين إلى الحبشة

فرح الرسول بقدوم جعفر :

قال ابن هشام : وذكر سُفيان بن عُيَينة عن الاجْلح ، عن الشَّعْبى : أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، قَدِم على رسول الله ﷺ يومَ فَتح خَيْبر ،

فقَبَّل رسول الله ﷺ بين عَيْنيه ، والتزمه وقال : ما أدرى بأيهما أنا أَسَرُّ : بفتح خَيْبر ، أم بقدوم جعفر ؟

مهاجرة الحبشة الذين قدم بهم عمرو بن أمية :

قال ابن إسحاق : وكان مَنْ أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسولُ الله ﷺ إلى النجاشى عَمرو بن أميَّة الضَّمْرى ، فحَملهم فى سَفينتين ، فقَدِم بهم عليه وهو بخَيبر بعد الحُديبية .

من بنى هاشم بن عبد مَناف : جعفر بن أبى طالب بن عبد المُطَّلب ، معه امرأته أسْماء بنت عُمَيس الخَثْعمية ؛ وابنه عبد الله بن جَعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة . قُتل جعفر بمُؤتة من أرض الشام أميرًا لرسول الله ﷺ ، رجل .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف خالد بن سَعيد بن العاص بن أُمَيَّة ابن عبد شَمْس ، معه امرأته أُمينة بنت خلف بن أسْعد ـ قال ابن هشام : ويقال : أمينة بنت خلف ـ وابناه سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة . قُتل خالد بمَرج الصّفَّر(١) فى خلافة أبى بكر الصدّيق بأرض الشام ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صَفْوان بن أُميَّة ابن محرّث الكنانى ، هلكت بأرض الحبشة . قُتل عمرو بأجْنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه .

ومُعَيْقِيب بن أبى فاطمة ، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المُسلمين وكان إلى آل سعيد بن العاص ؛ وأبو موسى الأشْعرى عبد الله بن قيس ، حليف آل عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أربعة نفر .

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصى : الأسود بن نوفل بن خُويلد . رجل .

---

(١) مرج الصفر : بضم الصاد وتشديد الفاء موضع بغوطة دمشق وكان به وقعة للمسلمين مع الروم
[لسان العرب صـ ٤٦٥ ح ٤]

ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ : جَهْم بن قيْس بن عبد شُرحبيل ، معه ابناه عمرو ابن جَهْم وخُزيمْة بن جهم ، وكانت معه امرأته أمّ حَرملة بنت عَبْد الأسود هَلكت بأرض الحبشة ، وابناه لها .

ومن بنى زُهْرة بن كِلاب : عامر بن أبى وقَّاص ، وعُتبة بن مسْعود حليف لهم من هُذيل .

ومن بنى تَيْم بن مُرّة بن كَعْب : الحارث بن خالد بن صخْر ، وقد كانت معه امرأته رَيطة بنت الحارث بن جُبيلة ، هَلَكت بأرض الحبشة .

ومن بنى جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عثمان بن رَبيعة بن أهبان .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ، مَحْمِيَّة بن الجَزْء(1) ، حليف لهم من بنى زُبيد ، كان رسولُ الله ﷺ ، جعله على خُمُس المسلمين ، رجل .

ومن بنى عَدِيّ بن كعب بن لُؤَىّ : مَعْمر بن عبد الله بن نَضْلة .

ومن بنى عامر بن لُؤَىّ بن غالب : أبو حاطب بن عَمْرو بن عبد شمس ومالك بن ربيعة بن قَيْس بن عبد شمس ، معه امرأته عَمْرة بنت السعْدي بن وَقْدان بن عَبْد شمس . رجلان .

ومن بنى الحارث بن فِهْر بن مالك : الحارث بن عَبد قَيس بن لَقِيط رجل . وقد كان حُمِل معهم فى السَّفينتين نساءٌ من نساء من هَلك هنالك من المسلمين .

عدة من حملهم مع عمرو بن أمية

فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو بن أُميَّة الضَّمْرى فى السَّفينتين ، فجميع من قَدِم فى السَّفينتين إلى رسولِ الله ﷺ ستةَ عشر رجلا .

---

(1) يروى بتشديد الراى غير مهمور ، والصواب فيه الهمز . وكذا قيده الدارقطنى (راجع شرح السيرة لأبى ذر) .

سائر مهاجرة الحبشة :

وكان ممَّن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدَم إلا بعد بدر ، ولم يَحمل النجاشى فى السَّفينتين إلى رسول الله ﷺ ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن هلك بأرض الحبشة ، ومن مُهاجرة الحبشة . :

من بنى أميَّة بن عبد شَمْس بن عبد مَناف : عُبيد الله بن جَحْش بن رئاب الأسْدى أسْد خُزيمة ، حليف بَنى أميَّة بن عبد شمس ، معه امرأته أمّ حبيبة بنت أبى سُفيان ، وابنته حَبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تُكنى أمّ حَبيبة بنت أبى سفيان ، وكان اسمها رَمْلة .

تنصر ابن جحش بالحبشة وخلف الرسول على امرأته :

خرج مع المُسلمين مُهاجرًا ، فلما قَدم أرض الحبشة تنصر بها وفارق الإسلام ، ومات هُنالك نصرانيا . فخلَف[1] رسولُ الله ﷺ على امرأته من بعده أمّ حَبيبة بنت أبى سُفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عُروة ، قال : خرج عُبيد الله بن جَحْش مع المُسلمين مُسلِما ، فلما قدم أرض الحَبشة تنصَّر ، قال : فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ قال : فقَحْنا وصأصأتم[2] أى قد أبْصرنا وأنتم تَلْتمسون البصر ولم تُبْصِروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صَأصَأ قبل ذلك ، فضرب ذلك له ولهم مثلا : أى أنَّا قد فتَّحنا أعْيننا فأبْصرنا ، ولم تفتحوا أعينكم فتُبْصروا ، وأنتم تلتمسون ذلك .

قال ابن إسحاق : وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خُزَيمة ، وهو أبو أمّية بنت قَيْس التى كانت مع أمّ حَبيبة ؛ وامرأته بركة بنت يَسار ،

---

(١) حلف . صار مكانه [لسان العرب صـ ٨٤ ح ٩]
(٢) فقَحْنا : فَقَحَ الجرْوْ وفقَّحَ : وذلك أوّل ما يفتحُ عينيه وهو صغير وصأصأ : إذا لم يفتح عينيه : ويقصدُ بقوله هذا أننا أبصرنَا رُشدَنا ولم يتبصروا
[لسان العرب صـ ٥٤٦ ح ٢]

مولاة أبى سُفيان بن حرب ، كانتا ظِئْرَى[1] عُبيد الله بن جحش ؛ وأمّ حَبيبة بنت أبى سُفيان ، فخرجا بهما معهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة .

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ : يزيد بن زَمَعة بن الأسود بن المَطَّلب بن أسد قُتل يوم حُنين مع رسول الله ﷺ شهيدًا ؛ وعمرو بن أُميَّة ابن الحارث بن أسد ، هَلك بأرض الحبشة .

ومن بنى عَبْد الدّار بن قُصىّ : أبو الرُّوم بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار ؛ وفِراس بن النَّضر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة بن عَبْد مناف بن عبد الدار .

ومن بنى زُهرة بن كلابِ بن مُرّة : المُطّلب بن أزهر بن عبد عَوْف بن عبد (بن) الحارث بن زُهرة ، معه امرأته رَمْلة بنت أبى عوف بن ضُميرة ابن سُعيد ابن سَعْد بن سهم ، هَلك بأرض الحبشة ، ولدت له هنالك عبدَ الله بن المُطَّلب فكان يقال : إن كان لأوّل رجل وَرِث أباه فى الإسلام .

ومن بنى تَيم بن مرة بن كَعب بن لُؤَىّ : عمرو بن عثمان بن عمرو ابن كعب بن سَعْد بن تَيْم ، قتل بالقادسيَّة مع سعد بن أبى وقَّاص .

ومن بنى مخزوم بن يَقظة بن مُرّة بن كعب : هَبَّار بن سُفيان بن عبد الأسد ، قُتل بأجنْادِين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ؛ وأخوه عبد الله بن سُفيان ، قُتِل عام اليَرْموك بالشام ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يشكّ فيه أقتل ثَمّ أم لا ؛ وهشام بن أبى حُذيفة بن المُغيرة ، ثلاثة نفر .

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعب : حاطب بن الحارث مَعْمر بن حَبيب ابن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت المُجَلَّل هَلك حاطب هنالك مُسلما ، فقَدِمت امرأته وابناه ،

---

(١) الظئر . المُرضِعة غير ولدها وجمعها ظُؤُورة

[لسان العرب صـ٥١٤ ج ٤]

وهى أمهما ، فى إحدى السَّفينتين ؛ وأخوة حطَّاب بن الحارث ، معه امرأته فُكَيهة بنت يَسار ، هَلك هنالك مُسلما ، فقَدِمت امرأته فُكَيهة فى إحدى السَّفينتين وسُفيان بن مَعمر بن حَبيب ، وابناه جُنادة وجابر ، وأمهما معه حَسِنة ، وأخوهما لأمهما شُرحبيل بن حَسِنة ؛ وهَلك سفيان وهلك ابناه جُنادة وجابر فى خلافة عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه . ستة نفر .

ومن بَنى سَهْم بن عمرو بن هصَيص بن كَعب : عبد الله بن الحارث ابن قَيس بن عدىّ بن سعد بن سَهم الشاعر ، هَلك بأرض الحبشة ، وقَيْس بن حُذافة بن قَيس بن عدىّ بن سعد بن سَهم ؛ وأبو قَيْس بن الحارث بن قَيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، قُتِل يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وعبد الله بن حُذافة بن قَيس بن عدىّ ابن سعد بن سهم ، وهو رسولُ (رسول) الله ﷺ إلى كسرى ؛ والحارث بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ ؛ ومعمر بن الحارث بن قيس بن عدىّ ؛ وبِشر بن الحارث بن قيس بن عدىّ ؛ وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له سعيد بن عمرو ، قُتِل بأجْنادين فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ؛ وسعيد بن الحارث بن قَيس ، قُتل عام اليَرْموك فى خلافة عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه ؛ والسائب بن الحارث بن قيس ، جُرح بالطائف مع رسول الله ﷺ ، وقُتل يوم فِحْل[1] فى خلافة عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه ، ويقال : قُتل يوم خَيبر ، يُشكّ فيه ؛ وعُمير بن رئاب بن حُذَيفة ابن مهْشم بن سعد بن سهم ، قُتل بعَيْن التمر مع خالد بن الوليد ، مُنْصَرفة من اليمامة ، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه . أحد عشر رجلا .

ومن بنى عدىّ بن كعب بن لُؤىّ : عُروة بن عبد العُزّى بن حُرْثان بن عوف بن عُبيد بن عُوَيج بن عدىّ بن كعب ، هَلك بأرض الحبشة ؛ وعدىّ بن نَضلْة بن عبد العُزّى بن حُرْثان ، هَلك بأرض الحبشة .

● ومن بنى عامر بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر : سَليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وهو كان رسول

---

(١) فِحل : موضع بالشام كانت به وقعة المسلمين مع الروم

[لسان العرب صـ ٥٤٨ ج ١١]

رسولِ الله ﷺ إلى هَوذة بن علىّ الحَنَفى باليمامة . رجل .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن عبد غَسم بن زُهير بن أبى شدّاد ؛ وسعد بن عبد قَيْس بن لَقِيط بن عامر بن أُميَّة بن ظَرب بن الحارث ابن فِهْر ، وعياض بن زُهير بن أبى شدّاد . ثلاثة نفر .

فجميع من تخلَّف عن بَدْر ، ولم يَقدم على رسول الله ﷺ مكة ، ومن قَدِم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشى فى السَّفينتين ، أربعة وثلاثون رجلا .

وهذه تسمية (جملة) من هَلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة :

من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عُبيد الله بن جَحْش بن رئاب ، حليف بنى أمية ، مات بها نِصْرانيا .

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : عمرو بن أُميَّة بن الحارث بن أسد .

ومن بنى جُمح : حاطب بن الحارث ؛ وأخوه حطَّاب بن الحارث .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبد الله بن الحارث ابن قَيس .

ومن بنى عدىّ بن كعب بن لُؤَىّ : عُروة بن عبد العُزّى بن حُرْثان بن عوف ، وعَدِىّ بن نَضْلة . سبعة نفر .

ومن أبنائهم ، من بنى تيم بن مرة : موسى بن الحارث بن خالد بن صخر ابن عامر . رجل .

وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قَدِم مِنهنّ ومن هَلك هناك ستَّ عشرة امرأة ، سوى بناتهنّ اللاتى وُلدن هنالك ، من قَدِم منهنّ ومن هَلك هنالك ، ومن خرج به معهنّ حين خَرجن .

ومن قُريش ، من بنى هاشم : رُقية بنت رسول الله ﷺ .

ومن بنى أميَّة : أمّ حبيبة بنت أبى سُفيان ، معها ابنتُها حَبيبة ، خرجت بها من مكة ، ورَجعت بها معها .

ومن بنى مخزوم : أم سَلمة بنت أبى أمية ، قدمت معها بزينب ابنتها من أبى سَلمة ولدتها هنالك .

ومن بنى تَيْم بن مُرّة : رَيْطة بنت الحارث بن جُبيَلة ، هلكت بالطريق وبنتان لها كانت ولدتهما هنالك : عائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ، هَلكن جميعا ، وأخوهنّ موسى بن الحارث ، من ماء شربوه فى الطريق ، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرُها ، يقال لها فاطمة .

ومن بنى سَهم بن عمرو : رَمْلة بنت أبى عَوْف بن صُبيرة .

ومن بنى عدىّ بن كعب : ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لُؤَىّ : سودة بنت زَمعة بن قيس ؛ وسهلة بنت سهيل ابن عمرو ، وابنة المجلّل ، وعمرة بنت السّعْدى بن وقدان ؛ وأمّ كُلثوم بنت سُهَيل بن عمرو .

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عُمَيس بن النُّعمان الخَثْعمية ؛ وفاطمة بنت صفْوان ابن أميَّة بن مُحرّث الكِنانية ، وفُكَيهة بنت يسار ، وبركة بنت يسار ، وحَسِنة ، أمّ شُر حَبيل بن حَسنة .

وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة .

ومن بنى هاشم : عبدُ الله بن جعفر بن أبى طالب .

ومن بنى عبد شَمْس : محمد بن أبى حُذَيفة ، وسعيد بن خالد بن سَعيِد ، وأخته أَمَة بنت خالد .

ومن بنى مخزوم : زينب بنت أبى سَلمة بن الأسد .

ومن بنى زهرة : عبد الله بن المُطَّلب بن أزْهر .

ومن بنى تَيْم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جَعفر ، ومحمد بن أبى حُذَيفة ، وسعيد بن خالد وعبد الله بن المطَّلب ، وموسى بن الحارث .

ومن النساء خمس : أمة بنت خالد ، وزينب بنت أبى سَلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر .

عمرة القضاء
فى ذى القعدة سنة سبع

خروج الرسول معتمرا فى ذى القعدة :

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر أقام بها شهرى ربيع وجُمادَيَيْن ورجبا وشعبان ورمضان وشوّالا ، يبعث فيما بين ذلك من غزوة وسراياه ﷺ . ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمرًا عمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدّوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عُويف بن الأضبط الدّيلى(١) .

سبب تسميتها بعمرة القصاص .

ويقال لها عمرة القِصاص ، لأنهم صدّوا رسولَ الله ﷺ فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ستّ ، فاقتصّ رسولُ الله ﷺ منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة ، فى الشهر الحرام الذى صدّوه فيه ، من سنة سبع(٢) .

---

(١) وعند الواقدى أن الذى استعمل على المدينة هو أبورهم .

(٢) كما تسمى أيضا : عمرة القضية وعمرة الصلح .

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله فى ذلك : الحُرُمات قِصَاص[1] .

خروج المسلمين الذين صدوا أولا معه .

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صُدّ معه فى عُمرته[2] تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهلُ مكة خرجوا عنه ، وتحدّثت قُريش بينها أن محمدا وأصحابه فى عُسرة وجَهد وشدّة .

سبب الهرولة بين الصفا والمروة

قال : ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم ، عن ابن عبَّاس ، قال : صَفُّوا له عند دار النَّدوة لِيَنْظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع[3] بردائه ، وأخرج عَضُدِه اليمنى ، ثم قال : رحم الله امرأ أراهم اليومَ من نفسه قوّةً ، ثم استلم الرُّكن ، وخرج يُهَرْوِل[4] ويهرول أصحابُه معه ، حتى إذا داراهُ البيت منهم ، واستلم الركنَ اليمانى ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطوافٍ ، ومشى سائرَها . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم . وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحى من قُريش للذى بلغه عنهم ، حتى إذا حجّ حِجَّة[5] الوداع فلزمها ، فمضت السنة بها .

ارتجاز ابن رواحة وهو يقود ناقة الرسول ﷺ

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بنُ أبى بكر : أن رسول الله ﷺ حين

(١) سورة البقرة آية (١٩٤)
(٢) كانت عدة المسلمين ألفين سوى النساء والصبيان .
(٣) اضطبع بردائه : الاضطباعُ أن تُدخلَ الرِّداءَ من تحت إبطك الأيمن وتغطى به الأيسر كالرجل يريد أن يعالج أمْرًا فيتهيأ له [لسان العرب صـ ٨١٦ ج ٨]
(٤) الهرولة : ضرب من العدو وهو بين المشى والعدو [لسان العرب صـ ٦٩٦ ج ١١]
(٥) الحِّجةُ : المَّرة الواحدة وهو من الشواذ لأن القياس بالفتح [لسان العرب صـ ٦٩٦ ج ١١]

دخل مكة فى تلك العُمرة دخلها وعبد الله بنُ رواحة آخذ بخطام[1] ناقته يقول :

خَلُّوا بنى الكُفَّار عن سبِيله ... خلُّوا فكلُّ الخَير فى رسولهِ
يـاربِّ إنى مؤمن بقِيلهِ[2] ... أعْرف حَقَّ الله فى قَبُولهِ

★ ★ ★

نحنُ قَتَلْناكم على تأويلهِ ... كمَا قَتَلْناكم على تنزِيله
ضَرْبا يُزيل الهام عن مَقِيلهِ ... ويُذْهل الخَليل عن خَليلهِ[3]

قال ابن هشام : « نحن قتلناكم على تأويله » إلى آخر الأبيات ، لعمَّار ابن ياسِر هذا اليوم[4] ، والدليل على ذلك أن ابن رواحةَ إنما أراد المُشركين ، والمُشركون لم يُقِرُّوا[5] بالتنزيل ، وإنما يُقْتل على التأويل من أقرّ بالتنْزيل .

• زواج الرسول بميمونة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبانُ بن صالح وعبد الله بن أبى نجيح ، عن عطاء بن أبى رباح ومجاهد أبى الحجاج ، عن ابن عباس : أنّ رسول الله ﷺ تزوّج ميمونةَ بنتَ الحارث فى سفره ذلك وهو حَرَام وكان الذىَ زوّجه إيَّاها العبَّاس بن عبد المُطَّلب .

قال ابن هشام : وكانت جعلت أمرَها إلى أختِها أمّ الفَضْل ، وكانت أم

---

(١) الخطام : كل ما وضِعَ فى أنفِ البعير ليُقْتادَ به [ترتيب القاموس صـ ٧٩ ج ٢]
(٢) قيله : قوله
(٣) الهام : جمع هامة وهى أعلى الرأس : ومقيلُه : موضوعه وتنزيله بمعنى إنكار تنزيله [لسان العرب صـ ٥٧٨ ج ١١]
(٤) المقصود باليوم هو يوم صفين
(٥) لم يُقِرُّوا : الإقرار هو الإذعان للحق والاعتراف به
لم يُقِرُّوا : لم يعترفوا [لسان العرب صـ ٨٨ ج ٥]

الفضل تحت العبَّاس ، فجعلت أمُّ الفضل أمَرها إلى العباس ، فزوّجها رسول الله ﷺ بمكة ، وأصدَقها عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهَم .

إرسال قريش حويطبا إلى الرسول يطلب منه الخروج من مكة :

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله ﷺ بمكة ثلاثا ، فأتاه حويطب بنُ عبد العُزَّى بن أبى قَيْس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل ، فى نفر من قُريش ، فى اليوم الثالث ، وكانت قُرَيش قد وكَّلته باخراج رسول الله ﷺ من مكة ؛ فقالوا له : إنَّه قد انقضى أجلُك ، فاخرج عنا ؛ فقال النبى ﷺ : وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم[1] وصنعنالكم طعاما فحضرتموه قالوا : لا حاجة لنا فى طعامك ، فاخرج عنا . فخرج رسول الله ﷺ ، وخلَّف أبا رافع مولاه على ميمونة ، حتى أتاه بها بسَرِف[2] فبنى بها رسولُ الله ﷺ هنالك ، ثم انصرف رسولُ الله ﷺ إلى المدينة فى ذى الحجة .

ما نزل من القرآن فى عمرة القضاء

قال ابن هشام : فأنزل الله عزّ وجلّ عليه ، فيما حدثنى أبو عبيدة : « لقد صَدَقَ الله رَسُولَه الرُّؤيا بالحَقّ ، لتَدْخُلُنَّ المَسْجدَ الحَرَامَ إن شَاءَ الله آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ[3] رؤوسَكُمْ وَمُقَصّرِينَ[4] لاَ تَخَافُونَ ، فَعَلمَ ما لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا »[5] يعنى خيبر .

---

(١) فأعرست بين أظهركم : أى أقمت بينكم [لسان العرب صـ ١٣٦ ح ٦]

(٢) سرف : بكسر الراء موضع من مكة على عشرة أميال قُرْب التنعيم [لسان العرب ؛ صـ ١٥٠ ح ٩]

(٣) المحلقين الدين يحلقون شعورهم (لسان العرب ص ٦٠ ح ١٠)

(٤) المُقَّصرين : قصَّرَ الشعر : كف منه وغَصَّ حتى قصر وقَصَّرَ من شعره تقصيرًا إذا حذف منه شيئًا ولم يستأصله [لسان العرب صـ ٩٦ ج ٥]

(٥) سورة الفتح آية (٢٧)

ذكر غزوة مؤتة[1]

فى جمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة

قال ابن إسحاق : فأقام بها بقيَّة ذى الحجة ، ووَلِى تلك الحجَّة المشركون . والمحرّم وصفرا وشهرى ربيع ، وبعث فى جمادى الأولى بعْثَة إلى الشام الذين أصيبوا بمُؤتة .

بعث الرسول إلى مؤتة واختياره الأمراء :

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير قال : بعث رسول الله ﷺ بعْثة إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان . واستعمل عليهم زيدَ بن حارثة وقال : إن أُصيب زيدٌ فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

بكاء ابن رواحة مخافة النار وشعره للرسول

تجهَّز الناسُ ثم تهيأوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجُهم ودَّع الناسُ أمراءَ رسول الله ﷺ وسلّموا عليهم . فلما ودّع عبدُ الله بنُ رواحة من ودّع من أمراء رسول الله ﷺ بكى ؛ فقالوا : ما يُبكيك ياابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بى حبُّ الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ آيةً من كتاب الله عزّ وجل ، يذكر فيها النار « **وإنْ منْكُمْ إلاَّ وَارِدُها كانَ على رَبِّكَ حَتْما مَقْضِيًّا** »[2] فلستُ أدرى كيف لى بالصَّدَر بعد الورود ؛ فقال المسلمون : صَحِبكم الله ودفع عنكم ، وردَّكم إلينا صالحين ؛ فقال عبد الله بن رواحة :

---

(١) مؤتةُ : بالصم موضع بمشارف الشام وهى أكبر لقاء دامى بين المسلمين والكفار فى حياة النبى عليه السلام وكانت مقدمة لفتح بلدان النصارى كانت هذه المعركة بداية اللقاء الدامى وجها لوجه مع الرومان . ونشر الإسلام فى بلادهم .

(٢) سورة مريم آية ٧١

لكنَّنِــى أسألُ الرَّحمــنَ مَغْفــرةً   وضربةً ذات فَرْغٍ(١) تقذفُ الزَّبَدَا(٢)
أو طَعْنَةً بيَدَىْ حَرّانَ مُجْهِـزَةً(٣)   بحَرْبَــة تُنْفِـذالأحشاءَ(٤) والكَبِـدَا
حتى يُقال إذا مَرُّوا على جَدَثى(٥)   أرشدَه الله من غازٍ وقد رَشَدَا

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهيأوا للخروج ، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ فودّعه ، ثم قال :

فثَبَّتَ الله ما آتاك مــن حَسَنٍ   تَثْبيتَ موسى ونَصرًا كالذى نُصروا
إنى تفرّستُ فيكَ الخيرَ نافِلَــةً   الله يعلم أنــى ثــابتُ الــبَصَرا
أنتَ الرَّسولُ فَمن يُحرَم نَوافلَه(٦)   والوجْهَ منه فقد أزرى(٧) به القَدر

● قال ابن إسحاق : ثم خرج القومُ ، وخرج رسولُ الله ﷺ حتى إذا ودَّعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَلَفَ السَّلامُ على امْرِىءٍ ودّعته   فى النَّخْلِ خيرَ مُشَيعٍ وخليل

ثم مضوا حتى نزلوا مَعان ، من أرض الشام ، فبلغ الناسُ أن هرقلَ قد نَزل مآب ، من أرض البلقاء ، فى مائة ألف من الروم ، وانضمّ إليهم من لخم وجُذام والقَيْن وَبهْراء وَبِلِّى مائة ألف منهم ، عليهم رجل من بلى ثم أحدُ إرَاشة ، يقال له : مالك بن زافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعان ليلتين يفكرون فى أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ ، فنخبرُه بعدد عدوّنا ، فإمّا أن يُمدّنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضى له .

---

(١) ذات فرع : ذات سعة [لسان العرب صد ٤٤٦ ج ٨]
(٢) الزّبد : بمعنى رغوة ، اللبن [لسان العرب صد ١٩٢ ح ٣] وهى هنا بمعنى رغوة الدم
(٣) مجهزة : سريعة القتل [لسان العرب صد ٣٢٥ ح ٥]
(٤) تنفذ الأحشاء : تحترقها [لسان العرب صد ٥١٥ ح ٣]
(٥) الجدف والجدث : القبر [لسان العرب صد ٢٤ ح ٩]
(٦) نافلة : الهبة من الله وجمعها النوافل . العطايا [لسان العرب صد ٦٧٠ ح ١١]
(٧) أزرى به : أى قصر به وحقره وهَوَّنه [لسان العرب صد ٣٥٦ ج ١٤]

تشجيع ابن رواحة الناس على القتال :

قال : فشجَّع الناسَ عبدُ الله بنُ رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التى تكرهون ، للَّتِى خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلِقُوا فإنما هى إحْدَى الحُسنيين إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابنُ رواحة . فمضى الناس .

لقاء الروم :

قال ابن إسحاق : فمضى الناسُ ، حتى إذا كانوا بتُخوم[1] البلْقاء لقيتْهم جموع هرَقْل ، من الروم والعرب ، بقرية من قُرى البلقاء يقال لها مَشارف ، ثم دنا العدّو ، وانحاز المسِلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناسُ عندها ، فتعبأً لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنَهم رجلا من بنى عُذرة ، يقال له : قُطْبة ابنُ قَتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عُباية بن مالك .

قال ابن هشام : ويقال عُبادة بنُ مالك .

قال ابن إسحاق : ثم التقى الناسُ واقتتلوا ، فقاتَل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط[2] فى رماح القوم .

إمارة جعفر ومقتله

ثم أخذها جعفر فقاتل بها ، حتى إذا ألحمه القتال[3] اقتحم عن فرس له

---

(١) التخوم : الحدود الفاصلة بين أرض وأرض . وهى حمع : تحم [ترتيب القاموس صـ ٣٦٢ ح ١]

(٢) شاط الرجل : إذا هلك دمه أى سال [لسان العرب صـ ٣٣٨ ح ٧]

(٣) ألحمه القتال · أى اشتد القتال فلم يجد محرجًا [ترتيب القاموس صـ ١٣١ ح ٤]

شقراء ، فعقرها[1] ثم قاتَل القوم حتى قُتِل . فكان جعفرُ أوّلَ رجل من المسلمين عَقرَ فى الإسلام .

وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه عبَّاد ، قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى ، وكان أحد بنى مُرّة بن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مُؤْتة قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحَمَ عن فَرس له شقراءَ ، ثم عَقرها ثم قاتَل حتى قُتل وهو يقول :

يا حبَّذا الجنَّةُ واقترابها طَيِّبَةً وباردًا شرابها
والرومُ رومٌ قد دَنا عذابها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها
علىَّ إذ لاقيتُها ضِرابها

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم : أن جعفرَ بن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقُطِعت ، فأخذه بشماله فقُطعت ، فاحتضنه بعَضُدَيه حتى قُتل رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء . ويقال : إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة ، فقطعه بنصفين .

إمارة ابن رواحة ومقتله

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه عبَّاد قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى ، وكان أحد بنى مُرّة بن عوف ، قال : فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رَوَاحة الراية ، ثم تقدّم بها ، وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ، ويتردّد بعض التردّد ، ثم قال :

أقْسَمْتُ يا نفسُ لَتَنْزِلَّنَّة لَتَنْزِلِنَّ أوْ لَتُكْرَهِنَّهْ
إن أجْلَب الناسُ[2] وشدّوا الرَّنَّهْ[3] مالى أراكِ تكرهين الجَنَّهْ

قد طالَ ما قد كنتِ مُطمئنهْ | هل أنتِ إلا نُطْفة[1] فى شَنَّهْ[2]

وقال أيضا :

يانــفس إلا تُقْتَلــى تموتـــى | هذا حِمام المَوْتِ قد صَلِيتِ
وما تمنَّــيتِ فقــد أُعْطِــيتِ | إن تفعلــى فِعْلهمــا هُــدِيتِ

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرا ؛ ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عمّ له بعَرْق[3] من لحم فقال : شُدّ بهذا صلبَك ، فإنك قد لقيتَ فى أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ثم انتَهَس[4] منه نَهْسةً ، ثم سمع الحِطْمَة[5] فى ناحية الناس ، فقال : وأنت فى الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدّم ، فقاتل حتى قُتل .

ابن الوليد وانصرافه بالناس

ثم أخذ الراية ثابت بن أقْرم أخو بنى العَجْلان ، فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ؛ فلما أخذ للراية دافع القوم ، وحاشى[6] بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

تنبؤ الرسول بما حدث للمسلمين مع الروم .

قال ابن إسحاق : ولَّما أُصيب القوم قال رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيدًا ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيدًا ؛ قال : ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار ،

---

(١) النطفة . الماء القليل الصافى [لسان العرب صد ٣٣٥ ج ٩]
(٢) الشنة · السقاء البالى [لسان العرب صد ٢٤١ ح ١٣] ويقصد بهذا البيت : أنه يوشك أن تهلك النطفة أو أن تنحرق السقاء : ضرب ذلك مثلاً لنفسه فى حده
(٣) العرق : العظم الذى عليه قليل من اللحم أو نعض اللحم [لسان العرب صد ٢٤٤ ج ١٠]
(٤) انتهس . أخذ منه بفمه قليلاً [لسان العرب صد ٣٦٠ ح ٦]
(٥) الحطمة . الازدحام [لسان العرب صد ١٣٩ ح ١٢]
(٦) حاشى بهم · انحاز بهم : روى البخارى عن خالد بن الوليد قال : لقد انْقَطعت فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما بقى فى يدى إلا صفيحة يمانية . صحيح البخارى عروة مؤتة ح ٢

وظنُّوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيدا ، ثم قال : لقد رُفعوا إلىّ فى الجنَّة ، فيما يَرى النائم ، على سُرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا[1] عن سريرى صاحبَيْه ، فقلت : عمّ هذا ؟ فقيل لى : مَضيا وتردّد عبد الله بعض التردّد ، ثم مضى .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أم عيسى الخُزاعية ، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدتها أسماء بنت عُميس ، قالت : لما أُصيب جعفر وأصحابه دخل علىّ رسول الله ﷺ وقد دبَغْتُ[2]أربعين مَنا[3] قال ابن هشام : ويروى أربعين منيئة - وعجنت عجينى ، وغسلت بنىّ ودَهنتهم ونظّفتهم . قالت : فقال لى رسول الله ﷺ : ائتينى ببنى جعفر ؛ قالت فأتيته بهم ، فتشمَّمهم وذَرفت عيناه ، فقلت : رسول الله ﷺ بأبى أنت وأمى ، ما يُبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم ، أُصيبوا هذا اليوم . قالت : فقُمت أصيح ، واجتمعتْ إلى النساء ، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله ، فقال : لا تُغْفِلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما ، فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم .

وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبىّ ﷺ ، قالت : « لما أتى نَعْى[4] جعفر عَرَفنا فى وجه رسول الله ﷺ الحزن .

---

(١) أرورارا : الزَّوَرُ بالتحريك الميل أى ميلاً وعوجاً
[لسان العرب صد ٣٣٤ ح ٤]

(٢) دبَغتُ : دبع الجلد يَدْبَعه · الدِّبغة بالكسر ما يُدْبَع به الأديم [لسان العرب صد ٤٢٤ ح ٨]

(٣) المنا : الكَيْلُ أو الميزان الدى يُوَزن به وتثنيته مَنَوان ومَنَيانِ [لسان العرب صد ٢٩٧ ح ١٥]

(٤) نعْى : النَّعْىُ · حبر الموت - حاء نَعىُّ فلان هو حبر موته والناعى · الدى يأتى بحبر الموت
[لسان العرب صد ٣٣٤ ح ١٥]

قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله ، إن النساء عنَّيْننا(١) وفَتَنَّنا(٢) قال : فارجع إليهن فأسْكِتهُن ، قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك – قال : تقول وربما ضرّ التكلُّف أهله – قالت : قال فاذهب فأسكِتهُن ، فإن أبينَ فاحثُ(٣) فى أفواههنّ التراب ، قالت : وقلت فى نفسى : أبعدك الله ! فو الله ما تركتَ نفسك وما أنت بمُطيع رسول الله ﷺ . قالت : وعرفت أنه لا يقدر على أن يَحْثِى فى أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قُطْبة بن قَتادة العُذْرى ، الذى كان على مَيْمنة المسلمين ، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله .

كاهنة حدس وإنذارها قومها :

قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنةٌ من حَدَس (٤) حين سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلا ، قد قالت لقومها من حَدَس ، وقومُها بطن يقال لهم بنوغَنْم – أنذركم قوما خُزْرًا(٥) ، ينظرون شَزْرًا(٦) ، ويقودون الخيل تَتْرى(٧) ويُهرِيقون دما عَكْرًا(٨) فأخذوا بقولها ، واعتزلوا من بين لخم ؛ فلم تزل بعدٌ أثرى(٩) حَدَس . وكان الذين صَلُوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطن من حدَس ، فلم يزالوا قليلا بعدُ . فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا .

رجوع الجيش وتلقى الرسول له وغضب المسلمين

قال إبن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عروة بن

---

(١) عنَّيننا : إعترص علينا [لسان العرب صد ٢٩٠ ج ١٣]
(٢) فتنّا : أى يتفنّ فى الكلام [لسان العرب صد ٣١٨ ج ١٣]
(٣) حثا : حثا التراب عليه يَحْثُوه ويَحْثيه حَثْواً وحيثًا ما رفعت به يدك أى إذا قبصه بيده ثم رماه [ترتيب القاموس صد ٥٩٠ ح ١]

(٤) حدس : قبيلة من اليمن [لسان العرب صد ٤٧ ح ٦]
(٥) الخرر : جمع أحرر : وهو الدى ينطر بمؤخر عينه أى نطرة المتكبر [لسان العرب صد ٢٣٦ ج ٤]
(٦) الشررة · نَظَرة ، شزرة : فيه إعراص كنطر المعادى المبغص أى نطرة عداوة [لسان العرب صد ٤٠٤ ج ٤]
(٧) تترى : تتراخى : وأثرى ، عَملَ أعمالاً متواترة بين كل عَمَلَيْنِ فترة [ترتيب القاموس صد ٣٦٨ ج ١]
(٨) العكر : المتعكر : أى دمًا مختلطًا [لسان العرب صد ٦٠٠ ح د]
(٩) أثرى : من الثروة وهى الكثيرة أى أكثر مالاً وعددًا [ترتيب القاموس صد ٤٠٣ ج ١]

الزّبير ، قال : لما دنوا من حول المدينة تلقَّاهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون ، قال : ولقيهم الصبيانُ يشتدُّون ، ورسول الله ﷺ مُقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم ، وأعطونى ابنَ جعفر . فأتِى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثُون على الجيش التراب ، ويقولون يافُرّار ، فررتم فى سبيل الله ! قال : فيقول رسول الله ﷺ : ليسوا بالفُرّار ، ولكنهم الكُرّار إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عامر بن عبد الله ابن الزبير ، عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله ، عن أمّ سلمة زوج النبىّ ﷺ ، قال : قالت أمّ سلمة لامرأةِ سلمةَ بن هشام بن العاص بن المغيرة : مالى لا أرى سَلَمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يا فُرّار ، فَرَرْتم فى سبيل الله ، حتى قعد فى بيته فما يخرج .

وهذه تسمية من استُشهد يوم مُؤتة[1]

من قريش ، ثم من بنى هاشم : جعفرُ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وزيدُ بن حارثة رضى الله عنه .

ومن بنى عدىّ بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نَضلة ، ومن بنى مالك ابن حِسْل : وَهْب بن سعد بن أبى سرْح .

ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخَزْرج : عبد الله بن رواحَة ، وعُباد بن قَيْس .

ومن بنى غَنم بن مالك بن النجَّار : الحارث بن النُّعمان بن أساف بن نضلَة بن عبد بن عوف بنَ غنم .

---

(١) اختلفت الرّوايات كثيرا حول هذه المعركة ولكن الإجماع على أن خالد بن الوليد نجح فى أن ينحاز بالمسلمين من غير أن يلفت نظر الرومان حتى لا يقوموا بمطاردة المسلمين . فقد غير أوضاع الجيش بعد أن تولى القيادة . فجعل مقدمته ساقة ، وميمنته ميسرة ، وظن الأعداء وهم يشاهدون تحركات الجيش الإسلامى أن المدد جاءهم . وجعل يناوش الأعداء ويتأخر فظنوا أنهم يحاولون جرهم إلى الصحراء وقد جاءهم المدد فلم يفكروا فى مطاردة المسلمين ، حتى عادوا إلى المدينة [أنظر فتح البارى شرح صحيح البخارى] .

ومن بنى مازن بن النَّجار : سُراقة بن عمرو بن عطيَّة بن خنساء .

قال ابن هشام : وممن استُشْهد يوم مُؤتة فيما ذكر ابن شهاب ، من بنى مازن بن النَّجار : أبو كُلَيب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مَبلول وهما لأب وأم .

ومن بنى مالك بن أفْصَى : عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عباد ابن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى .

قال ابن هشام : ويقال أبو كلاب وجابر ، ابنا عمرو .

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة(١) فى شهر رمضان سنة ثمان

القتال بين بكر وخزاعة

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بَعْثه إلى مُؤتة جمادى الآخرة ورجبا .

ثم إن بنى بكر بن عبد مَناف بن كنانة عَدَت على خُزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوَتِير ، وكان الذى هاج ما بين بنى بكر وخُزاعة أنّ رجلا من بنى الحَضْرمى ، واسمه مالك بن عبَّاد - وحلْف الحَضرمى يومئذ إلى الأسود بن رَزْن - خرج تاجرا ،، فلما توسَّط أرض خزاعة ، عدوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعَدت بنو بكر على رجل من خُزاعة فقتلوه ، فعدَت

(١) الفتح الأعظم الذى أنقذ مكة من الشرك والبيت الحرام من أيدى الكفار والمشركين . ودخل الناس به أفواجا فى دين الله .

خزاعةُ قُبيَل الإسلام على بنى الأسود بن رَزْن الدّيلى - وهم مَنْخَرُ[1] بنى كنانة وأشرافهم - سَلْمى وكُلثوم وذُوَيب - فقتلوهم بعرَفة عند أنصاب الحرم[2] .

قال ابن إسحاق . وحدثنى رجل من بنى الدِّيل ، قال : كان بنو الأسود ابن رِزْن يُوْدَون فى الجاهليَّة ديتين ديتين ، ونُودَى دِيةً دية ، لفضلهم فينا .

قال ابن إسحاق : فبينا بنوبكر وخُزاعة على ذلك حَجَز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلحُ الحُديبية بين رسول الله ﷺ وبين قُرَيش ، كان فيما شرَطوا لرسول الله ﷺ وشرَط لهم ، كما حدثنى الزهرى ، عن عروة ابن الزّبير ، عن المسْور بن مَخْرمة ومروان بن الحكم ، وغيرهم علمائنا : أنه من أحبّ أن يدخل فى عَقْد رسول الله ﷺ وعَهده فليدخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل فى عَقد قُريش وعهدهم فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر فى عَقد قُريش وعهدهم ، ودخلت خُزاعة فى عقد رسول الله ﷺ وعَهده .

قال ابن إسحاق : فلما كان الهُدْنة اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خُزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأرًا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود بن رَزْن ، فخرج نوفل بن معاوية الدّيلى فى بنى الديل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كلّ بنى بكر تابَعه حتى بيَّت خُزاعة وهم على الوَتير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت[3] بنى بكر قريشٌ بالسلاح ، وقاتل معهم من قُريش مَن قاتل بالليل مستخفيا ، حتى حازوا[4] خُزاعة إلى الحَرَم ، فلما انتهَوْا إليه ، قالت بنو بكر : يا نَوْفل ، إنَّا قد دخلنا الحرم ، إلهكَ إلهكَ ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لَتسْرِقون[5] فى الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؛ وقد أصابوا منهم ليلة

---

(١) منخر س كنانة : يريد بالمنحر : المتقدمين ، لأن الأنف هو المتقدم من الوجه [لسان العرب صد ١٩٨ ح ٥]
(٢) أنصاب الحرم : حجارة تحارة تجعل علامات بين الحل والحرم [لسان العرب صد ٧٥٩ ح ١]
(٣) رفدت : أعطت [لسان العرب صد ١٨١ ج ٣]
(٤) حازوهم : ساقوهم [لسان العرب صد ٣٣٩ ح ٥]
(٥) وفى سائر الأصول : لتسرقون

بيَّتوهم بالوَتير رجلا يقال له منبه وكان منبه رجلا مفئودا(١) خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، وقال له منبه : يا تميم ، انج بنفسك ، فأما أنا فو الله إنى لميِّت ، قتلونى أو تركونى ، لقد أنبَتَّ(٢) فؤادى ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا مُنَبِّها فقتلوه ، فلما دخلت خُزاعة مكة ، لجأوا إلى دار بُدَيْل ابن ورقاء ، ودار مولى لهم يقال له رافع .

• شعر عمرو الخزاعى للرسول يستنصره ورده عليه •

قال ابن إسحاق : فلما تظاهرت بنو بكر وقُريش على خُزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونَقضوا ما كان بينهم وبين رسولِ الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلُّوا من خُزاعة ، وكان فى عَقْده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعىُّ ، ثم أحد بنى كعب ، حتى قَدم على رسول الله ﷺ المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مَكَّة ، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهْرانى الناس ، فقال :

يـــارَبِّ إنـــى ناشد(٣)محمـــــدا حلْــف أبينــا وأبيــه الأتْلــدا(٤)
قـدْ كُنْتُـمْ وُلْـدًا وكُنـا وَالِـــدَا ثُـمَّتَ أسْلَمْنا فلَـمْ نَنْـزِعْ يــدَا
فانْصُر هَداكَ الله نَصْرًا أعتَـدا(٥) وادعُ عبـادَ الله يَأتـوا مــدَدا(٦)

(١) مفئوداً : الفؤاد هو القلب والجمع أفئدة والمفئودة هو ضعيف القلب [لسان العرب صـ ٣٢٩ ح ٣]
(٢) انبَتَّ . انقطع والبَتّ = القطع المستأصل [لسان العرب صـ ٦ ج ٢]
(٣) ناشد : طالب ومذكر [لسان العرب صـ ٤٢١ ج ٣]
(٤) الأُتلد : القديم [لسان العرب صـ ٩٩ ح ٣]
(٥) اعتد : عَتَدَ الشيء عُتَادَةً فهو عَتِيدٌ : حاصر [لسان العرب صـ ٢٧٩ ج ٣]
(٦) المدد ، العون [لسان العرب صـ ٣٩٨ ح ٣]

فيهم رسولُ الله قد تحرّدا(١) إن سِيم(٢) خَسْفا(٣) وجهُه تَرَبَّدَا(٤)
فى فَيْلق(٥) كالبحر يجْرِى مُزْبِدا إنّ قُريشا أخْلفوك المَوْعِدا
ونَقضوا مِيثاقك المُوكَّدَا وجَعَلُوا لى فى كَدَاء(٦) رُصّدا(٧)
وزَعموا أنْ لستُ أدعُو أحَدَا وهُمْ أذَلّ وأقلّ عَدَدا
هُمْ بَيَّتُونا بالوَتِير(٨) هُجَّدا(٩) وقَتَلُونا رُكّعا وسُجَّدَا

● قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله ﷺ عَنان(١٠) من السَّماء ، فقال : إن هذه السَّحابة لتسّهلّ بنصر بنى كعب .

ذهاب ابن ورقاء إلى الرسول بالمدينة شاكيا وتعرف أبى سفيان أمره :

ثم خرج بُدَيل بن ورقاء فى نفر من خُزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينةَ ، فأخبروه بما أُصيب منهم ، وبمُظاهرة(١١) قُريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله ﷺ للناس : كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشُدّ العقْد ، ويَزيد فى المُدة . ومضى بُدَيل بن ورقاء وأصحابه لقُوا أبا سُفيان بن حرب بعُسفان(١٢) قد بعثته قُريش إلى رسول الله ﷺ ، ليشُدّ العقد ، ويَزيد فى المُدّة ، وقد رَهِبوا الذين صنعوا . فلما لقى

---

(١) تحرد : بالحاء المهملة فمعناه . الغيظ والعصب [لسان العرب صد ١٤٥ ح ٣] ومن رواه بالجيم فمعناه شمر وتهيأ للحرب [لسان العرب صد ١١٧ ج ٣]
(٢) وسيم : طلب منه وكلف [ترتيب القاموس صد ٦٥١ ح ٢]
(٣) الحسف : الذُّل [لسان العرب صد ٦٨ ح ٩]
(٤)تربد : تغير إلى السواد [لسان العرب صد ١٧٠ ج ٣]
(٥) الفيلق : العسكر الكثير أو الجيش والجمع الفيالِقُ [لسان العرب صد ٣١٢ ح ١٠]
(٦) كداء : موضع بأعلى مكة [لسان العرب صد ٢١٨ ح ١٥]
(٧) رُصّدا : هو الطالب للشيء الذى يرقبه [لسان العرب صد ١٧٧ ح ٣]
(٨) الوتير : اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة [لسان العرب صد ٢٧٤ ج ٥]
(٩) الهُجد : بمعنى النيام أو المستيقظين [لسان العرب صد ٤٣٢ ج ٣]
(١٠) عنان : سحاب [لسان العرب صد ٢٩٠ ج ١٣]
(١١) المظاهرة : المعاونة [لسان العرب صد ٥٢٥ ح ٤]
(١٢) عسفان : هى قرية جامعة بين مكة والمدينة وقيل هى منهل من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة [لسان العرب صد ٢٤٦ ج ٩]

أبو سُفيان بُدَيْل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يا بُدَيْل وظنّ أنه قد أتى رسولَ الله ﷺ ؛ قال : تسَيرت فى خزاعة فى هذا الساحل ، وفى بطن هذا الوادى ؛ قال : أو ما جئت محمدا ؟ قال : لا ؛ فلما راح بُدَيْل إلى مكة ، قال أبو سُفيان : لئن جاء بُدَيْل المدينة لقد عَلف(1) بها النَّوى(2) فأتى مَبْرك راحلته ، فأخذ من بَعرها(3) ففَته(4) ، فرأى فيه النَّوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُديَل محمدا .

خروج أبى سفيان إلى المدينة للصلح وإخفاقه :

ثم خرج أبو سُفيان حتى قَدِم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل على ابنته أمّ حبيبة بنت أبى سُفيان ؛ فلما ذهب ليَجْلس على فِراش رسول الله ﷺ طَوته عنه ؛ فقال : يا بُنيَّة ، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفِراش أم رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مُشرك نجس ، ولم أحبّ أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ ، قال : والله لقد أصابك يابُنيَّة بعدى شّر . ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلَّمه ، فلم يردّ عليه شيئا ، ثم ذهب إلى أبى بكر ، فكلَّمه أن يُكلم له رسول الله ﷺ ؛ فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر ابن الخطَّاب فكلَّمه ؛ فقال : أأنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟ فو الله لو لم أجد إلا الذَّرّ(5) لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على علّى بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وعنده فاطمة بنتُ رسول الله ﷺ ورضى الله عنها ، وعندها حسنُ ابن على ، غلام يَدِبّ بين يديها فقال : يا علّى ، إنك أمسّ القوم بى رحما ، وإنى قد جئت فى حاجة ، فلا أرجعنّ كما جئت خائبا ، فاشفع لى إلى رسول الله ﷺ فقال : ويحك يا أبا سُفيان ! والله لقد عزَم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلِّمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : ياابنة محمد ، هل لك أن

---

(1) العلف : هو ما تأكله الدابة [لسان العرب صـ ٢٠٦ حـ ٩]

(2) النوى : عجمة التمر أى بذرة التمر [لسان العرب صـ ٣٣٩ حـ ١٥]

(3) البعر . رجيع ذوات الخُف والظِّلف من الإبل والشاة وبقر الوحشى والظباء [لسان العرب صـ ٧١ حـ ٤]

(4) فته كسره بأصابعه [لسان العرب صـ ٦٤ حـ ٢]

(5) الذَّرُّ : مفردها ذَرَّةُ : تفريق الحبِّ والملْح : والمقصود بها أقل الأشياء [ترتيب القاموس صـ ٢٥٣ حـ ٢]

تأمرى بُنَيَّك هذا فيُجيرَ بين الناس ، فيكون سيِّدَ العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بنىّ ذاك أن يُجير بين الناس ، وما يُجير أحدٌ على رسول الله ﷺ قال : يا أبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشتدّت علىّ ، فانصحنى ؛ قال : والله ما أعلم لك شيئا يغنى عنك شيئا ، ولكنك سيِّد بنى كِنانة ، فقُم فأجِرْ بين الناس ، ثم الحق بأرضك ؛ قال : أو ترى ذلك مُغْنيا عنى شيئا ؟ قال : لا والله ، ما أظنُّه ، ولكنى لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سُفيان فى المسجد ، فقال : أيها الناس ، إنى قد أجرتُ بين الناس . ثم ركب بعيرَه فانطلق ، فلما قدم على قُريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جِئْتُ محمدا فكلَّمته ، فو الله ماردَّ علىَّ شيئا ، ثم جئت ابن أبى قُحافة ، فلم أجد فيه خيرا ، ثم جئت ابن الخطَّاب ، فوجدته أدنى العدو .(١)

قال ابن إسحاق : ثم جئت عليًّا فوجدته أليَنَ القوم ، وقد أشار علىّ بشىء صنعتُه ، فو الله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئا أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بين الناس ، ففعلت ؛ قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ؛ قالوا : ويلك ! والله إنْ زاد الرجل على أن لعب بك ، فما يُغنى عنك ما قلت . قال : لا والله ، ما وجدت غيرَ ذلك .

تجهيز الرسول لفتح مكة :

وأمر رسولُ الله ﷺ بالجَهاز ، وأمر أهلَه أن يجهزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها ، وهى تحرّك بعض جَهاز رسول الله ﷺ فقال : أى بُنَيَّة : أأمركم رسول الله ﷺأن تجهِّزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهَّز ؛ قال : فأين ترَينه يُريد ؟ قالت : (لا) والله ما أدرى . ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجِدّ والتَّهيُّؤ ، وقال : اللهمّ خذ العُيون والأخبار عن قُريش حتى نَبغتها(٢) فى بلادها . فتجهَّز الناس .

---

(١) أدنى العدو : قال ابن هشام : أعدَى العدو .

(٢) هو من البغتة ، وهو الفجأة ، يقال . بغته الأمر وفاجأه : إذا جاءه ولم يعلم به . [لسان العرب صـ ١٠ ج ٢]

شعر حسان فى تحريض الناس :

فقال حسَّان بن ثابت يحرّض الناس ، ويذكر مُصاب رجال خُزاعة :

ألا لَيت شعْرى هل تنالنَّ نُصْرتى سُهيل بن عمرو وخَزُّها وعقابها

وصَفْوانُ عَوْد[1] حَنَّ من شُفْراسته فهذَا أوانُ الحرْب شُدَّ عصَابها

فَلا تَأْمَنَنَّا يا بن أَمّ مُجالد إذا احتُلِبت صرْفا[2] وأعْصل[3]نابها

ولا تَجْزَعوا منَّا فإنَ سيوفَنا لها وقعَةٌ بالمْوت يُفْتَحُ بابها

كتاب حاطب إلى قريش وعلم الرسول بأمره :

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عُروة بن الزُّبير وغيره من عُلمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله ﷺ المسيرَ إلى مكة ، كتب حاطبُ بن أبى بَلْتعة كتابا إلى قُريش يُخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه امرأةً ، زعم محمدُ بن جعفر أنها من مُزينة ، وزعم لى غيره أنها سارَة ، مولاةٌ لبعض بنى عبد المطَّلب ، وجعل لها جُعلا على أن تبلِّغه قريشا ، فجعلته فى رأسها ، ثم فَتلت عليه قرونها ، ثم خرجت به ؛ وأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب ، فبعث علىّ بن أبى طالب والزبيرَ بن العوّام رضى الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطبُ بن أبى بَلْتعة بكتاب إلى قريش ، يحذِّرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم فخرجا حتى أدركاها بالخليقة[4] خليقة بنى أبى أحمد ، فاستنزَلاها ، فالتمسا فى رَحْلها ، فلم يجدا شيئا ، فقال لها علىّ بن أبى طالب : إنى أحلف بالله ما كُذِب رسول الله ﷺ ولا كُذِبنا ، ولتُخرجنّ لنا هذا الكتابَ

---

(١) العود : المسن من الإبل [لسان العرب صد ٣٢١ ج ٣]

(٢) الصرف : الخالص من كل شيءٔ وهو هنا بمعنى اللبن الخالص [لسان العرب صد ١٩٢ ح ٩]

(٣) أعصل : أعوج والعصل اعوجاح الأسنان . [لسان العرب صد ٤٤٩ ح ١]

(٤) الحليقة : اسم موضع [لسان العرب صد ٨٧ ح ١٠]

أو لنكشفنَّك ، فلما رأت الجِدّ منه ، قالت : أعرِض ؛ فأعرض ، فحلَّت قُرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله ﷺ . فدعا رسولُ الله ﷺ حاطبا فقال : يا حاطب ، ما حَملك على هذا ؟ فقال : يارسول الله ، أما والله إنى لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ما غَّيرت ولا بدّلت ، ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهُرهم ولد وأهلٌ ، فصانَعْتهم عليهم . فقال عمر بن الخطَّاب : يا رسول الله ، دَعْنى فلأضرب عُنقه ، فإن الرجل قد نافق ؛ فقال رسول الله ﷺ : ومايُدريك يا عمر ، لعلّ الله قد اطَّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غَفرت لكم . فأنزل الله تعالى فى حاطب : « **يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوّى وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ تُلْقُونَ إلَيْهِمْ بالمَوَدَّةِ** » ... إلى قوله : « **قَدْ كانَتْ لَكُمْ أسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إبْرَاهِيمَ والّذِينَ مَعَهُ ، إذْ قالُوا لقَوْمِهِمْ إنَّا بُرَآءُ منْكُمْ ومِمَّا تَعْبُدُونَ منْ دُونِ الله ، كَفَرْنا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ والبَغْضَاءُ أبَدًا حتى تُؤْمِنُوا بالله وَحْدَهُ** »[١] .. إلى آخر القصة .

خروج الرسول فى رمضان لفتح مكة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مُسلم بن شهاب الزهرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مَسْعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ثم مضى رسولُ الله ﷺ لسَفَره ، واستخلف على المدينة أبا رُهم ، كُلثوم بن حُصَين بن عُتبة بن خَلف الغفارى ، وخرج لعَشْر مَضَيْن من رمضان ، فصام رسولُ الله ﷺ ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد ، بين عُسْفان وأَمَج أفطر .

نزولهم مر الظهران وتجسس قريش أخبار الرسول :

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظهران فى عشرة آلاف من

(١) سورة الممتحنة الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤

المُسلمين ، فسبَّعت سُليم ، وبعضهم يقول ألَّفت[1] سُليم ، وألَّفت مُزينة . وفى كلّ القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله ﷺ المُهاجرون والأنصار ، فلم يتخلّف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظهران ، وقد عُمِّيَت الأخبار عن قُريش ، فلم يأتهم خبرٌ عن رسول الله ﷺ ، ولا يَدْرون ما هو فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سُفيان بن حَرْب ، وحكيم بن حِزام ، وبُدَيل ابن ورقاء ، يتحسَّسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به ، وقد كان العبَّاس بن عبد المطَّلب لقى رسول الله ﷺ ببعض الطريق .

هجرة العباس

قال ابن هشام : لقيه بالجُحْفة[2]مُهاجرا بعياله ، وقد كان قبل ذلك مُقيما بمكة على سِقايته ، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ ، فيما ذكر ابنُ شهاب الزُّهرى .

إسلام أبى سفيان بن الحارث وعبد الله بن أمية :

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب وعبد الله بن أبى أُميَّة بن المُغيرة قد لقيا رسولَ الله ﷺ أيضا بنيق العُقاب ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدّخول عليه ، فكلَّمته أمّ سلمة فيهما ، فقالت : يارسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصِهْرك ؛ قال : لا حاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتك عِرضى ، وأما ابن عمتى وصِهْرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال . قال : فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبى سفيانُ بنىّ له . فقال : والله ليأذننّ لى أو لآخذنْ بيدى بنى هذا ، ثم لنذهَبنّ فى الأرض حتى نموت عطشا وجُوعا ؛ فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ رقّ لهُما ثم آذن لهما ، فدخلا عليه ، فأسلما .

---

(١) ستعت سليم : أى كانت سبع مئة ، وألفت أى كانت ألفا .
[لسان العرب صـ ١٤٦ ح ٨]

(٢) الححفة . موصع بالححار بين مكة والمدينة
[لسان العرب صـ ٢١ ح ٩]

شعر أبى سفيان فى الاعتذار عما كان فيه قبل إسلامه :

وأنشد أبو سُفيان بن الحارث قوله فى إسلامه ، واعتذر إليه مما كان مَضَى منه فقال :

لَعمْرُك إنى يوم أحمِلَ رَايـةً[1] لتَغْلِبَ خَيْلَ اللات [2] خيل محمَّدِ
لكالْمدلـج[3] الحيرانِ أظْلـم ليلُـهُ فهذا أوانى حين أُهْدى وأهتدى
هدانىَ هاد غيرُ نَفسِى ونالَنــى مع الله من طَّردتُ كلّ مُطرد
أصدّ وأنأى[4] جاهدًا عن محمــد وأدعى (وإن لم أنتسب) من محمَّدِ

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قولَه : « ونالنى مع الله من طّردت كلّ مطّرد » ضرب رسولُ الله ﷺ فى صَدْره ، وقال : أنت طّردتنى كل مطرد .

قصة إسلام أبى سفيان على يد العباس :

فلما نزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظَّهْران ، قال العبَاس بن عبد المطَّلب : فقلت : واصباح قُرَيش ، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عَنْوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه لهلاك قُريش إلى آخر الدهر . قال : فجلست على بغلة رسولِ الله ﷺ البيضاء ، فخرجتُ عليها . قال : حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلى أجد بعضَ الحطَّابة أو صاحبَ لبن أو ذا حاجة يأتى مكة ، فيُخبرَهم بمكان رسول الله ﷺ ، لَيخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنْوة[5] قال : فو الله إنى لأسير عليها ، وألتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبى سُفيان وبُديل بن ورقاء ، وهما يتراجعان ، وأبو سُفيان يقول : ما رأيت كاللّيلة نيرانا

---

(١) أحمل راية : يريد : أقود الناس للحرب
(٢) اللات : صنم من أصنام العرب . وخيل اللات جيوش الكفر [لسان العرب صـ ٨٣ ج ٢]
(٣) المدلج . الذى يسير بالليل [لسان العرب صـ ٢٧٣ ج ٢]
(٤) أنأى : أبعد [لسان العرب صـ ٣٠٠ ج ١٥] طبعة بيروت
(٥) عنوة . قهراً [لسان العرب صـ ١٠١ ج ١٥]

قطّ ولا عسكرا ، قال : يقول بُدَيْل : هذه والله خُزاعة حَمشتها[1] الحرب . قال : يقول أبو سُفيان : خُزاعة أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ؛ قال : فعَرفت صوته ؛ فقلت : يا أبا حنظلة ، فعرف صوتى ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : مالك ؟ فداك أبى وأمى ؛ قال : قلت : ويحك يا أبا سُفيان ، هذا رسول الله ﷺ فى الناس ، واصباحَ قُريش والله . قال : فما الحيلة ؟ فداك أبى وأمى ؛ قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك ، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك ؛ قال : فركب خلفى ورجَع صاحباه ، قال : فجئت به ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها ، قالوا : عمّ رسول الله ﷺ وسلم على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام إلىّ ؛ فلما رأى أبا سُفيان على عجز الدابة ، قال : أبو سُفيان عدّو الله الحمد لله الذى أمكن منك بغير عَقْد ولا عهد ، ثم خرج يشتدّ نحو رسول الله ﷺ ، وركضْت البغلة ، فسبقته بما تسبق الدابةُ البطيئة الرجلَ البطيء . قال : فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ، ودخل عليه عمرُ ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سُفيان قد أمكن الله منه بغير عَقْد ولا عهد ، فدَعْنى فلأضرب عنقه ؛ قال : قلت : يا رسول الله ، إنى قد أجرتُه ، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يُناجيه الليلةَ دونى رجل ؛ فلما أكثر عمر فى شأنه ، قال : قلت : مهلا يا عمر ، فوالله أن لو كان من بنى عدىّ بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ؛ فقال : مهلا يا عبَّاس ، فوالله لإسلامُك يوم أسْلمت كان أحبّ إلىّ من إسلام الخطَّاب لو أسلم ، وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطَّاب لو أسلم ، فقال رسول الله ﷺ : اذهب به يا عبَّاس إلى رَحْلك ، فإذا أصبحتَ فأتِنى به ؛ قال : فذهبت به إلى رحلى ، فبات عندى ، فلما أصبح غَدَوْتُ به

---

(١) حمشتها الحرب . أحرقتها . ومن قال . حمستها (السين المهملة) فمعناه : اشتدت عليها ، وهى مأخوذة من الحماسة . وهى الشدة والشجاعة . [لسان العرب صـ ٥٧ ح ٦]

إلى رسول الله ﷺ ؛ فلما رآه رسولُ الله ﷺ ، قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يَأْنِ لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحْلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد ، قال : ويحك يا أبا سُفيان ! ألم يأن[1] لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا . فقال له العبَّاس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تُضرب عنقك . قال : فشَهد شهادة الحقّ ، فأسلم ؛ قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سُفيان رجل يحبّ هذا الفخر ، فاجعل له شيئا ، قال نعم ، من دخل دار أبى سُفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهبَ لينصرفَ قال رسول الله ﷺ : يا عبّاس ، احبسه بمَضِيق الوادى عند خَطْم الجبل[2] حتى تمرّ به جنود الله فيراها . قال :فخرجتُ حتى حبَسْتُه بمضيق الوادى ، حيث أمرنى رسول الله ﷺ أن أحْبِسه .

قال : ومرَّت القبائل على راياتها ، كلما مرَّت قبيلة قال : يا عبَّاس ، مَن هذه ؟ فأقول : سُليم ، فيقول : مالى ولسُليم ، ثم تمرّ القبيلة فيقول : يا عباس ، مَن هؤلاء ؟ فأقول : مُزينة ، فيقول : مالى ولمزينة ، حتى نفدت القبائل ، ما تمرّ به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالى ولبنى فلان ، حتى مرَّ رسول الله ﷺ فى كتيبته الخضراء .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، لا يرى منهم إلا الحَدق من الحديد ، فقال : سبحان الله : يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار ؛ قال : ما لأحد بهؤلاء قِبَلٌ

---

(١) ألم يأن ؟ ألم يحن [لسان العرب صـ ٣٩ ج ١٣]

(٢) خطم الجبل : الخطم : أنف الجبل ، ترتيب القاموس صـ ٧٩ ج ١٣]

ولا طاقة ؛ والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغداة عظيما ، قال قلت : يا أبا سُفيان ، إنها النبوّة . قال : فنعم إذن .

قال : قلت : النجاء[1] إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به ، فمن دخل دار أبى سُفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتُلوا الحَمِيت[2] الدسِم[3]الأحمس[4] ، قُبح من طليعة[5] قوم ! قال : ويلكم لا تغرّنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لاقِبَل لكم به ، فمن دخل دار أبى سُفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ! وما تُغْنى عنَّا دارُك ؛ قال : ومن أغلَق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرّق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

وصول النبى إلى ذى طوى :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذى طُوى وقف على راحلته مُعْتَجِرًا[6] بشُقّة[7] بُرْدِ حِبَرة[8] حمراء ، وإن رسولَ الله ﷺ ليَضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثنونه ليكاد يمسّ واسطة الرَّحْل .

إسلام أبى قحافة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، عن جدّته أسماء بنت أبى بكر ، قالت : لَّما وقف رسول الله ﷺ بذى

---

(١) النجاء . السرعة إلى قومك [لسان العرب صد ٣٠٥ ج ١٥]

(٢) الحميت : رق السمن ، أى وعاء خاص للسمن [لسان العرب صد ٢٥ ح ٢]

(٣) الدسم . الكثير الوَدَكُ [ترتيب القاموس صد ١٨٠ ح ٢]

(٤) الأحمس : التشديد وهنا بمعنى التشديد اللحم والمعنى على تشبيه الرحل بالزق لعبالته وسمنه [لسان العرب صد ٥٧ ج ٦]

(٥) الطليعة : الذى يحرس القوم [لسان العرب صد ٢٣٧ ج ٨]

(٦) الاعتجار . لَفُّ العمامة دون التَّحلّى [لسان العرب صد ٥٤٤ ج ٤]

(٧) الشقة : نصف الشيء إذا شُقّ أى النصف [لسان العرب صد ١٨٢ ح ١٠]

(٨) الحبرة : ضرب من الثياب اليمانية [لسان العرب صد ١٥٩ ح ٤]

طُوًى قال أبو قُحافة لابنة من أصغر ولده : أى بنيَّة ، اظْهَرِى بى[1] على أبى قبيس[2] قالت : وقد كُفَّ بصره ؛ قالت : فأشرفت به عليه فقال : أى بُنيَّة ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سوادًا مجتمعا ، قال : تلك الخيل ؛ قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك مقبلا ومدبرًا ، قال : أى بنيَّة ، ذلك الوازع[3] يعنى الذى يأمر الخيل ويتقدّم إليها ؛ ثم قالت : قد والله انتشر السواد ؛ قالت : فقال : قد والله إذن دُفِعت الخيل ، فأسرعى بى إلى بيتى ، فانحطَّت به ، وتلقاه الخيلُ قبل أن يصلَ إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طَوْقٌ[4] من وَرِق[5] ، فتلقَّاها رجل فيقتطعه من عنقها ؛ قالت : فلما دخل رسولُ الله ﷺ مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ قال : هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر ، يا رسول الله ، هو أحقّ أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت ؛ قال (قالت) : فأجلسه بين يديه ، ثم مَسح صدره ، ثم قال له : أسلم ، فأسلم ، قالت : فدخل به أبو بكر وكأنّ رأسه ثَغامة[6] ، فقال رسولُ الله ﷺ : غيروا هذا من شعره ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختى ، فلم يُجبه أحد ؛ قالت : فقال : أى أُخَيَّة ، احتسبى طوقَك ، فو الله إن الأمانة فى الناس اليوم لقليل .

دخول جيوش المسلمين مكة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن رسول الله ﷺ حين فرّق جيشه من ذى طُوًى ، أَمَر الزبير بن العوّام أن يدخل فى بعض الناس

---

(١) اظهرى بى : أعلى وارتفعى واصعدى [لسان العرب صـ ٥٢٤ ح ٤]

(٢) أبو قبيس : جبل بمكة [لسان العرب صـ ١٦٨ ح ٦]

(٣) الوازع : الذى يرتب الجيش ويسويه ويصفه فكأنه يكفه عن التفرقة والانتشار [لسان العرب صـ ٣٩١ ح ٨]

(٤) الطوق : القلادة التى يحلى بها العنق [لسان العرب صـ ٢٣١ ح ١٠]

(٥) الورق : الفضة [لسان العرب صـ ٣٧٥ ح ١٠]

(٦) الثغامة : واحدة الثغام / وهو من نبات الجبال وأشد ما يكون بياضاً إذا أمحل ، يشبهون به الشيب [لسان العرب صـ ٧٧ ح ١٢]

من كُدًى ، وكان الزّبير على المُجَنِّبة اليسرى ، وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاء(١)

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعدًا حين وُجه داخلا ، قال : اليومُ يوم المَلْحمة ، اليوم تُسْتَحَل الحُرمة ؛ فسمعها رجلٌ من المهاجرين – قال ابن هشام : هو عمر بن الخطّاب – فقال : يا رسول الله : اسمع ما قال سعد بن عُبادة ، ما نأمَن أن يكون له فى قُرَيْش صَوْلة ، فقال رسولُ الله ﷺ لعلى بن أبى طالب : أدركه ، فخُذ الراية منه فكُن أنت الذى تدخُل بها .

طريق المسلمين فى دخول مكة :

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى نجيح فى حديثه : أن رسول الله ﷺأمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللّيط ، أسفلَ مكة ، فى بعض الناس ، وكان خالد على المُجَنِّبة اليمنى ، وفيها أسلمُ وسُليم وغِفار ومُزينة وجُهينة وقبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عُبيدة بن الجرّاح بالصفّ من المسلمين يَنصبّ لمكة بين يدى رسول الله ﷺ ، ودخل رسولُ الله ﷺ على أذخِر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضُربت له هنالك قُبتّه .

تعرض صفوان فى نفر معه للمسلمين :

قال ابن إسحاق : وحدثنىَ عبد الله بن أبى نَجيح وعبد الله بن أبى بكر : أن صَفْوان بن أُميَّة وعِكْرِمة بن أبى جهل وسُهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخَندمة ليُقاتلوا ، وقد كان حِماس بن قَيْس بن خالد ، أخو بنى بكر ، يُعِدّ سلاحا قبل دُخول رسول الله ﷺ ، ويُصلح منه ؛ فقالت له امرأته : لماذا تُعِدّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه

---

(١) كداء : جبل بأعلى مكة [لسان العرب صـ ٢١٨ ج ١٥]

شيء ، قال : والله إنى لأرجو أن أُخْدِمَك بعضهم ، ثم قال :

إن يُقبلوا اليوْمَ فما لى عِلَّه   هذا سلاحٌ كاملٌ وآلة(1)
وذو غِرَارين سريع السَّلَّه(2)

ثم شهد الخَندمة مع صَفوان وسُهيل وعِكْرِمة ؛ فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ، ناوشوهم شيئاً من قتال ، فقتل كُرز بن جابر ، أحد بنى محارب بن فِهْر ، وخُنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بنى مُنَقذ وكانا فى خيل خالد بن الوليد فشذًا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقُتلا جميعا ، قُتل حنيس بن خالد قبل كُرز بن جابر ، فجعله كُرز بن جابر بين رجليه ، ثم قاتَل عنه حتى قُتل .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن بكر ، قالا : وأصيب من جُهينةَ سَلَمة بن الميْلاء ، من خيل خالد بن الوليد ؛ وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر رجلا ، أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا ، فخرج حِماسٌ منهزما حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقى علّى بابى ؛ قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنَّكِ لو شهدت يوم الخَندَمَةْ   إذ فرّ صفوان وفرّ عِكْرِمةْ
وأبو يزيد(3) قائم كالمُوتَمه(4)   واستقبلتْهمْ بالسُّيوف المُسْلِمه
يقطعنَ كلّ ساعد وُجْمجُمه   ضَرْبا فلا يُسْمَع إلا غمغمةْ(5)
لهم نهيت خَلْفَنا وَهْمهَمةْ(6)   لم تنطقِى فى اللَّومِ أدنى كلمةْ

شعار المسلمين يوم الفتح وحنين والطائف :

وكان شِعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحُنين والطائف ،

---

(1) الآلة : الحربة لها سنان طويل . [لسان العرب صـ ٢٣ حـ ١١]
(2) ذو غرارين : سيف ذو حدين . [لسان العرب صـ ١٦ حـ ٥]
(3) المراد بأبى يزيد . سهيل بن عمر خطيب قريش
(4) كالموتمة : المرأة التى مات زوجها وترك لها أيتاما [لسان العرب صـ ٤ حـ ١٢]
(5) الغمغمة : أصوات غير مفهومة لاختلاطها [لسان العرب صـ ٤٤٤ جـ ١٢]
(6) النهيت : صوت الصدر – وأكثر ما يوصف به الأسد [لسان العرب صـ ١٠١ حـ ٢] والهمهمة : صوت الصدر أيضا . [لسان العرب صـ ٦٢٢ حـ ١٢]

شِعارُ المهاجرين : يابنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بنى عبد الله ، وشعار الأوس : يا بنى عُبيد الله .

عهد الرسول إلى أمرائه وأمره بقتل نفر سماهم :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺقد عَهِدَ إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يُقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عَهِد فى نفر سّماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بنى عامر بنى لؤَىّ .

وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحى ، فارتدّ مُشركا راجعا إلى قُريش ، ففرّ إلى عثمان بن عفّان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغَيَّبه حتى أتى به رسولَ الله ﷺ بعد أن اطمأنّ الناس وأهل مكة ، فاستأمن له : فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلا ، ثم قال : نعم ؛ فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلا أو مأت(١) إلىّ يارسول الله ؟ قال : إنّ النبىّ لا يقتل بالإشارة .

قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

قال ابن إسحاق وعبد الله بن خَطَل ، رجل من بنى تَيْم بن غالب : إنما أمر بقتله أنه كان مسلما ، فبعثه رسول الله ﷺ مصدّقا(٢) ، وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلما ، فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح له تَيْسا ، فيصنع له طعاما ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئا ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتدّ مشركا .

---

(١) أومأت : أشرت [مختار الصحاح ص ٥٦٢]

(٢) مصدقا ، بتشديد الدال : جامعا الصدقات ، وهى الزكاة [لسان العرب صـ ١٩٧ ج ١٠]

أسماء مَن أمر الرسول بقتلهم وسبب ذلك

وكانت له قَيْنتان[1] : فَرْتَنى وصاحبتها ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ ، فأمر رسولُ الله ﷺ بقتلهما معه .

والحُوَيرث بن نُقَيذِ بن وهب بن عبد بن قُصَىّ ، وكان ممن يؤذيه بمكة .

قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأمّ كلثوم ، ابنتى رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة ، فنخَس بهما الحُوَيرث بن نُقَيذ ، فرمى بهما إلى الأرض .

قال ابن إسحاق ومِقْيس بن حُبابة : وإنما أمر رسول الله ﷺبقتله ، لقتل الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قُريش مُشركا . وسارَة ، مولاة لبعض بنى عبد المُطَّلب : وعِكْرِمة بن أبى جهل . وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ؛ فأما عِكْرِمة فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ ، فأمّنه ، فخرجت فى طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله ﷺ ، فأسلم . وأما عبد الله بن خَطَل ، فقتله سعيد بن حُرَيث المخزومى وأبو بَرْزة الأسلمى ، اشتركا فى دمه ؛ وأما مِقْيس بن حُبابة فقتله نُمَيلة بن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مِقْيس فى قتله :

لعَمْرى لقد أخْزَى نُمَيْلَةُ رهطه ... وفَجَّع[2] أضْيافَ الشّتاء بمِقْيسِ
فلله عينًا من رأى مثلَ مِقْيَسٍ ... إذا النُّفَساء أصبحت لم تُخَرَّس[3]

وأما قينتا بن خَطَل فقُتلت إحداهما ، وهربت الأخرى ، حتى استُؤمن لها رسول الله ﷺ بعد ، فأمّنها . وأما سارَة فاستُؤمن لها فأمّنها ، ثم بقيت حتى

---

(١) قينتان : جاريتان [مختار الصحاح صـ ٥٧٩]
(٢) فجع : الفجيعة . الرَّزيّة الموجعة [لسان العرب صـ ٢٤٥ ح ٨]
(٣) لم تخرس : لم يصنع لها طعام عند ولادتها ، واسم ذلك الطعام خرس وخرسة (بضم الخاء) ، وإنما أرادت به زمن الشدة . [لسان العرب صـ ٦٣ ح ٦]

أو طأها رجلٌ من الناس فرساً فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها . وأما الحُوَيرث بن نُقَيذ فقتله علىّ بن أبى طالب .

حديث الرجلين اللذين أمنتهما أم هانىء

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هِنْد ، عن أبى مُرّة ، مولى عَقيل ابن أبى طالب ، أن أمّ هانىء ابنة أبى طالب قالت : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة ، فرّ إلىَّ رجلان من أحمائى ، من بنى مخزوم ، وكانت عند هُبَيرة ابن أبى وَهْب المخزومى ، قالت : فدخل علىَّ علىٌّ بن أبى طالب أخى ، فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما بابَ بيتى ، ثم جئْت رسولَ الله ﷺ وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جفْنةٍ إنَّ فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ، ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلىّ ، فقال : **مرحبا وأهلا يا أم هانىء ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبرَ الرجلين وخبر علىّ ؛ فقال : قد أجرنا من أجرتِ ، وأمَّنا من أمَّنت ، فلا يقتلهما .**

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام ، وزُهيرُ بن أبى أُميَّة بن المُغيرة .

طواف الرسول بالبيت وكلمته فيه

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن أبى ثَوْر ، عن صَفِيَّة بنت شَيْبة ، أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة ، واطمأنّ الناس ، خرج حتى جاء البيتَ ، فطاف به سَبْعا على راحلته ، يستلم الركن بمِحْجَن[1] فى يده ؛ فلما قضى طوافه ، دعا عثمانَ بن طلحة ، فأخذ منه مِفتاح الكَعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها حِمامة من عِيدانٍ فكَسَرها

---

(١) المحجن : عود معوج الطرف ، يمسكه الراكب للبعير فى يده [لسان العرب صـ ١٠٨ ج ١٣]

بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفّ له الناس[1] فى المسجد :

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزَم الأحزاب وحده ، ألاكل مأثُرة[2] أو دم أو مال يُدَّعى فهو تحت قَدَمَىَّ هاتين إلاَّ سَدَانة[3] البيت وسِقايةَ الحاج ، ألا وقتيلُ الخطأ شبه العمْد بالسَّوْط والعصا ، ففيه الدّيةُ مغلظة ، مئة من الإبل ، أربعون منها فى بطُونها أولادها . يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظُّمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : « **يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خلَقْناكم مِنْ ذكَرٍ وأنثَى ، وجَعَلْناكُمْ شعُوبا وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا ، إنَّ أكْرَمَكُم عِنْدَ الله أتْقاكُمْ** » [4] الآية كلها . ثم قال يا معشر قريش ، ما تُرَون أنى فاعل فيكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطُّلقاء .

إقرار الرسول ابن طلحة على السدانة :

ثم جلس رسول الله ﷺ فى المسجد ، فقام إليه علىّ بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده ، فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحِجابة مع السِّقاية صلى الله عليك ؛ فقال رسول الله ﷺ : أين عثمان بن طَلحة ؟ فدُعِى له ، فقال : هاكَ مِفتاحَك يا عثمان ، اليومُ يومُ برّ ووفاء .

قال ابن هشام : وذكر سُفيان بن عُيَينة أن رسول الله ﷺ قال لعلىّ : إنما أعطيكم ما تُرْزَءُون لا ماتَرْزَءُون[5] .

---

(١) استكف له الناس : استجمع ، من الكافة ، وهى الحماعة وقد يجور أن يكون « استكف » هنا بمعنى نظروا إليه وحدقوا أبصارهم فيه كالذى ينظر فى الشمس : من قولهم : استكففت الشىء ، إذا وضعت كفك على حاجبيك ونظرت إليه ، وقد يجوز أن يكون استكف هنا بمعنى استدار [لسان العرب صد ٣٠٥ ح ٩]

(٢) المأثرة : الخصلة المحمودة التى تتوارث ويتحدث بها الناس [لسان العرب صد ٦ ح ٤]

(٣) سدانة البيت · خدمته . [لسان العرب صد ٢٠٧ ح ١٣]

(٤) سورة الحجرات آية ١٣

(٥) ما تُرزَءُون لا ماتَرزَءُون : معناه : إنما أعطيتكم ما تمونون كالسقاية التى تحتاج إلى مؤن ، وأما السِّدانة فيرزأ الناس بالبعث إليها ، يعنى كسوة البيت ، [لسان العرب صد ١٩٣ ج ١٣]

أمرّ الرسول بطمس ما بالبيت من صور :

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصورًا فى يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام[١] ، ما شأن إبراهيم والأزلام ! « **ماكانَ إبْرَاهيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرانِيًّا وَلَكِن كانَ حَنِيفا مُسْلِما ، وَمَا كانَ مِنَ المُشرِكِين** »[٢] ثم أمر بتلك الصُّور كلها فطُمسَت[٣] .

صلاة الرسول بالبيت وتوخى ابن عمر مكانه :

قال ابن هشام : وحدثنى أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة ومعه بلال ، ثم خرج رسول الله ﷺ وتخلَّف بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ، فسأله : أين صلى رسول الله ﷺ ؟ ولم يسأله كم صلى ؛ فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قِبل وجهه ، وجعلَ الباب قِبل ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار قَدْر ثلاث أذرع ، ثم يصلى ، يتوخَّى[٤] بذلك الموضع الذى قال له بلال .

سبب إسلام عتاب والحارث بن هشام :

قال ابن هشام : وحدثنى : أن رسول الله ﷺ ، دخل الكَعبة عام الفَتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذّن ، وأبو سُفيان بن حَرب وعتَّاب بن أسِيد والحارث ابن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه مُحِقّ لا تَّبعته ، فقال أبو سُفيان : لا أقول شيئا ، لو تكلَّمت لأخبَرتْ عنى هذه الحصَى ، فخرج عليهم النبىّ ﷺ ، فقال : قد علمتُ الذى قُلتم ، ثم ذكر

---

(١) الأزلام : هى السهام . ويستقسم بها : يضرب بها [لسان العرب صد ٢٧٠ ج ١٢]
(٢) سوة آل عمران آية ٦٧
(٣) طمست : فُنِيَتْ ومُحِيَتْ [لسان العرب صد ١٢٦ ج ٦]
(٤) يتوحى : يتحرى / يقصد [لسان العرب صد ٣٨٢ ح ١٥]

ذلك لهم ؛ فقال الحارث وعتَّاب : نَشْهد أنَّك رسول الله ، والله ما اطَّلَع على هذا أَحَدٌ كانَ معَنا ، فنقول أَخْبرك .

سبب تسمية الرسول لخراش بالقتال :

قال ابن إسحاق : حدثنى سعيد بن أبى سَنْدَر الأسلمى ، عن رجل من قومه ، قال : كان معنا رجل يقال له أحمر بأسا[1] ، وكان رجلا شجاعا ، وكان إذا نام غَطَّ[2] غطيطا مُنكرا لا يخفى مكانه ، فكان إذا بات فى حيه بات مُعْتَنِزًا[3] ، فإذا بُيِّت الحىّ[4] صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ، لا يقوم لسبيله شىء . فأقبل غَزِىّ[5] من هُذَيل يريدون حاضره ، حتى إذا دنوا من الحاضر[6] ، قال ابنُ الأثوع الهُذلى : لا تعجلوا علىَّ حتى أنظر ، فإن كان فى الحاضر أحمر فلا سَبيل إليهم ، فإنه له غطيطا لا يخفى ، قال : فاستمع ، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف فى صَدْره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصَرخوا ياأحمر ولا أحمر لهم ؛ فلما كان عام الفتح ، وكان الغدُ من يوم الفتح ، أتى ابن الأثوع الهُذلى حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شِرْكه ، فرأته خُزاعة ، فعَرَفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جُدُر مكة ، يقولون : أأنت قاتل أحمر ؟ قال : نعم ، أنا قاتل أحمر فمَه[7] ؟ إذْ أقبلَ خراش بن أمَّية مُشتملا على السَّيف ، فقال : هكذا عن الرجُل[8] ، ووالله ما نظنّ إلا أنه يريد أن يُفرِج

---

(١) علق أبو در على هدا الاسم بأنه حملة مركبة ، ولعله يريد أنه « احمر » بتشديد الراء ، فيكون منقولا من جملة فعلية مثل : « تأبط شرأ » .

(٢) العطيط : ما يسمع من صوت الآدميين إدا ناموا . [لسان العرب صد ٣٦٢ ح ٧]

(٣) معتنزا : أى ناحية من الحى . يقال . هدا بيت معتنز : إذا كان خارجا عن بيوت الحى [لسان العرب صد ٣٨٤ ح ٥]

(٤) بيت الحى : عزوا ليلا . [لسان العرب صد ١٦ ج ٢

(٥) العزى : حماعة القوم يعزون [لسان العرب صد ١٢٣ ح ١٥]

(٦) الحاضر : الدين ينزلون على الماء . [لسان العرب صد ١٩٩ ج ٤]

(٧) فمَهْ · معناه فما الدى تريدون أن تصنعوه ؟ .

(٨) ومعناه تنحوا عن الرجل .

الناس عنه . فلما انفرجنا عنه حمل عليه ، فطعنه بالسيف فى بطنه ، فوالله لكأنى أنظر إليه وحِشْوَتَه[1] تَسيل من بطنه ، وإن عينيه لَتُرَنِّقانِ[2] فى رأسه ، وهو يقول : أقد فعلتموها يا مَعشرَ خُزاعة ؟ حتى انْجَعَفَ[3] فوقع : فقال رسول الله ﷺ : يا مَعشر خُزاعة ؟ حتى انْجَعَفَ[3] فوقع : فقال رسول الله ﷺ : يا معشر خُزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأَدِيَنَّه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حَرْملة الأَسْلمى ، عن سعيد ابن المسيب ، قال : لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خِراش بن أُميَّة ، قال : إن خِراشا لقَتَّال ؛ يعيبه بذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى سعيد المَقبُرىُّ ، عن أبى شُرَيح الخُزاعى ، قال : لما قِدم عَمْرو بن الزّبير[4] مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزُّبير ، جئته ، فقلت له : يا هذا ، إنا كنَّا مع رسول الله ﷺ ، حين افتتح مكَّة ، فلما كان الغد من يوم الفَتح عَدَت خُزاعة على رجل من هُذَيل فقَتلوه وهو مُشرك ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبا فقال : يأيها الناس ، إنّ الله حرَّم مكه يوم خلَق السَّموات والأرض ، فهى حرام من حرام إلى يوم القِيامة ، فلا يحِلّ لامرىء يُؤْمِن بالله واليوْم الآخر ، أنْ يَسْفِك فيها دَما ، ولا يَعْضِدَ[5] فيها شجرا ، لم تَحْلِل لأحد كان قبلى ، ولا تَحِل لأحد يكون بعدى ، ولم تحْلَلْ لى إلا هذه الساعة ، غضبا على أهلها . ألا ، ثم قد رَجَعَتْ كحُرمتها بالأمس ،

---

(١) الحشوة (بالكسر) : ما اشتمل عليه البطن من الأمعاء وغيرها [لسان العرب صـ ١٧٨ ح ١٤]

(٢) لترنقان : يريد أنهما قريبان أن تنغلقا . [لسان العرب صـ ١٢٨ ج ١٠]

(٣) انجعف : سقط سقوطا ثقيلا . يقال : انجعفت الثمرة ، إذا انقلعت أصولها فسقطت [لسان العرب صـ ٢٧ ح ٩]

(٤) قال السهيلى : هذا وهم من ابن هشام . وصوابه : وهو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وهو الأشدق .. وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكائى فى روايته ، من أجل أن عمرو بن الزبير كان معاديا لأخيه عبد الله ومعينا لبنى أمية . هذا ما ذهب إليه السهيلى . وقد نقل ابن أبى الحديد عن المسعودى فى شرح نهج البلاغة (ح ٤ ص ٤٩٥) ما يثبت أن قتالا كان بين عمرو بن الزبير وأخيه عبد الله ، قال : « كان يزيد بن معاوية قد ولى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان المدينة ، فسرح منها جيشا إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير ، عليه عمرو ابن الزبير أخوه ، وكان منحرفا عن عبد الله فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه ، فظفر به عبد الله فأقامه الناس بباب المسجد مجردا ، ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات » .

(٥) لا يعضد : لا يقطع [لسان العرب صـ ٢٩٤ ح ٣]

فليبلِّغ الشّاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله (قد)[1] قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلَّها لرسوله ، ولم يُحْلِلْها لكم ، يا معشر خُزاعة ارفعوا أيديَكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إنْ نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأَدِيَنَّهُ ، فمن قُتِل بعد مَقامى هذا فأهله بخير النَّظَرَيَن : إن شاءوا فدَم قاتله ؛ وإن شاءوا فعقْلُهُ . ثم وَدَى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذى قتلته خُزاعة ، فقال عمرو لأبى شُريح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحُرْمتها منك ، إنها لا تمنع سافكَ دم ، ولا خالعَ طاعة ، ولا مانع جِزْية ؛ فقال أبو شُريح : إنى كنتُ شاهدا وكنتَ غائبا ، ولقد أَمَرنَا رسول الله ﷺ أن يُبَلِّغ شاهدُنا غائبَنا ، وقد أبلغتُكَ ، فأنت وشأنك .

أول قتيل وداه الرسول يوم الفتح :

قال ابن هشام : وبلغنى أن أوّل قتيل وَدَاه رسول الله ﷺ يوم الفتح جُنَيْدب بن الأكوع ، قتلته بنو كعب ، فوَدَاهُ بمئة ناقة .

قال ابن هشام : وبلغنى عن يحيى بن سعيد : أن النبى ﷺ حين افتتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو (الله) ، وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أتُرَون رسول الله ﷺ ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فَرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شىء يارسول الله ﷺ ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبى ﷺ : مَعاذ الله ! المَحْيا محياكم ، والمَمات مماتكم .

سقوط أصنام الكعبة بإشارة من الرسول :

قال ابن هشام : وحدثنى من أثِق به من أهل الرّواية فى إسناد له ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام

(١) كان فتح مكة أعظم كسب حصل عليه المسلمون ، غيَّر مجرى الأحداث لصالح الإسلام وبدأت السيطرة والغلبة للمسلمين على قريش والعرب ، والقضاء على الأصنام ودين الوثنية فى جزيرة العرب .

مشدودة بالرَّصاص ، فجعل النبىّ ﷺ يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام ويقول « **جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ الباطِلُ إن الباطِلَ كانَ زهوقاً** » فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع ؛ فقال تميم بن أسَد الخزاعىّ فى ذلك :

وفى الأصْنام مُعْتَبَر وعِلْم لمن يَرْجو الثَّوابَ أو العقابا

كيف أسلم فضالة :

قال ابن هشام : وحدثنى : أن فَضالة بن عُمَير بن المُلَوّح الليثىَّ أراد قتل النبى ﷺ وهو يطوف بالبيت عامَ الفتح ؛ فلما دنا منه ، قال رسولُ الله ﷺ : أفَضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله ؛ قال : ماذا كنت تحدّث به نفسك ! قال : لا شىء ، كنت أذكر الله ؛ قال فضحك النبىُّ ﷺ ، ثم قال : اسْتَغْفِر الله ، ثم وضع يده على صدْره ، فسكن قلبه ؛ فكان فَضالة يقول : والله مارفع يده عن صدرى حتى مامِنْ خَلْقِ الله شىءٌ أحبَّ إلّى منه . قال فضالة : فرَجعت إلى أهلى ، فمررت بامرأة كنت أتحدّث إليها ، فقالت : هَلُمَّ إلى الحديث ، فقلت : لا ، وانبعث فَضالة يقول :

قال هَلُمَّ إلى الحديث فقلت لا يَأبَى علَيْكِ الله والإسْلامُ
لَوْما رأيت محمَّدًا وقَبيله بالفتح يومَ تَكَسَّر الأصْنام
لرأيتِ دينَ الله أضْحَى بَيِّنا والشِّركُ يغشَى وجهَه الإظْلامُ

أمان الرسول لصفوان بن أمية :

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزّبير ، قال : خرج صفوان بن أُميَّة يريد جُدَّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عُمَير بن وَهْب : يا نبىّ الله إن صفوان بن أميَّة سيدٌ قومه ، وقد خرج هاربا منك ، ليقذف نفسه فى البحر ، فأمِّنْه ، صلى الله عليكَ ؛ قال : هو آمن ؛ قال : يا رسول الله ، فأعطنى آية يعرف بها أمانك ؛ فأعطاه رسولُ الله ﷺ عمامَته التى دخل فيها مكة فخرج بها عَمير حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب فى البحر ، فقال :

يا صفوان فِدَاكَ أبى وأمى ، الله الله فى نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئتك به ؛ قال : ويحك ! أغْربُ عنى فلا تكلِّمْنى ؛ قال : أى صفوان ، فدَاك أبى وأمى ، أفضلُ النَّاس ، وأبرُّ الناس وأحْلم الناس ، وخير النّاس ، ابن عمك ، عزه عزك ، وشرفه شرفك ، ومُلكه مُلكك ؛ قال : إنى أخافه على نفسى ؛ قال : هو أحلم من ذاك وأكرم . فرجع معه ، حتى وقف به على رسول الله ﷺ ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمَّنْتَنِى قال : صدق ؛ قال : فاجعلنى فيه بالخِيار شهرين قال أنت بالخيار فيه أربعة أشهر .

قال ابن هشام : وحدثنى رجل من قُريش من أهل العلم أن صفوان قال لُعمير : وَيْحَك ! اغْرُبْ عنى ، فلا تكلِّمْنى ، فإنَّك كذَّاب ، لِما كان صنع به ، وقد ذكرناه فى آخر حديث يوم بدر .

إسلام عكرمة وصفوان :

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهيرى : أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وفاختة بنت الوليد ، وكانت فاختة عند صَفْوان بن أُميَّة ، وأمّ حكيم عند عِكْرِمة بن أبى جَهل - أسلَمَتا ؛ فأما أمّ حكيم فاستأمَنَت رسول الله ﷺ لَعكْرِمة ، فأمَّنه ، فلحقتْ به باليمن ، فجاءت به ؛ فلما أسلم عِكْرِمة وصفوان أقرّهما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأوّل .

إسلام ابن الزبعرى وشعره فى ذلك :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسَّان بن ثابت : قال : رَمى حسانُ الزِّبَعْرَى وهو بنجرانَ ببيت واحد ما زاده عليه :

لا تَعْدَمَنْ رَجُلاً أحَلَّك بُغْضُهُ نجرانَ فى عَيْشٍ أحَذَّ(١) لَئيم

---

(١) أحذ (بالحاء المهملة والذال المعجمة) . هو القليل المنقطع . ومن رواه : أجد (بالجيم والدال المهملة) : معناه منقطع أيضا . وقد يجوز أن يكون معناه : فى عيش لئيم جدا . (عن شرح أبى ذر) .
[لسان العرب صـ ٤٨٢ جـ ٣]

فلما بلغ ذلك ابنَ الزّبَعْرَى خرج إلى رسول الله ﷺ ، فقال حين أسلم :

يـــارَسُولَ المَلِـــيكِ إنّ لِسانِـــى راتِقٌ(١) ما فَتَقْتُ(٢) إذْ أنا بُـورُا(٣)
إذْ أبارى(٤) الشَّيطان فى سَنَن(٥) الْغَىّ ومَــنْ مــالَ مَيْلَــهُ مَثْبــورا(٦)
آمَــنَ اللَّحْــمَ والعِظَــامُ لرَبِّــىَّ ثــم قَلْبِــى الشَّهِيـدُ أنتَ النَّذيــر
إنّنــى عَنْكَ زاجــرٌ ثَــمَّ حَيًّــا مــن لُــؤَىّ وكُلُّهُــمْ مَغــرُورُ

بقاء هبيرة على كفره وشعره فى إسلام زوجه أم هانىء :

قال ابن إسحاق : وأما هُبيرة بن أبى وَهْبٍ المخزومىُّ فأقام بها حتى مات كافرا ، وكانت عنده أمّ هانىء ابنة أبى طالب ، واسمها هِنْد ، وقد قال حين بلغه إسلام أمّ هانىء :

أشاقتكَ هِنْـدٌ أمْ أتــاكَ سُؤَالُهــا(٧) كـذاكَ النَّـوى أسْبابُهــا وانفتالُهــا(٨)
وقد أرَّقَتْ فى رأس حِصْن ممنَّع بنجرانَ يسرِى بعدَ لـيلٍ خيالُهـا
وعاذلَــة هَبَّتْ(٩)بلَــيْلٍ تَلومُنِــى وتَعْذِلُنى باللَّيْلِ ضَلَّ ضَلالُهــا(١٠)
وتَزْعُمُ أنى إنْ أطَعْتُ عَشيرتـى سأرْدَى وهل يُرْدين إلاَّ زِيالُها(١١)
فانى لِمِنْ قَـوْم إذا جَـدَّ جِدُّهُـم على أىّ حال أصبحَ اليومَ حالُها
وإنى لحامٍ مِن وراء عشيرتــى إذا كان من تحت العوالى مجالُها(١٢)

---

(١) الراتق : ضد الفتق وهو إلحام الفتق وإصلاحه رتقه رتقا فارتتق أى التأم [لسان العرب صـ ١١٤ ح ١٠]
(٢) الفتق · خلاف الرَّتق وهو الشعر فتقه فقتقاً شقه [لسان العرب صـ ٢٩٦ ح ١٠]
(٣) بوره : هالك [لسان العرب صـ ٨٦ ح ٤]
(٤) أبارى : أعارض [لسان العرب صـ ٧٢ ج ١٤]
(٥) سس : بالتحريك وسط الطريق [لسان العرب صـ ٢٢٦ ج ١٣]
(٦) مثبور : هالك [لسان العرب صـ ٩٩ ح ٤]
(٧) وقيل : أتاك : أى بعد عنك ، والبأى البعد [لسان العرب صـ ٣٠٠ ح ١٥]
(٨) وانفتالها : أى تقلبها من حال إلى حال [لسان العرب صـ ٥١٤ ج ١١]
(٩) هبت . استيقظت . [لسان العرب صـ ١٠٢ ح ٢]
(١٠) ضلالها : دعاء عليها بالضلال أى بعدم الهدى [لسان العرب صـ ٣٩٠ ح ١١]
(١١) زيالها . ذهابها [لسان العرب صـ ٣٠٠ ح ١١]
(١٢) العوالى : أعالى الرياح [لسان العرب صـ ٨٧ ح ١٥]

● سبب إسلام عباس بن مرداس

قال ابن هشام : وكان إسلام عباس بن مِرْداس ، فيما حدثنى بعض أهل العلم بالشعر ، وحديثه أنه كان لأبيه مِرْداس وَثَنٌ يعبده ، وهو حجر كان يُقال له ضَمارِ ، فلما حضر مِرْداس قال لعباس : أى بنى ، اعْبُدْ ضَمارِ فإنه ينفعك ويضرّك ، فبينا عباس يوما عند ضَمار ، إذ سمع من جوف ضَمار مناديا يقول :

قُلْ للقَبائل مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّها أودى[1]ضَمارِ وعاشَ أهْلُ المَسْجِدِ[2]
إنّ الذى وَرِثَ النُّبوَّة والهُدَى بعدَ ابن مريمَ مِن قُرَيشٍ مُهْتَدى
أوْدَى ضَمار وكانَ يُعْبَدُ مَرَّةً قبل الكِتابِ إلى النَّبِىّ محمدِ

فحَرَّق عباس ضَمار ، ولحق بالنبىّ ﷺ فأسلم .

● عدة من شهد فتح مكة من المسلمين ●

قال ابن إسحاق : وكان جميع من شَهد فتح مكة من المسلمين عشرةَ آلاف . من بنى سُلَيم سبع مئة . ويقول بعضهم : ألف ؛ ومن بنى غِفار أربع مئة ، ومن أسْلَم أربع مئة ؛ ومن مُزَيْنة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قُريش والأنصار وحُلفائهم ، وطوائف العرب من تَميم وقَيْس وأسد .

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جذيمة من كنانة[3] ومسير على لتلافى خطأ خالد

وصاة الرسول له وما كان منه :

قال ابن إسحاق : وقد بَعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة السَّرايا تدعو إلى الله عزّ وجلّ ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممَّن بعث خالدُ بن الوليد ، وأمره

(١) أودى . هلك [لسان العرب صـ ٣٨٥ حـ ١٥]
(٢) المسجد هنا : مسجد مكة أو مسجد النبى ﷺ
(٣) تعرف هذه السرية بغزوة الغميط ، وهو اسم ماء لبنى جذيمة .

أن يسير بأسفلِ تهامة داعيا ، ولم يبعثه مُقاتلا ، فوطىء بنى جَذِيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن هشام : وقال عبَّاس بن مِرْداس السُّلَمى فى ذلك :

فإن تَكُ قد أَمَّرت فى القوم خالِدًا — وقدَّمته فإنه قد تقدَّما
بجند هداهُ الله أنتَ أميرُه — نُصيب به فى الحقّ من كان أظلما

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى حديث يوم حنين ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حَكيم بن حكيم بن عباد بن حُنيف ، عن أبى جعفر محمد بن علّى ، قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ، ولم يبعثه مُقاتلا ، ومعه قبائل من العرب : سُلَيم بن منصور ، ومُدْلج بن مُرّة ، فوطِئوا بنى جذَيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جَذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَم : ويلكم يا بنى جذيمة ! إنه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق والله لا أضع سلاحى أبدا . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ، أتريد أن تَسْفِك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح ، ووُضِعَتِ الحَرْب ، وأمِن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جَعفر محمد بن علّى ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكُتِفُوا ، ثم عرضهم على السَّيف ، فقَتل من قَتل منهم ؛ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ ، رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللَّهُمَّ إنى أبْرأ إليك ممَّا صنع خالد بن الوليد .

غضب الرسول مما فعل خالد وإرساله عليا :

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم ، أنه حُدّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودي ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : رأيتُ كأني لَقِمت لقْمَةً من حَيْس[1] فالتذذْتُ طَعْمَها ، فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعتها ، فأدخل عليّ يده فنزعه ؛ فقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه : يا رسول الله ، هذه سَرِيَّة من سَراياك تبعثها ، فيأتيك منها بعض ما تحبّ ، ويكون في بعضها اعتراض ، فتبعث علياً فيسهِّله .

قال ابن هشام : وحدثني أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسولَ الله ﷺ ، فأخبره الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : هل أنْكَرَ عليه أحد ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض رَبْعة[2] ، فَنهَمَهُ[3] خالد ، فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب[4] ، فراجعه ، فاشتدّت مراجعتهما به فقال عمر ابن الخطَّاب : أما الأوّل يا رسول الله فابني عبد الله ، وأما الآخر فسالم مولى أبي حُذيفة .

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن عليّ قال ثم دعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال يا عليّ ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم ، وأجعل أمر الجاهلية تحت قدميك فخرج عليّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ ، فوَدَى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه لَيدى لهم[5] مِيلَغة الكلب حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وَدَاه ، بقيت معه بَقيَّة من المال ، فقال لهم عليّ رضوان الله عليه حين فَرَغ منهم : هل بقي لكم بقيَّة من دم أو مال

(١) الحيس : أن يخلط السمن والتمر والأقط فيؤكل . والأقط : شيء يعقد من اللبن ويجفف . [لسان العرب صـ ٦١ ج ٦]

(٢) الربعة من الرجال : الذي بين الطويل والقصير . [لسان العرب صـ ١٠٧ ج ٨]

(٣) نهمه : زجره . [لسان العرب]

(٤) مضطرب : ليس مستوى الخلق . [لسان العرب صـ ٥٤٤ ج ١]

(٥) الميلغة : شيء يحفر من خشب ، ويجعل ليلغ فيه الكلب ، يكون عند أصحاب الغنم ، وعند أهل البادية . [لسان العرب صـ ٤٦٠ ج ٨]

لم يُود لكم ؟ قالوا : لا . قال : فانى أعطيكم هذه البقيَّة من هذا المال ، احتياطا لرسول الله ﷺ ، مما يعلم ولا تعلمون ، ففعل . ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر : فقال أصبت وأحسنت ! قال : ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه ، حتى إنه ليُرى مما تحت مَنْكبيه ، يقول : اللهمّ إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثلاث مّرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالدا إنه قال : ما قاتَلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حُذافة السَّهْمىّ ، وقال : إنّ رسولَ الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنىّ : لما أتاهم خالد ، قالوا : صَبأْنا صَبأْنا(١)

قال ابن إسحاق : وقد كان جَحْدَمٌ قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد ببنى جَذِيمة : يا بنى جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذّرتكم ما وقعتم فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغنى ، كلام فى ذلك ، قال له عبد الرحمن بن عوف : عمِلت بأمر الجاهلية فى الإسلام . فقال : إنما ثأرت بأبيك : فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلتُ قاتل أبى ، ولكنك ثأرتَ بعمك الفاكه بن المُغيرة ، حتى كان بينهما شرّ . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، قال : مهلا يا خالد ، دع عنك أصحابى ، فو الله لو كان لك أُحُدٌ ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غَدوَةَ رجل من أصحابى ولا روحته :

---

(١) صبأنا : يعنون دخلنا فى دين محمد ، وكانوا يسمون النبى ﷺ الصابىء ، لأنه خرج من دينهم . يقال : صبأ الرجل ، إذا خرج من دين إلى دين ، ومنه الصابئون ، لأن دينهم بين اليهودية والنصرانية ، فيما ذكر بعض أهل التفسير [لسان العرب صـ ١٠٨ ج ١]

ما كان بين قريش وبنى جذيمة من استعداد للحرب ثم صلح :

وكان الفاكه بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زُهرة ، وعَفَّان بن أبى العاص بن أميَّة بن عبد شمس قد خرجوا تجارا إلى اليمن ومع عفَّان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جَذِيمة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته ، فادّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولَقِيهم بأرض بنى جَذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه وقاتلوه ، فقُتل عوفُ به عبد عوف ، والفاكه بن المُغيرة ، ونجا عفَّان بن أبى العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المُغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهمَّت قُرَيش بغزو بنى جَذِيمة فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن مَلإٍ منا ، إنما عدا عليهم قوم بجهالة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن نَعْقل لكم ما كان لكم قبلنا دم أو مال ، فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

حديث ابن أبى حدرد الفتى الجذمى يوم الفتح :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوبُ بن عُتبةَ بن المُغيرة بن الأخنس . عن الزُّهرى ، عن ابن أبى حَدْرَدٍ الأسلمىّ ، قال : كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد ، فقال لى فتى من بنى جَذِيمة ، وهو فى سنى وقد جُمِعَتْ يداه إلى عُنُقه برُمَّة(1) ، ونسوة مجتمعات غيرَ بعيد منه : يا فتى ؛ فقلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرمَّة ، فقائدى إلى هؤلاء النسوة حتى أقضِىَ إليهنّ حاجة ، ثم تردُّنِى بعد ، فتصنعوا بى ما بدا لكم ، قال : قلت : والله لَيسِيرٌ ما طلبت .

---

(١) الرُّمَّة : الحبل البالى [لسان العرب صـ ٢٥١ ج ١٢]

فأخذت بِرُمَّته فقُدته بها ، حتى وقف عليهنّ ، فقال : اسْلَمى حُبَيْش(١) ، على نَفَذٍ من العيش(٢)

أرَيْـتُك إذْ طالَبتُكُـم فوجَدْتُكُـمْ بحَلْيَـةَ أو الْفيْتُكُـمْ بالخَوانِــق(٣)
ألَمْ يَكُ أهْلاً أن يُنَوَّل عـاشِقٌ تكَلَّفَ إدْلاجَ(٤) السُّرَى والوَدائـقِ(٥)

مسير خالد بن الوليد لهدم العزى

ثم بعث رسولُ الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العُزَّى ، وكانت بنَخْلَة(٦) ، وكانت بيتا يعظِّمه هذا الحيّ من قُريش وكنانة ومُضَر كلها ، وكانت سدَنَتُها وحُجَّابها بنى شيبان من بنى سُلَيم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السُّلْمىّ بمسير خالد إليها ، عَلَّق عليها سيفه ، وأسْنَد فى الجبل(٧) الذى هى فيه وهو يقول :

أيا عز شُدّى شدَّة لا شَوَى لَها(٨) على خالد ألْقى القِناع وشمِّـرى
يا عُزّ إنْ لم تقتُلى المرءَ خالدًا فبُوئـى بإثـمٍ عـاجلٍ أو تَنَصَّرى(٩)

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عُتبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصُر الصلاة .

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان .

---

(١) حُنَيشْ : مرحم حبيشة
(٢) نفد الشىء : إدا فنى
(٣) حَلْيَة والحَواتق : موصعاں
(٤) الإدلاجَ : السير بالليل [لسان العرب صد ٢٧٢ ح ٢]
(٥) الوَدائق : حمع وديقة ، وهى شدة الحر فى الطهيرة [لسان العرب صد ٣٧٢ ح ١٠]
(٦) نحلة : اسم موضع [لسان العرب صد ٦٥٢ ح ١١]
(٧) أسند فى الحبل · ارتفع فيه [لسان العرب صد ٢٢٠ ج ٣]
(٨) ومعنى لاشوى لها : أنها لا تبقى على شىء ـ لسان العرب ص ٤٤٩ حـ ١٤
(٩) بوئى أى ارجعى لسان العرب ص ٣٦ حـ ١



الفصل الثانى
من عزوة حنين : إلى جهاز رسول الله ﷺ ودفنه



غزوة حنين فى سنة ثمان بعد الفتح

اجتماع هوازن :

قال ابن إسحاق : ولما سمعتْ هوازنُ برسول الله ﷺ ومافتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النَّصْرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلُّها ، واجتمعت نَصْر وجُشَم كلُّها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هِلال ، وهم قليل ، ولم يشهدْها من قيس عَيْلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفى بنى جُشَم دُرَيْد بن الصّمة شيخ كبير ، ليس فيه شىء إلا التَّيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مُجرّبا ، وفى ثقيف سيدان لهم ، فى الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن مُعَتِّب ، وفى بنى مالك ذو الخمار سُبَيْع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث ، وجِماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْرى : فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاسْ[١] اجمتع إليه الناس ، وفيهم دريد بن الصّمة فى شجارٍ[٢] له يقاد به ، فلما نزل قال : بأى وآدٍ أنتم ؟ قالوا : بأوْطاس ، قال : نِعْمَ مَجالُ الخيل ! لاحَزنٌ[٣] ضِرْس ، ولاسَهْلٌ دَهْس[٤] ، مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبُكاء الصغير ، ويُعار الشّاء[٥] ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالَهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ودُعى له ، فقال :

---

(١) أوطاس : واد فى ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين . وفيها قال النبى ﷺ : الآن حمى الوطيس . وذلك حين اشتدت الحرب .

(٢) الشجار . شبه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى ، وسُمِى كذلك لتماسك عيدان الهودج بعضها ببعض . انظر لسان العرب ص ٣٩٦ جـ ٦ .

(٣) الحزن : ما غَلظ من الأرض . انظر لسان العرب ص ١١٢ جـ ١٣ . الضرس : قطعة من القُفّ مشرفة شيئا غليظة جدا خشنة الوطء . انظر لسان العرب ص ١١٩ جـ ٦ .

(٤) الدهس : الأرض السهلة . انظر لسان العرب ص ٨٩ جـ ٦ .

(٥) يعار الشاء : صوتها .

يامالك ، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائنٌ له ما بعدَه من الأيَّام . مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبُكاء الصغير ، ويُعار الشَّاء ؟ قال : سُقْت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولِمَ ذاك ؟ قال : أردت أن أجعل خَلْفَ كلّ رجل منهم أهلَه ومالَه ، ليُقاتل عنهم ، قال : فَأَنْقَضَ به [1] . ثم قال : راعِىَ ضأنٍ [2] والله ! وهل يَرُدُّ المنهزمَ شىءٌ ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورُمحه ، وإن كانت عليك فُضِحْتَ فى أهلك ومالك ، ثم قال : مافعلتْ كعبٌ وكِلاب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحَد [3] والجِد ، ولو كان يومَ عَلاء ورِفعة لم تغب عنه كعب ولا كِلاب ، ولَودِدْتُ أنَّكُمْ فعلتم مافعلتْ كعبٌ وكِلابٌ ، فمن شهدَها منكم ؟ قالوا : عمْرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذانَك الجَذَعان من عامر [4] ، لاينفعان ولا يضرّان ، يامالك ، إنك لم تصنع بتقديم البَيضَةِ[5] بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئا ، ارْفَعْهُم إلى مُتمنَّع بلادهم وعَليا قومهم ، ثم الْقَ الصُّبَّاءَ [6] على مُتُون الخيلِ ، فإن كانت لك لَحق بك مَنْ وراءَك ، وإن كانت عليك أَلْفاك ذلك قد أحرزْت أهلك ومالك . قال : والله لاأفعل ذلك ، إنك قد كَبِرْت وكِبرَ عقْلك . والله لتطيعنَّنِى يامعشر هوازِن أو لأتَّكِئَنَّ على هذا السَّيف حتى يخرج من ظهرى . وكره أن يكون لدُريدِ بن الصّمة فيها ذِكر أو رأى ؛ فقالوا : أطعناك ؛ فقال دُريد بن الصّمة : هذا يوم لم أشهدْه ولم يفُتْنى :

---

(١) أنقض به : أى زجره من الإنقاص وهو صُوَيْت مثل النقر ، وفى حديث هوازن : فأنقض به دريد أى نقر بلسانه فى فيه كما يزجر الحمار ، فعله استجهالا .

(٢) قوله : راعى ضأن : يجهله بذلك .

(٣) غاب الحد : يريد الشجاعة والحدة .

(٤) الجذعان : يريد أنهما ضعيفان فى الحرب بمنزلة الجذع فى سنه وهو الصغير . لسان العرب ص ٤٥ جـ ٨ .

(٥) البيضة : بيضة الدار وسطها وبيضة الاسلام جماعتهم ، وبيضة القوم أصلهم . والبيضة : أصل القوم ومجتمعهم . انظر لسان العرب ص ١٢٧ جـ ٧ .

(٦) الصباء : جمع صابىء ، وهم المسلمون عندهم ، وكانوا يسمونهم بهذا لأنهم خرجوا من دين الجاهلية إلى الاسلام

يالَيْتِنى فيها جَذَعْ ... أَخُبُّ فيها وأَضَعْ (١)
أَقُودُ وطْفاءَ(٢) الزَّمَعْ(٣) ... كأنها شاةٌ صَدَعْ(٤)

قال ابن إسحاق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكْسِروا جُفُون سيوفكم ، ثم شُدّوا شَدَّة رجل واحد .

قال : وحدثنى أميَّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حُدِّث : أنَّ مالك بن عوف بعث عيونا من رجاله ، فأتوْه وقد تفرّقت أوصالهم ، فقال : ويْلَكُمْ ! ما شأنُكُمْ ؟ فقالوا : رأينا رجالا بِيضاً على خيل بُلْق ، فو الله ماتماسكنا أنْ أصَابَنا ما ترى ، فو الله ماردَّه ذلك عن وجهه أنْ مَضَى على ما يريد .

بعث ابن أبى حدرد عينا على هوازن :

قال ابن إسحاق : ولماسمع بهم نبىّ الله ﷺ بعث إليهم عبدَ الله بن أبى حَدْرد الأسْلمى ، وأمَره أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم عِلْمَهم ، ثم يأتيَه بخبرهم . فانطلق ابنُ أبى حَدْرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم حتى سمع وعلم ماقد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ ، وسمع من مالك وأمر هوازن ماهم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ ، فاخبره الخبر ، (فدعا رسولُ الله ﷺ عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر فقال عمر كذب ابن أبى حدرد . فقال ابن أبى حدرد إن كذبتنى فربما كذَّبت بالحق ياعمر : فقد كذَّبتَ من هو خير منى . فقال عمر : يارسول الله ، ألا تسمع مايقول

---

(١) الحذع : صغير السن انظر لسان العرب ص ٤٣ حـ ٨ . والخبب والوضع : ضربان من السير والعدو . لسان العرب ص ٣٤١ حـ ١ .

(٢) الوطفاء : إذا تدلت ذيولها . وامرأة وطفاء إذا كانت كثيرة شعر أهداب العين . لسان العرب ص ٣٥٧ جـ ٩ .

(٣) الزمع : الشعر الذى فوق مربط قيد الدابة ، الزمعة : الشعرة التى خلف الثنة أو الرسغ . وهو وصف محمود فى الخيل . لسان العرب ص ١٤٣ حـ ٨ .

(٤) شاة صدع : أى وعل بين الوعلين ، ليس بالعظيم ولا بالصغير . صدع الشىء بين الشيئين . لسان العرب ص ١٩٦ حـ ٨ .

ابن أبى حدرد ؟ فقال رسول الله ﷺ (قد كنت ضالا فهداك الله ياعمر[1]) .

فلما أجمع رسولُ الله ﷺ السير إلى هوازن ليَلقاهم ، ذُكر له أن عند صفوانَ بن أميَّة [2] أدراعا له وَسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك ، فقال : يا أبا أُميَّة ، أعِرْنا سلاحك هذا نَلق فيه عدوَّنا غداً ، فقال صفوان : أغصْبا يامحمد ؟ قال : بل عاريةٌ ومضمونة حتى نؤدّيها إليك ؛ قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مِئة درع بما يكفيها من السلاِح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ، ففعل .

خروج الرسول بجيشه إلى هوازن :

قال : ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفا ، واستعمل رسولُ الله ﷺ عَتاب بن أسيد بن أبى العِيص بن أُميَّة بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخلَّف عنه من الناس ، ثم مضى رسولُ الله ﷺ على وجهه يريد لقاء هَوازن .

قال ابن هشام : من قوله « أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها » إلى آخرها ، فى هذا اليوم ، وماقبل ذلك فى غير هذا اليوم ، وهما مفصولتان ، ولكن ابن إسحاق جعلهما واحدة .

أمر ذات أنواط :

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزّهرىّ ، عن سنان بن أبى سنان الدؤلى ، عن أبى واقد الليثى ، أن الحارث بن مالك ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال : فسرنا معه إلى حُنَيْــن ، قال : وكانت كفَّار قريش ومَنْ سواهم من العرب لهم شجرة

---

(١) ما بين القوسين أغفلته نسخة أ وهو مذكور فى شرح الزرقانى على المواهب من رواية الواقدى .

(٢) وهو يومئذ فى المدة التى جعل له رسول الله ﷺ الخيار فيها . (راجع شرح المواهب) .

عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنْواط [١] ، يأتونها كلّ سنة ، فيعلّقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكُفون عليها يوما . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سِدْرة خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جَنَبات الطَّريق : يارسول الله ، اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط . قال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، قلتم ، والذى نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : « **اجْعَلْ لَنا إلَها كما لَهُمْ آلهةٌ ، قالَ إنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** » [٢] . إنها السُّنن ، لتركُبنَّ سَنَنَ من كانَ قبلَكم .

لقاء هوازن وثبات الرسول :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلْنا وادىَ حُنين انحدرنا فى وادٍ من أوْدية تِهامة أجوف [٣] حَطُوط [٤] ، إنما ننحدر فيه انحدارا ، قال : وفى عماية الصُّبح [٥] ، وكان القومُ قد سبقونا إلى الوادى ، فكَمَنُوا لنا فى شعابه وأحنائه ومَضايقه ، وقد أجمعوا وتهيَّئوا وأعدوا ، فو الله ماراعنا ونحن منحطون [٦]إلا الكتائبُ قد شَدّوا علينا شَدّة رجل واحد ، وانْشَمر الناس [٧] راجعين ، لاَيلْوِى أحدٌ على أحد .

وانحاز رسول الله ﷺ ذاتَ اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ؟ هَلُموا إلىّ ، أنا رسولُ الله ، أنا محمد بن عبد الله : قال : فلا شىء [٨] ، حَملَت

---

(١) النوط : كل ما علق من شيء ، الأنواط : المعاليق . انظر لسان العرب ص ٤١٨ حـ ٧ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٣٨ .

(٣) تهامة : ما انخفض من أرض الحجار . أجوف : واسع له جوف . لسان العرب ص ٣٤ جـ ٩ . حطوط : الحطوط الأكمة صعبة الانحدار . لسان العرب ص ٢٧٤ حـ ٧ .

(٤) عماية الصبح : أى بقية ظلمة الليل . لسان العرب ص ٩٨ حـ ١٥ .

(٥) الشعاب : جمع شعبة وهى الفرقة أو الطائفة من الشيء . وهنا بمعنى الطرق المتفرعة . لسان العرب ص ٤٩٩ حـ ١ . أحناؤه . جوانبه .

(٦) منحطون : حطت الناقة فى سيرها وانحطت أى اعتمدت ويقال ذلك للناقة النجيبة السريعة وانحطت أسرعت . لسان العرب ص ٢٧٥ حـ ٧ .

(٧) إنشمر الناس : انشمر للأمر تهيأ له ، أى تهيأوا للرجوع . لسان العرب ص ٤٢٨ جـ ٤ .

(٨) كذا فى الأصول وفى شرح المواهب (فلأى) يريد فلشىء عظيم

الإبل بعضُها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا إنه قد بقى مع رسول الله ﷺ نَفر من المهاجرين والأنصار وأهلِ بيته .

أسماء من ثبت مع الرسول :

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته على ابن أبى طالب والعباسُ بن عبد المطّلب ، وأبو سفيانَ بن الحارث ، وأبنُه ، والفضلُ بن العباس ، وربيعةُ بن الحارث ، وأسامةُ بنِ زيد . وأيَمنُ بن عُبيد ، قُتل يومئذ .

قال ابن هشام : اسم ابن أبى سفيان بن الحارث جعفر ، واسم أبى سُفيان المغيرة ؛ وبعض الناس يعُدّ فيهم قَسْم بن العباس ، ولا يعد ابن أبى سفيان .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء فى رأس رمح له طويل ، أمام هوازنَ ، وهوازن خلفه ، إذا أدْرَك طَعَن رمحه واذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتَّبَعوه .

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جُفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلَّم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضّغْن (1) ، فقال أبو سفيان بن حرب : لاتنتهى هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزلام لمعَهُ فى كنانته (2) . وصرخ جَبَلة بن الحنبل – قال ابن هشام : كَلَدَة بن الحنبل – وهو مع أخيه صفوانَ بن أميّة مشرك فى المدَّة التى جعل له رسول الله ﷺ : ألا بطل السِّحْرُ اليومَ ؛ فقال له صفوان : اسكتْ فَضَ الله فاكَ (3) ، فو الله لأن يَرُبَّنى (4)رجلٌ من قُريش أحبُّ إلى

---

(١) الضّغن – بالكسر – الحقد ، كالضغينة ، وتضاغنوا واضطغنوا : انطووا على الأحقاد . (ترتيب القاموس ص ٣٠ حـ ٣)

(٢) الضمير راجع إلى أبى سفيان . والأزلام : السهام التى يستقسمون بها .

(٣) فض الله فاه : أى أسقط أسنانه . والفض هو الكسر بالتفرقة (القاموس ص ٥٠٠ حـ ٣) .

(٤) يربنى : يكون ربا لى ، أى مالكا علىّ .

من أن يرُبَّنى رجل من هَوازن.[١] قال ابن هشام : وقال حسَّان بن ثابت يهجو كَلَدَة :

رأيْتُ سوَاداً مِن بَعيد فراعنـى ... أبو حَنْبَلٍ ينزو على أمّ حَنْبَل
كأنّ الذى ينزو به فَوْقَ بَطْنِها ... ذراعُ قَلُوص[٢] من نِتاج ابن عِزْهِلِ

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين ، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أُميَّة ، وكان أخا كَلَدَة لأمّه .

قال ابن إسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة ، أخو بنى عبد الدّار : قالت : اليومَ أدركُ ثأرى (من محمد) ، وكان أبوه قُتِل يوم أُحُد ، اليوم أقْتُل محمدا . قال : فأدَرْتُ برسول الله لأقتله ، فأقبل شىء حتى تَغَشَّى فؤادِى ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع منى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل مكة ، أن رسول الله ﷺ قال حين فَصَل من مكة إلى حُنين ، ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن نغْلَبه اليوْمَ من قِلَّةٍ .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلا من بنى بكر قالها .

رجوع الناس بنداء العباس والانتصار بعد الهزيمة :

قال ابن أسحاق : وحدثنى الزُّهْرى ، عن كَثير بن العبَّاس ، عن أبيه العبَّاس بن عبد المطَّلب ، قال : إنى لَمعَ رسول الله ﷺ آخِذٌ بحَكَمَة بغلته البيضاء قد شَجَرْتُها بها[٣] ، قال : وكنتُ أمرأ جسيما شديد الصوت ، قال : ورسول الله ﷺ يقول حين رأى مارأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يَلْوُون على شىء ، فقال : ياعباس ، اصْرُخْ ، يامعشر

---

(١) من هنا إلى قوله : « وكان أخا كلدة لأمه » ساقط فى أ .

(٢) القَلُوص من الإبل : الشابة ، أو الباقية على السير ، أو أول ما يركب من إناثها ، والناقة الطويلة القوائم (ترتيب القاموس ص ٦٧٦ جـ ٣ .

(٣) شجرتها بها : أى وضعتها فى شجرها ، وهو مجتمع اللحيين ، أو ملتقى اللهزمتين (القاموس ص ٦٧٥ جـ ٢) .

الأنصار : يامعشر أصحاب السَّمُرَة ، قال : فأجابوا : لَبَّيْك ، لَبَّيْكَ ! قال : فيذهب الرجل ليثْنى بعيرَه ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعه ، فيقدفها فى عنقه ؛ ويأخذ سيفه وتُرسَه ، ويقتحم عن بعيره ، ويخلِّى سبيلَهُ ، فيؤمّ الصوت ، حتى ينتهىَ إلى رسول الله ﷺ . حتى إذا اجتمع إليه منهم مِئة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، وكانت الدّعوى أوّلَ ما كانت : ياللأنصار . ثم خَلَصَت أخيرا : يَالَلْخزرج . وكانوا صُبُراً عند الحرب ، فأشرف رسولُ الله ﷺ فى ركائبه . فنظر إلى مُجتَلَد القوم [1] وهم يَجْتلدون ، فقال : الآنَ حَمِىَ الوَطِيس [2] .

بلاء على وأنصارى فى هذه الحرب :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هَوازن صاحبُ الراية على جمله يصنع مايصنع ، إذ هوى له [3] علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه علىّ بن أبى طالب من خلفه ، فضرب عُرْقُوبَىِ الجمل ، فوقع على عجزه [4] ، ووثب الأنصارىّ على الرجل ، فضربه ضربة أطَنَّ قَدَمَه [5]بنصف ساقه ، فانجعف [6] عن رحله ، قال : واجْتَلد الناس ، فو الله مارجَعَتْ راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتَّفين عند رسول الله ﷺ .

قال : والتفت رسول الله ﷺ إلى أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان ممن صَبَرَ يومئذ مع رسول الله ﷺ ، وكان حَسَن

---

(١) مجتلد القوم : مكان جلادهم بالسيوف ، وهو حيث تكون المعركة .
(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٣٧ من هذا الجزء
(٣) يقال : هوى له وأهوى إليه : إذا مال عليه .
(٤) عجزه : مؤخره . والعجارة : دائرة الطائر ، وهى الأصبع المتأخرة (لسان العرب ص ٣٧٢ جـ ٥) .
(٥) أطن قدمه : أطارها ، وسمع لضبه طنين ، أى دوى أى قطعها (لسان العرب ص ٢٦٨ جـ ١٣) .
(٦) فانجعف عن رحله سقط عنه صريعا

الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثَفَر بغلته [١] ، فقال من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك [٢] يارسول الله .

شأن أم سليم :

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله ﷺ التفت فرأى أمّ سُلَيم [٣] ابنة ملْحان ، وكانت مع زوجها أبى طلحة [٤] وهى حازمة وسطها بُبرد لها ، وإنها الحامل بعبد الله بن أبى طلحة ، ومعها جملُ أبى طلحة ، وقد خشيت ان يعزها[٥] الجمل فأدنت رأسه منها فادخلت يدها فى خذامته[٦] مع إلخطام ، فقال لها رسول الله ﷺ : أمّ سُلَيم ؟ قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى يارسول الله ، اقْتُلْ هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يُقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ، فقال رسول الله ﷺ : أو يكفى الله ياأمّ سُلَيم [٧] ؟ قال : ومعها خنْجَر [٨] ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنْجَر معكِ ياأمّ سُلَيم ؟ قالت : خِنْجَر أخذته ، إنْ دنا منى أحدٌ من المُشركين بّعَجتُه [٩] به قال : يقول أبو طلحة : ألاتسمعُ يارسول الله ماتقول أمّ سُلَيم الغميصاء .

---

(١) الثفر بالتحريك . السير فى مؤخر السرج . (لسان العرب ص ١٠٥ حـ ٤) .

(٢) قوله : أنا ابن أمك : إنما هو ابن عمه ، لكنه أراد أن يتقرب إليه ، لأن الأم التى هى الجدة قد تجمعهما فى النسب .

(٣) فى اسمها خلاف ، قيل هى (مليكة بنت ملحان) وقيل (رميلة) ، ويقال (سهيلة) وتعرف بالغميصاء ، لرمص كان فى عينيها .

(٤) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام .

(٥) يعزها : يغلبها . عَزَّهُ يَعُزه عزًا : قهره وغلبه (لسان العرب ص ٣٧٨ حـ ٥) .

(٦) الخزامة حلقة من شعر تجعل فى أنف البعير

(٧) وفى رواية : إن الله قد كفى وأحسن . ويؤخذ من رد النبى على أم سليم أن فرار المسلمين يوم حنين لم يكن من الكبائر ، ولم يجمع العلماء على أن الفرار معدود فى الكبائر إلا فى يوم بدر ، قال تعالى : ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾ فيومئذ إشارة إلى يوم بدر ، أما الفارون يوم أحد فقد نزل فيهم : ﴿ ولقد عفا الله عنهم ﴾ وأما الفارون فى يوم حنين فقد نزل فيهم أيضا ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ إلى قوله : ﴿ غفور رحيم ﴾ .

(٨) الخنجر بفتح الخاء – وكسرها – السكين .

(٩) بعجته : يقال : بعج بطنه ، إذا شقه . أى شق بطنه بالخنجر (لسان العرب ص ٢١٤ جـ ٢) .

شعر مالك بن عوف فى هزيمة الناس :

قال ابن إسحاق : وقد كان رسولُ الله ﷺ ، حَين وجه إلى حنين ، قد ضمّ بنى سُلَيم الضحاك بن سفيان الكِلابى ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه :

أَقْدِمْ مُحاجُ إنَّهُ يومٌ نُكُرْ مِثْلى على مثْلكَ يحْمى ويَكُرّ (١)
إذا أُضيعَ الصَّفُّ يَوْما والدُّبُرْ ثم احزألّتْ زُمَرٌ بعد زُمَرْ (٢)
كَتائبٌ يكلُّ فيهنّ البَصَرْ قد أَطْعُن الطَّعنة تَقْذِى بالسُّبُر (٣)

شأن أبى قتادة وسلبه :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حُدّث عن أبى قتادة الأنصارى قال : وحدثنى من لاأتهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بنى غفار أبى محمد عن أبى قتادة ، قالا : قال أبو قتادة : رأيت يوم حُنَيْن رجلين يقتتلان : مسلما ومشركا ، قال : وإذا رجل من المُشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم قال : فأتيته ، فضربت يده ، فقطعتُها ، واعتنقنى بيده الأخرى ، فو الله ماأرسلنى حتى وجدت ريح الدم – ويروى : ريح الموت ، فيما قال ابن هشام : وكاد يقتلنى ، فلولا أن الدم نزفه (٤) لقتلنى ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضنى عنه(٥) القتال ، ومرَ به رجل من أهل مكة فسلبه ، فلما وضعت الحرب أوزارها (٦) وفرغنا من القوم ، قال رسول الله ﷺ : من قتل قتيلا فله سَلَبُه فقلت : يارسول الله ، والله

---

(١) محاج . اسم فرس مالك بن عوف .
(٢) أحرألت : ارتفعت . ورمر جماعات . وأحرألت الإبل : أى احتمعت تم ارتفعت عن متن من الأرض (اللسان ص ١٥٠ حـ ٢١) .
(٣) يكل فيها البصر : يعيا عن إدراك بهايتها لكثرة عددها . والسبر : حمع سبار ، وهو الفتيل يسبر به الحرح . وتقدى يقال : قدت العين تقدى (من باب رمى) قديا وقديانا : قدفت بالعص والرمص . ومعنى قدى بالسبر : تقدف بها لكثرة ما يندفق منها من دم ونحوه .
(٤) نزفه الدم . سال منه حتى أضعفه ، فأشرف على الموت .
(٥) أجهضنى عنه القتال : شغلنى وضيق علىّ وغلبنى . وأجهضنى : إذا غلبك على الشىء (لسان العرب ص ١٣٢ حـ ٧) .
(٦) أورار الحرب ، أثقالها وآلاتها . وهى استعارة (لسان العرب ص ٢٨٢ حـ ٥) .

لقد قتلت قتيلا ذا سَلَب ، فأَجْهضنى عنه القتال فما أدرى مَن استلبه ؟ فقال رجل من أهل مكة : صدق يارسول الله ، وسَلَبُ ذلك القتيل عندى ، فأَرْضِه عنى مِنْ سَلَبه ، فقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه لاوالله ، لايرضيه منه ، تَعْمِد إلى أسَدٍ من أُسْدِ الله ، يقاتل عن دين الله تقاسمه سَلَبه ! اردد عليه سَلَب قتيله ، فقال رسولُ الله ﷺ صدق يردد عليه سَلَبه . فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبعته ، فاشتريت بثمنه مَخْرَفا (١) ، فانه لأوّل مال اعْتَقَدْتُه (٢) .

قال ابن إسحاق : وحدثِنى من لاأتهم ، عن أبى سلمة ، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يوم حنَين وحدَه عشرين رجلا .

نصرة الملائكة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يَسار ، (أنه حدث) عن جبير بن مُطْعم ، قال : لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد (٣) الأسْوَد ، أقبل من السماد حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فاذا نمل أسود مبثوث (٤) قد ملأ الوادى ، لم أشكّ أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم .

هزيمة المشركين :

قال ابن إسحاق : ولما هزم الله المشركين من أهل حُنين ، وأمكن رسولَه ﷺ منهم ، قالت أمرأة من المسلمين .

قد غلبت خَيلُ اللهِ خَيْلَ اللاَّتِ   والله أَحَقُ بالثَّباتِ

---

(١) المخرف : نحلة واحدة أو نحلات يسيرة إلى عشرة ، فأما ما فوق ذلك فهو بستان أو حديقة . (انظر السهيلى) . وقيل هى الجماعة من النخل ما بلغت (لسان العرب ص ٦٤ جـ ٩)

(٢) اعتقدته : يقال : اعتقدت مالى : أى اتخذت منه عقدة ، كما تقول : نبذة أو قطعة والأصل فيه من العقد ، وأن من ملك شيئا عقد عليه .

(٣) البجاد : الكساء . أراد الملائكة الذين أيدهم الله بهم (لسان العرب ص ٧٧ جـ ٣) .

(٤) مبثوث : متفرق ، يعنى رآه ينزل من السماء .

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوازن استحَرَّ [1] القتل من ثَقيف فى بنى مالك ، فقُتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله ابن ربيعة بن الحارث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخمار [2] ، فلما قُتِل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قُتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عامر بن وهب بن الأسود ، قال لمَّا بلغ رسول الله ﷺ قتلُه ، قال : أبعده الله ، فانه كان يُبْغض قُريشا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأخنس : أنه قُتل مع عثمان بن عبد الله غلامٌ له نصرانىّ أغْرَلُ [3] ، قال فبينا رَجل من الأنصار يسلُب قَتْلى ثقيف ، إذ كشف العبدَ يسلُبُه ، فوجده أغْرَلَ . قال : فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب : يعلم الله أنَّ ثقيفا غُرْل . قال : المُغيرة بن شُعبة : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ، فقلتُ : لاتقل ذاك ، فَداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانىّ . قال : ثم جعلت أكشف له عن القَتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختَّنين كما ترى .

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يُقتل من الأحلاف غيرُ رجلين : رجل من غِيرَة ، يقال له وهب ، وآخر من بنى كُبَّة ، يقال له الجُلاح ، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجُلاح : قُتِل اليوم سيدُ شباب ثقيف ، إلا ماكان من ابن هنيدة ، يعنى بابن هُنيدة الحارث بن أويس .

مقتل دريد بن الصمة :

قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون ، أتَوُا الطائف ومعهم مالك

---

(١) استحر : اشتد وكثر ، وهو استعمل من الحرّ والشدَّة . (لسان العرب ص ١٧٩ جـ ٤) .

(٢) دو الحمار : عوف بن الربيع .

(٣) الأعرل . هو الدى ليس بمحتن . والغرلة : هى الجلدة التى يقطعها الحاتن .

ابن عَوف ، وعسكر بعضهم بأوْطاس ، وتوجَّه بعضهم نحو نَخْلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخْلة إلا بنو غِيَرة من ثقيف ، وتبعت خيلُ رسول الله ﷺ من سلك فى نخْلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

فأدرك ربيعة بين رُفَيْع بن أُهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سَمَّاك بن عوف بن امرئ القيس ، وكان يقال له ابن الدُّغنَّة وهى أمه ، فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لذْعَة فيما قال ابن هشام - دُرَيْد بن الصّمة ، فأخذ بخطام جمله وهو يظنّ أنه امرأة ، وذلك أنه فى شجار له ، فاذا برجل ، فأناخ به ، فاذا شيخ كبير ، وإذا هو دُرَيد بن الصَّمَّة ولايعرفه الغلام ، فقال له دُرَيد : ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا رَبيعة ابن رُفَيْع السُّلَمىّ ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يُغْن شيئا ، فقال : بئس ما سَلَّحتك أمك ! خذ سيفى هذا من مؤخَّر الرحل ، وكان الرحل فى الشِّجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فانى كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أتيتَ أمَّك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْد بن الصَّمَّة ، فُربَّ والله يوم قد منعتُ فيه نساءَك . فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوقع تكشَّف ، فإذا عجانُه [1]وبطون فَخذيه مثل القِرْطاس ، من ركوب الخيل أعراء [2] ؛ فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمَّهات لك ثلاثا .

مقتل أبى عامر الأشعرى :

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ فى آثار من توجَه قِبَل أوْطاسٍ أبا عامر الأشعرى ، فأدرك من الناس بعضَ من انهزم ،

(١) عجانة : ما بين فرجيه . وعجان المرأة : الوتدة التى بين قبلها وثعلبتها (اللسان ص ٢٧٨ حـ ١٣) .
(٢) أعراء : جمع عرى (بوزن قفل) وهو الفرس الذى لا سرج له .

فناوشوه (١) القتال فرُمى أبو عامر بسهم فقُتِل ؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشْعرىّ ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ، ففتح الله على يديه وهزمهم - فيزعمون أن سَلَمة بن دُرَيْد هو الذى رَمى أبا عامر الأشعرى بسهم ، فأصاب ركبته ، فقتله ، فقال :

إن تَسألوا عَنى فانى سَلَمهْ　　ابنُ سَمادِيرَ لِمَنْ تَوَسَّمَهْ (٢)

أضربُ بالسّيف رؤوس المسْلِمَهْ

واستحرّ القتل من بنى نَصْر فى بنى رِئاب ، فزعموا أن عبد الله بن قَيْس - وهو الذى يُقال له ابن العَوِرْاء ، وهو أحد بنى وَهْب بن رِئاب - قال : يارسولَ الله ، هلَكت بنو رئاب . فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : اللهمّ اجْبُر مصيبَهُم .

وصية مالك بن عوف لقومه ولقاء الزبير لهم :

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف فى فوارس من قومه ، على ثنيَّة (٣) من الطّريق ، وقال لأصحابه : قفُوا حتى تمْضِى ضُعَفاؤُكم ، وتلْحق أخراكم . فوقف هناك حتى مضَى مَن كان لَحِق بهم من مَنْهزمة الناس .

قال ابن هشام : وبلغنى أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثَّنِيَّة ، فقال لأصحابه : ماذا ترَوْن ؟ فقالوا : نرى قوْما واضعى رِماحهم بين آذان خيْلهم ، طويلةٌ بوادُّهم(٤) ؛ فقال : هؤلاء بنو سُلَيم ، ولابأسَ عليكم منهم ؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادى . ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ؛ فقال

---

(١) يُقال : تناوش القوم فى القتال : إذا تناول بعضهم بعضا بالرماح ، ولم يتدانوا كلّ التدانى .

(٢) توسمه : استدل عليه ونظر فيه .

(٣) الثنية : موضع مرتفع بين جبلين .

(٤) البواد جمع البادّ ، وهو باطن الفخذ

لأصحابه : ماذا تَرَوْن ؟ قالوا : نرى قوما عارضى [١] رماحهم ، أغْفالا [٢] على خيلهم ؛ فقال : هؤلاء الأوْس والخزْرَج ، ولابأس عليكم منهم . فلما أنْهَوْا إلى أصل الثَّنيَّة سلَكوا طريق بنى سُلَيم . ثم طلع فارس ؛ فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْن ؟ قالوا : نرى فارسا طويل البادّ[٣] ، واضعا رمحه على عاتقه [٤] ، عاصبا رأسه بملاءة [٥] حمراء فقال هذا الزُّبير بن العوَّام وأحلِف باللاَّت ليخالطَنَّكم ، فاثْبُتوا له . فلما انّهى الزُّبير إلى أصل الثَّنِيَّة أبصر القوم ، فصِمَد لهم [٦] ، فلم يزل يُطاعِنهم حتى أزاحهم [٧] عنها .

بقية حديث مقتل أبى عامر :

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم بالشعر ، وحديثه : أن عامر الأشعرىّ لقى يوم أوْطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدُهم ، فَحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهمّ اشهد عليه ، فقتله أبو عامر : ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعة ، وبقى العاشر ، فحمل على أبى عامر ، وحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهمّ اشهد عليه ؛ فقال الرجل : اللهمّ لاتشهد علّى ، فكفّ عنه أبو عامر ، فأفلت ؛ ثم أسلم بعدُ فحسُن إسلامه . فكان رسولُ الله ﷺ إذا رآه قال : هذا شَريدُ أبى عامر . ورمى أبا عامر أخَوان : العلاءُ وأوفى ابنا الحارث ، من بنى جُشَم بن معاوية ، فأصاب أحدُهما قلبَه ،

---

(١) عارضى رماحهم : أى واضعيها بالعرض وهو كناية عن عدم مبالاتهم أعدائهم .

(٢) أعفالا : جمع عفل ، وهو الذى لا علامة له . يريد أنهم لم يعلموا أنفسهم بشىء يعرفون به .

(٣) البواد : جمع الباد ، وهو باطن الفخذ .

(٤) العاتق : ما بين المنكب والعنق ، مذكر وقد أنث وليس بثبت (لسان العرب ص ٢٣٨ حـ ١٠) .

(٥) الملاءة الملحفة صغيرة كانت أو كبيرة .

(٦) صمد : قصد . (لسان العرب ص ٢٥٨ حـ ٣) .

(٧) أزاحهم عنها : أزالهم عنها ونحاهم .

والآخر ركبته ، فقتلاه . ووِلىَ الناسَ أبو موسى الأشعرى فحمل عليهما فقتلهما ؛

نهى الرسول عن قتل الضعفاء :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا : أن رسول الله ﷺ مرّ يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس مُتَقَصِّفُون [١]عليها فقال ماهذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ؛ فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه : أدرِكْ خالدا ، فقل له : إن رسول الله ينهاك أن تَقتُل وَليدا أو امرأة أو عَسيفا [٢] .

شأن بجاد والشيماء :

قال ابن إسحاق ، وحدثنى بعض بنى سعد بن بكر : أن رسول الله ﷺ قال يومئذ : إن قَدِرتم على بِجادٍ ، رجل من بنى سعد بن بكر ، يَفْلِتَنَّكم ، وكان قد أحدث حَدَثا ، فلما ظفِر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشَّيْماءَ ، بنت الحارث بن عبد العُزَّى أختَ رسول الله ﷺ من الرّضاعة ، فعَنُفُوا عليها فى السِّياق ؛ فقالت للمسلمين : تعلَموا والله أنى لأخت صاحبكم من الرّضاعة ؛ فلم يصدّقوها حتى أتَوْا بها إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عُبيد السَّعدىّ ، قال : فلما انتُهِىَ بها إلى رسول الله ﷺ ، قالت : يارسول الله ، إنى أُختك من الرضاعة قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عَضَّة عَضِضْتنيها فى ظهرى وأنا مُتَوَرِّكَتُك قال : فعرف رسول الله ﷺ العلامة ، فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه وخَيَّرها ، وقال : إن أَحْببتِ فعِنْدى مُحَبَّةً مُكْرَمَة ، وإن أَحْبَبْت أن أُمَتِّعَك [٤]وترجعى إلى قومك فعلتُ ؛ فقالت : بل تمتِّعُنى وتردُّنى إلى

---

(١) مردحمون منقصمون . ويروى : منقصعون (بالنون) وهو بمعناه .
(٢) الأجير ، والعبد المستعان به .
(٣) متوركتك : حاملتك على وركى .
(٤) أمتعك : أى أعطيك ما يكون به الإمتاع ، أى الانتفاع

قومى فمتّعها رسول الله ﷺ ، وردّها إلى قومها . فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوّجت أحَدهُما الأخرَى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

قال ابن هشام : وأنزل الله عزّ وجلّ فى يوم حُنين : « **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُم كَثْرَتُكُمْ** » إلى قوله «**وَذلِكَ جَزاءُ الكافِرِينَ** » (١) .

تسمية من استشهد يوم حنين :

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استُشْهِد يوم حُنَيْن من المسلمين . من قريش ثم من بنى هاشم : أيمَن بن عُبيد .

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى : يزيد بن زَمَعَة بن الأسود بن المطَّلب ابن أسد ، جَمَح به فرس له يقال له الجناح ، فقُتل .

ومن الأنصار : سُرَاقةُ بن الحارث بن عدىّ ، من بنى العَجْلان . ومن الأشعريين : أبو عامر الأشعرى .

جمع سبايا حنين :

ثم جُمِعَتْ إلى رسول الله ﷺ سبَايا حُنَيْن وأموالها ، وكان على المغانم مسعودُ بن عمرو الغفارىّ ، وأمر رسول الله ﷺ بالسَّبايا والأموال إلى الجعرَانة ، فحُبِسَتْ بها .

من شعر بجير يوم حنين :

وقال بُجَير بن زُهَير بن أبى سُلْمَى فى يوم حُنَين :

واللهُ أكْرَمَنـاً وأظْهَـرَ ديننـا ... وأعَزَّنـا بعِبـادَةِ الرَّحمـنِ
واللهُ أهْلَكَهُمْ وَفرَّقَ جمْعَهـمْ ... وأذَلَّهـمْ بعِبـادَةِ الشَّيْطـانِ

---

(١) سورة التوبة آيتى ٢٥ ، ٢٦ .

ذكر غزوة الطائف بعد حنين

فى سنة ثمان

ولما قَدِم فل[١] ثقيفِ الطائفَ أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها ، وصنَعوا الصنائع الفعال .

ولم يشهد حُنَيْنا ولا حِصارَ الطَّائف عُروةُ بن مسعود ، ولا غَيْدن بن سَلَمة ، كانا بجُرَش[٢] يتعلَّمان صنعة الدَّبَّابات[٣] والمَجانيق[٤] والضُّبُور[٥] .

مسير الرسول إلى الطائف وشعر كعب :

ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنين .

قال ابن إسحاق : فسَلك رسول الله ﷺ على نَخْلَةَ اليَمانِيةَ ، ثم على قَرْن ، ثم على المُلَيْح ، ثم على بُحْرَةِ الرُّغاءِ مِنْ لِيَة[٦] ، فابتنى بها مسجداً فصلَّى فيه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب : أنه أقاد يومئذ ببُحْرَة الرّغاء ، حين نزلها ، بدم ، وهو أوّل دم أقيد به فى الإسلام ، رَجَلٌ من بنى لَيْث قَتَل رجلا من هُذَيل ، فقتله به ؛ وأمر رسول الله ﷺ ، وهو بلِيَّةَ ، بحصن مالك بن عوف فهُدِم ، ثم سلك فى طريق يقال لها الضَّيْقَة ، فلما توجَّه فيها رسولُ الله ﷺ سأل عن اسمها ، فقال : ما اسمُ هذه الطريق ؟ فقيل له الضَّيْقة ، فقال : بل هى اليُسْرَى ، ثم خرج منها على نَخْب ، حتى نزل تحت سِدْرَةٍ يقال لها الصادرة ، قريبا من مال رجل من

---

(١) الفل . الجماعة المنهزمون من الجيش .
(٢) جرش : من مخاليف اليمن من جهة مكة .
(٣) قال السهيلى : « الدبابة آلة من آلات الحرب » .
(٤) المجانيق : جمع منجنيق (بفتح الميم وكسرها) ، وهى من آلات الحصار يرمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها .
(٥) الضبور : مثل رءوس الأسفاط ، يتقى بها فى الحرب عند الانصراف .
(٦) قرن ، ومليح ، وبحرة الرغاء ، ولية : مواضع بالطائف .

ثقيف ، فأرسل إليه رسولُ الله ﷺ : إما أن تخْرج ، وإما أن نُخْرِبَ عليك حائطك ؛ فأبى أن يخرج ، فأمر رسولُ الله ﷺ بإخرابه .

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريبا من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقُتِل به ناسٌ من أصحابه بالنَّبْل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النَّبْل تنالُهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ؛ فلما أُصِيب أولئك النَّفر من أصحابه بالنَّبْل وضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة .

قال ابن هشام : ويقال سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَة .

قال ابن إسحاق : ومعه امرأتان من نسائه ، إحداهما أُمُّ سَلَمة بنت أبى أُمَيَّة ، فضرب لهما قُبَّتين ، ثم صلى بين القبَّتين . ثم أقامَ ، فلما أسلمتْ ثقيف بَنَى على مُصَلَّى رسول الله ﷺ عمرُو بن أُميَّة بن وهب بن مُعَتِّب ابن مالك مسجدا ، وكانت فى ذلك المسجد سارية ، فيما يَزْعمون ، لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا سُمِع لها نَقِيض[1] ، فحاصرهم رسول الله ﷺ ، وقاتلهم قتالا شديداً ، وترامَوْ بالنَّبْل .

الرسول أول من رمى بالمنجنيق :

قال ابن هشام : ورماهم رسول الله ﷺ بالمَنْجنيق . حدثنى من أثق به ، أن رسول الله ﷺ أوّل من رَمى فى الإسلام بالمَنْجنيق ، رَمى أهلَ الطائف .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يومُ الشَّدْخَة[2] عند جدار الطَّائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دَبَّابَةٍ ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليَخْرِقوه ، فأَرْسَلَتْ عليهم ثقيف سِكَكَ الحديد مُحْماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنَّبْل ، فقَتَلوا منهم رجالا ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

---

(١) النقيض : الصوت .

(٢) الشدخ : الكسرة فى كل شىء رطب ؛ وقيل : هو التهشيم يعنى به كسر اليابس وكل أجوف . (لسان العرب) .

المفاوضة مع ثقيف :

وتقدّم أبو سفيانَ بن حَرْب والمُغيرة بن شُعْبة إلى الطائف ، فنادى بِاثقيفا : أن أمِّنُونا حتى نكلِّمكم فأمنوهما ، فدَعَوْا نساءً من نساء قُرَيش وبنى كنانة ليخرجْن إليهما ، وهما يخافان عليهنّ السِّباءَ ، فأبين ، منهنّ آمنة بنت أبى سُفيان ، كانت عند عُرْوَةَ بن مسعود ، له منها داودُ بن عُروة .

قال ابن هشام : ويقال إن أمّ داود ميمونة بنت أبى سُفيان ، وكانت عند أبى مُرَّة بن عُرْوة بن مسعود ، فولدت له داود بن أبى مُرَّة .

قال ابن إسحاق : والفِرَاسِيَّةُ بنت سُوَيْد بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن بن قارِب ، والفُقَيْمِيَّةُ أميْمةُ بنت الناسىء أميَّةَ بن قَلْع ؛ فلما أبين عليهما ، قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سُفيان ويا مغيرة ، ألا أدلُّكما على خير مما جئتما له ، إن مالَ بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله ﷺ بينه وبين الطائف ، نازلا بوادٍ يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبْعَدُ رِشاءً ، ولا أشدُّ مُؤْنَةً ، ولا أبْعَدُ عمارة من مال بنى الأسود ، وإن محمدا إن قطعه لم يُعْمَر أبدا ، فكَلِّماه فليأخذْ لنفسه ، أو ليدَعْه لله والرَّحم ، فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يُجْهَل ؛ فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم .

رؤيا الرسول وتفسير أبى بكر لها :

وقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر الصدّيق وهو محاصر ثقيفا : يا أبا بكر : إنى رأيت أنّى أُهْدِيَتْ لى قَعْبَة[1] مملوءةً زبْداً ، فنقرها ديك ، فهَراق[2] ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظنّ أنْ تُدْرِك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله ﷺ : وأنا لا أرى ذلك .

---

(١) القعبة · القدح الصحم الغليظ الجافى ، وقيل : قدح من خشب مقعر (اللسان ص ٦٨٣ جـ ١)

(٢) هراق : هراق الماء يهريقه ، بفتح الهاء ، هراقة أى صبَّه ، وأصل هراق أراق يريق إراقة (لسان العرب ص ٣٦٦ جـ ١٠) .

ارتحال المسلمين وسبب ذلك :

ثم إنّ خُويلة بنت حكيم بن أُميَّة بن حارثة بن الأوقص السُّلَمية ، وهى امرأة عثمان ، قالت : يا رسول الله ، أعطنى إنْ فتح الله عليك الطائفَ حُلّى باديةَ بنتِ غَيْلانَ بن مظغون بن سَلَمة ، أو حُلِىَّ الفارعةِ بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثَقيف .

فذُكر لى أن رسول الله ﷺ قال لها : وإن كان لم يُؤذن لى فى ثقيف يا خُويلة ؟ فخرجت خُويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطَّاب ، فدخل على رسول الله ﷺ ، فقال (يا رسول الله) : ما حديث حدَّثَتْنيه خُويلة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ؛ قال : أوَما أوذن لك فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أُذّن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذَّن عُمَرُ بالرَّحيل .

فلما استقل الناسُ نادى سعيد بن عُبيد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج : ألا إنّ الحىّ مقيم . قال : يقول عُيينة بن حِصْن : أجل ، والله مَجَدَةً[1] كِراما ؛ فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ ، وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ ! فقال : إنى والله ما جئت لأقاتل ثقيفا معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أتَّطِئُها ، لعلَّها تلد لى رجلا ، فإن ثقيفا قوم مَناكير[2] .

ونزل على رسول الله ﷺ فى إقامته ممن كان محاصَراً بالطائف عَبيدٌ ، فأسْلَمُوا ، فأعتقهم رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مُكَدَّم ، عن رجال من ثقيف ، قالوا : لمَّا أسلم أهل الطائف تكلَّم نفر منهم فى أولئك العَبيد ، فقال رسول الله ﷺ : لا ، أولئك عُتَقاء الله ؛ وكان ممن تكلَّم فيهم الحارث بن كَلَدَة .

---

(١) مجدة : المجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفى (اللسان ص ٣٩٥ جـ ٣) .

(٢) مناكير : دوو دهاء وفطنة (لسان العرب ص ٢٣٢ جـ ٥) .

قال ابن هشام : وقد سَمى ابن إسحاقَ من نزل من أولئك العَبيد .

إطلاق أبى بن مالك من يد مروان: وشعر

قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلا لمَرْوَانَ بن قَيْس الدَّوْسِىّ ، وكان قد أسلم ، وظاهَرَ رسولَ الله ﷺ على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قَيس : أن رسول الله ﷺ . قال لمروان بن قَيْس : خُذ يا مروان بأهلك أوّل رجل من قَيْس تلقاه ، فلقى أُبَىّ ابن مالك القُشَيْرىّ ، فأخذه حتى يؤدّوا إليه أهله ، فقام فى ذلك الضحاك بن سُفيانَ الكِلابى ، فكلَّم ثقيفا حتى أرسلوا أهل مروان ، وأطلق لهم أُبَىّ بن مالك .

شهداء المسلمين يوم الطائف :

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استُشْهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ يوم الطائف .

من قريش :

من قُرَيش ، ثم من بنى أُميَّة بن عبد شَمْس : سعيد بن سعيد بن العاص بن أُميَّة ، وعُرْفُطَة بن جَنَّاب ، حليفٌ لهم ، من الأَسْد بن الغَوْث .

قال ابن هشام : ويقال : ابن حُباب .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تَيْم بن مُرَّة : عبد الله بن أبى بكر الصدّيق ، رُمى بسهم ، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ .

ومن بنى مخزوم : عبد الله بن أبى أُميَّة بن المغيرة ، منْ رَمْيَة رُمِيَها يومئذ .

ومن بنى عدىّ بن كَعْب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بنى سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ ، وأخوه عبد الله بن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جُلَيحة بن عبد الله .

من الأنصار :

واستُشهد من الأنصار : من بنى سَلِمَة : ثابت بن الجَذَع .

ومن بنى مازن بن النجار : الحارث بن سَهْل بن أبى صعصعة .

ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس : رُقَيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لَوْذان بن معاوية .

فجميع من استُشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث .

أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها وإنعام رسول الله ﷺ فيها

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرفَ عن الطائف على دَحْنا[1] حتى نزل الجعْرَانة فيمَن معه من الناس ، ومعه من هوازن سَبْىٌ كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظَعَن عن ثقيف : يا رسول الله ، ادع علَيهم ؛ فقال رسول الله ﷺ : اللّهُمَّ اهْدِ ثقيفا وأْتِ بهم .

ثم أتاه وَفْد هوازن بالجعْرانة ، وكان مع رسول الله ﷺ من سَبْي هوازنَ ستة آلاف من الذّرارىّ والنساء ، ومن الأبل والشّاءِ ما لا يُدْرَى ما عِدَّتُه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شَعيب ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الله بن عمرو : أنّ وفْد هوازنَ أتَوْا رسول الله ﷺ وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصْلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخْفَ عليك ، فامْنن علينا ، مَنَّ الله عليك . قال : وقام رجل من هوازنَ ، ثم أحدُ

---

(١) دحنا (بالفتح ، ويروى مقصورا وممدودا) : من محاليف الطائف .

بنى سعد بن بكر ، يُقال له زُهير ، يكنى أبا صُرَد ، فقال : يا رسول الله ، إنما فى الحظائر[1] عمَّاتك وخالاتك وحواضنك[2] اللاتى كنّ يكفُلْنك ، ولو أنَّا مَلَحْنا[3] للحارث بن أبى شمر ، أو للنعمان بن المنذِر ، ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته[4] علينا ، وأنت خير المكفولين .

قال ابن هشام : ويُروى ولو أنا ملحنا الحارث بن أبى شِمْر ، أو النُّعمان ابن المنذِر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شُعيب ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ : أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يا رسول الله ، خَيَّرْتَنَا بين أموالِنا وأحْسابنا ، بل تَرُدُّ إلينا نساءَنا وأبناءَنا ، فهو أحبّ إلينا ؛ فقال لهم : أما ما كان لى ولبنى عبد المطَّلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صلَّيت الظُّهر بالناس ، فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا ، فسأُعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم ؛ فلما صَّلى رسول الله ﷺ بالناس الظُّهر ، قاموا فتكلَّموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله ﷺ : وأما ما كان لى ولبنى عبد المطَّلِب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . فقال الأقرعُ بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عُيَيْنة بن حصْن : أما أنا وبنو فَزَارة فلا . وقال عباس بن مِرْداس : أما أنا وبنو سُلَيم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ .

---

(١) الحظائر : جمع حظيرة ، وهى الدرب الذى يصنع للإبل والغنم ليكفها ، وكان السبى فى حظائر مثلها (اللسان ص ٢٠٣ جـ ٤) .

(٢) حواضنك : يعنى اللاتى أرضعن النبى ﷺ ، وقد كانت حاضنته من بنى سعد بن بكر ، من هوازن ، وكانت ظئرا له .

(٣) ملحنا : أرضعنا . والملح : الرضاع . والحارث بن أبى شمر الغسانى ملك الشام من العرب والنعمان بن المنذر ملك العراق من العرب . والممالحة : المراضعة (اللسان ص ٦٠٥ ج ٢) .

(٤) عائدته : فضله .

قال : يقول عباس بن مِرْداس لبنى سُلَيم : وَهَّنْتُمُونى [1] .

فقال رسول الله ﷺ : أمَّا من تمسَّك منكم بحقه من هذا السَّبْى فله بكلّ إنسان سِتُّ فرائض ، من أوّل سَبْى أصيبُه ، فرُدُّوا إلى النَّاس أبناءهم ونسِاءهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو وَجْزَة يزيد بن عُبيد السَّعدىّ : أن رسول الله ﷺ أعطَى علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه جارية ، يُقال لها رَيْطة بنت هِلال بن حَيَّان بن عُمَيرة بن هِلال بن ناصرة بن قُصَيَّة [2] ابن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطَى عثمان بن عفَّان جارية ، يُقال لها زينب بنت حَيَّان بن عمرو بن حَيَّان ، وأعطَى عمرَ بن الخطَّاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عُمرَ ابنه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمَر ، عن عبد الله ابن عُمَر ، قال : بعثتُ بها إلى أخوالى من بنى جُمَح ، ليُصْلِحُوا لى منها ، ويهيِّئوها ، حتى أطوف بالبيت ، ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها . قال : فخرجت من المسجد حين فَرَغْتُ ، فإذا النَّاس يَشْتَدُّونَ ؛ فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : ردَّ علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءَنا ؛ فقلت : تلكم صاحبتُكم فى بنى جُمَح ، فاذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها ، فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأما عُيَيْنة بن حصِنْ ، فأخذ عجوزا من عجائز هوازِنَ ، وقال حين أخذها : أرى عجوزا إنى لأحسِب لها فى الحىّ نسبا ، وعسى أن يعظُم فِدَاؤُها . فلما ردّ رسول الله ﷺ السَّبايا بستّ فرائض ، أبى أن يَردَّها ، فقال له زُهَير أبو صُرَد : خُذها عنك ، فوالله ما فُوها ببارد ،

---

(١) وهنتموبى . أصعفتمونى .

(٢) قصية · يروى بفتح القاف وصمها ؛ ورواه اس درید بعاء مضمومة .

ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد[1] ، ولا دَرُّها بماكد[2] . فردّها بست فرائض حينَ قال له زُهَير ما قال ؛ فزعموا أن عُيَيْنةَ لقِيَ الأقرَع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أَخَذتها بيضاءَ غَريرة[3] ، ولا نَصفا وَثيرَة[4] .

إسلام مالك بن عوف النصرى :

وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ؛ فقال رسول الله ﷺ : أخبروا مالكا أنه إن أتانى مُسلما رددت عليه أهلَه وماله ، وأعطيته مئة من الإبل ؛ فأتِـيَ مالكٌ بذلك ، فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه أن يَعْلَموا أن رسول الله ﷺ قال له ما قال ، فيحبسوه ، فأمر براحلته فهُيِّئَتْ له ، وأمر بفرس له ، فأتِـيَ به إلى الطائف ، فخرج ليلا ، فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحْبَس ، فركبها ، فلَحِق برسول الله ﷺ ، فأدركه بالجِعْرانة أو بمكة ، فردّ عليه أهلَه وماله ، وأعطاه مئة من الإبل ، وأسلم فحسُن إسلامه ؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيتُ ولا سمِعْتُ بمِثْلِه ... فى النَّاس كُلِّهم بمثل محمَّدِ
أوْفى وأعطَى للجزيل إذا اجْتُدِى ... ومَتى تَشأ يُخْبِركَ عما فى غد
وإذا الكَتِيبةُ عرَّدَت أنيابُها ... بالسَّمْهَرِىّ وضَرْب كُلّ مُهَنَّد[5]

---

(١) بواحد : أى بحرين ، يريد أن روجها لا يحزن عليها ، لأنها عجوز . (اللسان ص ٤٤٦ حـ ٣) .
(٢) الدر : اللبن . والماكد : الغزير وماء ماكد أى دائم (اللسان ص ٤٤١ جـ ٣) .
(٣) الغريرة : المتوسطة فى السن من النساء والغرير : الشاب الذى لا تجربة له . (اللسان ص ١٦ حـ ٥) .
(٤) الوثيرة من النساء : السمينة اللينة .
(٥) عردت أنيابها : قويت واشتدت وكل شىء شديد منتصب فهو عرد (اللسان ص ٢٨٧ حـ ٣) والسمهرى : الرمح . والمهند : السيف .

فكأنَّــهُ لَــيْثٌ علـــى أشبالِـــهِ   وسْط الهَباءَةِ خادرٌ فى مَرْصَدِ[١]

فاستعمله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على من أسْلم من قومه ؛ وتلك القبائل : ثمَالَةُ ، وسَلِمةُ[٢] ، وفَهْم ، فكان يُقاتل بهم ثقيفا ، لا يخرج لهم سَرْحٌ إلا أغار عليه ، حتىَ ضيِّق عليهم .

تقسيم الفىء :

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من ردّ سبايا حُنين إلى أهلها ، ركب ، واتَّبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقسمِ علينا فَيْئَنا من الإبل والغنمِ ، حتى ألْجَئُوه إلى شجرة ، فاختطفت عنه رداءه ، فقال : أدُّوا علىّ ردائى أيُّها النَّاس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تِهامَة نَعَما لقسمته عليكم ، ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جبانا ولا كذَّابا ، ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وَبَرَة من سَنامه ، فجعلها بين أُصْبَعَيْه ، ثم رفعها ، ثم قال : أيها الناس ، والله مالى من فَيْئكم ولا هذه الوبرة إلا الخُمُس ، والخُمُس مردود عليكم . فأدُّوا الخِياط والمِخْيَط[٣] ، فإنّ الغُلُول[٤] يكون على أهله عاراً ونارا وشَنارا[٥] يوم القيامة . قال : فجاء رجل من الأنصار بكُبَّةٍ من خُيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه الكُبَّة أعملُ بها بَرْذَعة بَعيرٍ لى دَبِرٍ ؛ فقال : أما نصيبى منها فلك ! قال : أمَّا إذ بَلَغَتْ هذا فلا حاجة لى بها ، ثم طَرَحَها من يده .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسْلَم ، عن أبيه : أن عَقِيل بن أبى طالب دخل يوم حُنين على امرأته فاطمة بنت شَيْبة بن ربيعة ، وسيفه

---

(١) الهباءة : الغبار يثور عند اشتداد الحرب . والخادر : الأسد فى عرينه ، وهو حينئذ أشد ما يكون بأسا لخوفه على أشباله ؛ يصفه بالقوة . والمرصد : المكان يرقب منه ؛ يصفه باليقظة .

(٢) قال السهيلى : « هكذا تقيد فى النسخة (بكسر اللام) ؛ والمعروف فى قبائل قيس سلمة (بالفتح) . إلا أن يكونوا من الأزد ، فإن ثمالة المذكورين معهم حى من الأزد ، وفهم من دوس ، وهم من الأزد أيضا .

(٣) الخياط (هنا) : الخيط ؛ والمخيط : الإبرة .

(٤) الغلول : الخيانة (لسان العرب جـ ١١) .

(٥) الشنار : أقبح العيب والعار (لسان العرب ص ٤٣٠ جـ ٤) .

متلطّخ دما ، فقالت : إنى قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : دونكِ هذه الإبرَةَ تَخيطين بها ثيابَك ، فدفعها إليها ، فسمعَ مُنادِىَ رسول الله ﷺ يقول : من أخذ شيئا فليردَّه ، حتى الخِياط والمِخْيَط . فرجع عَقيل ، فقال : ما أرَى إبرتك إلا قد ذهبت ، فأخذها ، فألقاها فى الغنائم .

عطاء المؤلفة قلوبهم :

قال ابن إسحاق : وأعطى رسول الله ﷺ المُؤَلَّفة قُلُوبهم ، وكانوا أشرافا من أشراف الناس ، يتألَّفهم ويتألَّفُ بهم قومَهم ، فأعطى أبا سفيانَ ابن حرب مئِة بعير ، وأعطَى ابنه معاوية مئِة بعير ، وأعطى حَكيم ابن حزِام مئِة بعير ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كَلَدة ، أخا بنى عبد الدار مئة بعير .

قال ابن هشام : نَصير بن الحارث بن كَلَدة ، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضا .

قال ابن إسحاق : وأعطى الحارثَ بن هشام مئِة بعير ، وأعطى سُهَيْل ابن عمرو مئة بعير ، وأعطى حُوَيطِب بن عبد العُزَّى بن أبى قَيْس مئة بعيرٍ ، وأعطى العَلاء بن جارية الثَّقفى ، حَليف بنى زُهْرة مئة بعير ، وأعطى عُيينة بن حصِنْ بن حُذيفة بن بَدْر مئة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمى مئة بعير . وأعطى مالك بن عوف النَّصْرىّ مئة بعير ، وأعطى صفوان بن أميَّة مئة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين .

وأعطى دون المئة رجالا من قُرَيش ، منهم مَخْرَمة بن نوفل الزُّهرىّ ، وعُمَير بن وهب الجُمَحِىّ ، وهشام بن عَمرو أخو بنى عامر بن لُؤَىّ ، لا أحفظ ما أعطاهم ، وقد عرفت أنها دون المئة ، وأعطى سعيد ابن يربوع بن عَنْكَشَةَ بن عامر بن مخزوم خمسينَ من الإبل ، وأعطى السَّهْمِىّ خمسين من الإبل .

قال ابن هشام : واسمه عدىّ بن قيس .

شعر ابن مرداس يستقل ما أخذ وإرضاء الرسول له :

قال ابن إسحاق : وأعطى عبَّاسَ بن مِرْداس أباعرَ فسَخِطها ، فعاتب فيها رسول الله ﷺ ، فقال عباس بن مِرْداس يُعاتب رسول الله ﷺ :

كـــانَتْ نِهَابـــا(١) تَلافَيْتُهـــا بكرّى على المُهْرِ فى الأجْرَعِ(٢)
وإيقاظِــى القَــوْمَ أنْ يَرْقُــدُوا إذا هَجَعَ النَّـاسُ لَـمْ أهْجَــعِ(٣)
فَأصْبَح نَهْبِــى ونَــهْبُ العُبَيْـــ ـــدِ(٤) بيـنَ عُيَيْنَـةَ والأقْــرَعِ
وقد كنتُ فى الحرْبِ ذَاْ تُدْرَأ(٥) فَلَـم أُعْـطَ شَيئـا ولـم أُمْنَــعِ
إلاَّ أفــــائِلَ(٦) أُعْطِيتُهَـــــا عَديـــدَ قَوَائمهـــا الأرْبَـــعِ
وماكَـــان حصِنٌ وَلا حـــابِسٌ يفوقـانَ شَيْخِـَى فـى المَجْمَـعِ(٧)
ومـاكُنْتُ دون امْـرِىءٍ منهمـا ومَـنْ تَضعِ اليــوْمَ لا يُرْفَــعِ

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : اذهبوا به ، فاقطعوا عنى لسانَه ، فأعطوْه حتى رَضِى ، فكان ذلك قطعَ لسانه الذى أمر به رسول الله ﷺ .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم : أن عبَّاس بن مرْداس أتى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : أنت القائل :

« فأصبح نَهْبى ونهبُ العُبَيْد بين الأقْرع وعُيَيْنة » ؟

فقال أبو بكر الصدّيق : بين عُيينة والأقرع ؛ فقال رسول الله ﷺ : هما واحد ؛ فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : « ومَا عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ ومَا يَنْبَغِى لَهُ » .

---

(١) نهابا : حمع بهب ، وهو ما ينهب ويغنم ؛ يريد الماشية والإبل .
(٢) والأحرع : المكان السهل .
(٣) هحع : نام . وقيل النوم بالليل خاصة (اللسان ص ٣٦٧ حـ ٨) .
(٤) العبيد : اسم فرس عناس بن مرداس .
(٥) دا تدرأ : ذا دفع عن قومى .
(٦) الأفائل : الصعار من الإبل ، الواحد أفيل . انظر لسان العرب
(٧) شيحى : يعنى أباه مرداسا . ويروى . « شيخى » بتشديد الياء ، يريد أباه وحده . وروى : « يفوقان مرداس » واستشهدوا به على ترك صرف ما ينصرف لضرورة الشعر .

توزيع غنائم حنين على المبايعين :

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم فى إسناد له ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عباس ، قال : بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرهم ، فأعطاهم يوم الجِعْرانة من غنائم حُنَين .

من بنى أميَّة بن عبد شمس : أبو سفيان بن حرب بن أميَّة ، وطليق بن سفيان بن أميَّة ، وخالد بن أسيد بن أبى العِيص بن أميَّة .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : شَيْبة بن عثمان بن أبى طَلحة بن عبد العُزَى بن عثمان بن عبد الدار ، وأبو السنابل بن بَعْكك بن الحارث ابن عُمَيْلة بن السَّبَّاق ابن عبد الدار ، وعِكرِمة بن عامر بن هشام ابن عبد منَاف ابن عبد الدار .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : زُهَير بن أبى أميَّة بن المُغيرة ، والحارث ابن هشام بن المغيرة ، وخالد بن هشام بن المغيرة ، وهشام بن الوليد ابن المغيرة ، وسُفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والسَّائب ابن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى عدىّ بن كَعْب : مطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة ، وأبو جَهم بن حُذيفة بن غانم .

ومن بنى جَمحَ بن عمرو : صفوانُ بن أميَّة بن خلف ، وأُحَيحة بن أميَّة ابن خلَف ، وعمير بن وهب بن خَلَف .

ومن بنى سَهْم : عدىّ بن قيس بن حُذافة .

ومن بنى عامر بن لؤىّ : حُوَيْطِبُ بن عبد العُزَّى بن أبى قَيس ابن عبد وُدَ هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيِّب .

ومن أفناء القبائل : من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة : نوفل بن معاوية ابن عروة بن صَخْر بن رزَنْ بن يَعْمَر بن نُفاثَةَ بن عدىّ بن الدِّيل .

ومن بنى قَيْس ، ثم من بنى عامر بن صعصعة ، ثم من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة : علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص ابن جعفر بن كلاب ، ولَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب .

ومن بنى عامر بن ربيعة : خالد بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو بن عامر ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وحرملة بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو .

ومن بنى نصر بن معاوية : مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع .

ومن بنى سُلَيْم بن منصور : عباس بن مِرْداس بن أبى عامر : أخو بنى الحارث بن بُهْثَة بن سُلَيم .

ومن بنى غطفان ، ثم من بنى فزارة عُيَينة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدر .

ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة : الأقرعَ بن حابس بن عِقال ، من بنى تميم بن دارم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ : أن قائلا قال لرسول الله ﷺ من أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت عُيينة بن حصن والأقرعَ بن حابس مِئَةً مِئَة ، وتركت جُعَيْل بن سُراقة الضّمْرى . فقال رسول الله ﷺ : أما والذى نفس محمد بيده لَجُعَيْل بن سراقة خير من طِلاع الأرض[1] ، كُلَّهم مثل عُيَيْنة بن حِصْن والأقرع بن حابس ، ولكنى تألَّفتهما ليُسْلما ، ووكَلْتُ جُعَيْل بنَ سُراقةَ إلى إسلامه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو عُبيدة بن محمد بن عَمَّار بن ياسِرٍ ، عن مقسم أبى القاسم ، مَوْلَى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتَلِيد ابن كلاب اللَّيثىّ ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت ، معلقا نعلَه بيده ، فقلنا له : هل حَضَرْتَ رسول الله ﷺ حين كلمه التميمى يومَ حُنَين ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بنى تميم ، يقال له ذو الخُوَيْصِرَة ، فوقف عليه وهو يعطى الناس ، فقال : يا محمد ، قد رأيتُ

(١) طلاع الأرض : ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل .

ما صنعتَ فى هذا اليوم ؛ فقال رسول الله ﷺ : أجل ، فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت ؛ قال : فغضب النبىّ ﷺ ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى ، فعند من يكون ! فقال عمر بن الخطّاب : يا رسول الله ، ألا أقتلُه ؟ فقال لا ، دَعْه فإنه سيكون له شيعة يتعمّقون فى الدين(١) حتى يخرجوا منه كما يخرج السَّهْمُ من الرَّمِيَّة يَنظر فى النَّصْل ، فلا يوجد شىء ، ثم فى القِدْح ، فلا يوجد شىء ، ثم فى الفُوقِ ، فلا يوجد شىء ، سَبَق الفَرْثَ والدَّمَ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن علىّ بن الحُسين أبو جعفر بمثل حديث أبى عُبيدة ، وسماه ذا الخُوَيْصِرَة .

قال ابن هشام : حدثنى زياد بن عبد الله ، قال : حدثنا ابن إسحاق : قال : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لَبِيد ، عن أبى سعيد الخُدْرِىّ ؛ قال : لما أعْطى رسول الله ﷺ ما أعْطَى من تلك العَطايا ، فى قريش وفى قبائل العرب ، ولم يكن فى الأنصار منها شىءٌ ، وجدَ هذا الحىُّ من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة(٢) حتى قال قائلهم : لَقَدْ لَقِى واللهِ رسولُ الله ﷺ قومَه ، فدخل عليه سعد بن عُبادة ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحىّ من الأنصار قد وَجَدوا عليك فى أنفسهم ، لما صنعت فى هذا الفيىء الذى أصبتَ ، قَسَمْت فى قومك ، وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب ، ولم يك فى هذا الحىّ من الأنصار منها شىء . قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ، ما أنا إلاّ من قوْمى . قال : فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة(٣) . قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة . قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردّهم . فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحىّ من الأنصار ، فأتاهم رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم

---

(١) يتعمقون فى الدين : يتتبعون أقصاه .

(٢) القالة : الكلام الردىء .

(٣) الحظيرة : شبه الدريبة التى تصنع للابل والماشية لتمنعها ، وتكف عنها العوادى

قال : يا معشر الأنصار : ما قالَةٌ بلغتنى عنكم ، وجِدَة[1] وجَدتموها علىّ فى أنفسكم ؟ ألم آتِكم ضُلالًا فهداكم الله ، وعالةً[2] فأغناكم الله ، وأعداء فألَّف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، الله ورسوله أَمَنُّ[3] وأفْضَل . ثم قال : ألا تجيبوننى يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفَضْل . قال ﷺ : أما والله لو شئتم لقلتم ، فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ : أتَيْتَنا مُكَذَّبا فصدَّقناك ، ومخذولا[4] فنَصَرْناك ، وطريدا فأويناك ، وعائلا فآسيناك[5] . أوجَدْتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لُعاعَةٍ[6] من الدّنيا تألَّفْتُ بها قوْما ليُسْلِموا ، ووكلتكم إلى إسلامِكم ، ألا ترضوْن يا معشر الأنصار ، أن يذهب الناسُ بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رِحالكم ؟ والذى نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعْبا[7] وسَلَكت الأنصارُ شِعْبا ، لسلكتُ شِعْبَ الأنصار . اللَّهُمَّ ارْحَم الأنصار ، وأبناءَ الأنصار ، وأبناءَ أبناء الأنصار .

قال : فبكى القوم حتى أخْضَلُوا لِحاهُم[8] ، وقالوا : رضينا برسول الله قَسْما وحظا . ثم انصرف رسول الله ﷺ ، وتفرّقوا .

---

(١) كذا فى الأصول . قال أبو ذر : « الموجدة : العتاب ؛ ويروى جدة ، وأكثر ما تكون الحدة فى المال » .

(٢) عالة : جمع عائل ، وهو الفقير . عال الرجل يعول إذا افتقر . لسان العرب ص ٤٨٢ جـ ١١ .

(٣) أمن : من المنة ، وهى النعمة

(٤) المخذول : المتروك . انظر لسان العرب ص ٢٠٢ جـ ١١ .

(٥) آسيناك : أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا .

(٦) اللعاعة : بقلة خضراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .

(٧) الشعب : الطريق بين جبلين لسان العرب جـ ١ .

(٨) أخضلوا لحاهم : بلوها بالدموع ، أخضل الثوب دمعة : بله . لسان العرب ص ٢٠٨ جـ ١١ .

عمرة الرسول من الجعرانة
واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة
وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسولُ الله ﷺ من الجِعْرانة معتمرا ، وأمر ببَقايا الفىء فحُبِس بمَجَنَّة ، بناحية مَرّ الظَّهْران ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عُمْرته انصرف راجعا إلى المدينة ، واستخلف عَتَّاب بن أسِيدٍ على مكَّة[1] وخَلَّف معه مُعاذ بن جَبَل ، يفقِّه الناس فى الدين ، ويعلِّمهم القرآن ، واتُّبِع رسولُ الله ﷺ ببقايا الفىء .

قال ابن هشام : وبلغنى عن زيد بن أسْلم أنه قال : لما استعمل النبىّ ﷺ عَتَّابَ بن أسيد على مكَّة رزقه كلَّ يوم درهما ، فقام فخطب الناس ، فقال : أيها الناس ، أجاعَ الله كَبد من جاع على درهم ، فقد رزقنى رسولُ الله ﷺ درهما كلّ يوم ، فليست بى حاجة إلى أحد .

قال ابن إسحاق : وكانت عُمرة رسول الله ﷺ فى ذى القَعْدة ، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فى بقيَّة ذى القعدة أو فى ذى الحِجَّة .

قال ابن هشام : وقَدِم رسولُ الله ﷺ المدينة لستّ ليال بقين من ذى القعدة فيما زعم أبو عمرو المدنى .

قال ابن إسحاق : وحجّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحُجّ عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عَتَّاب بن أسِيد ، وهى سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شِرْكِهِم وامتناعهم فى طائفهم ، ما بين ذى القَعدة إذ انصرف رسول الله ﷺ إلى شهر رمضان من سنة تسع .

---

(١) وكان عمر عتاب إذ ذاك نحو عشرين سنة . (راجع شرح المواهب) .

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسولُ الله ﷺ من مُنْصَرفِه عن الطائف كتب بُجير بنُ زُهَير ابن أبى سُلْمَى إلى أخيه كَعْب بن زُهير يُخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالا بمكة ، ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقى من شُعراء قريش ، ابنُ الزِّبَعْرَى وهُبَيْرَة بن أبى وَهْب ، قد هربوا فى كلّ وجه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة ، فطِرْ إلى رسول الله ﷺ ، فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائبا ، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجائك[1] من الأرض ؛ وكان كَعْب بن زُهَير قد قال :

ألا أبْلِغا عَنى بُجَيْراً رِسالةً ... فهلْ لك فيما قلتُ وَيْحكَ هَلْ لَكا ؟[2]

فبن لنا إنْ كنتَ لستَ بفاعِلٍ ... عَلى أىِّ شىءٍ غير ذلك دَلَّكا[3]

على خُلُقٍ لم أُلْفِ يَوْما أبا لَهُ ... عَلَيْهِ وما تُلْفِى عَلَيْهِ أبا لَكا

فإن أنتَ لم تفعلْ فلستُ بآسِفٍ ... ولا قائل إمَّا عَثَرْتَ : لَعَالَكا[4]

سقاك بها المَأمونُ[5] كأسا رَوِيَّةً ... فأنهَلَكَ المأمونُ بها وعَلَّكا[6]

قال : وبعث بها إلى بُجير ، فلما أتتْ بُجيرا كَرِه أن يكتُمَها رسولَ الله ﷺ ، فأنشده إياها ، فقال رسول الله ﷺ لما سمع « **سقاك بها المأمون** » . صدق وإنه لكَذوب ، أنا المأمون . ولما سمع : « على خُلُق لم تُلْف أمًا ولا أبا عليه » قال : أجل ، لم يُلْف عليه أباه ولا أمَّه[7] .

---

(١) إلى نجاتك ، أى إلى محل ينجيك منه .

(٢) أبلغا : خطاب لاثنين ، والمراد الواحد ، أو خطاب لواحد مؤكد بنون توكيد خفيفة ، قلبت فى الوصل على نية الوقف .

(٣) فبين لنا : أى اذكر لنا مرادك من بقائك على دينك .

(٤) لعا لك : كلمة تقال للعاثر ، وهى دعاء له بالإقالة من عثرته .

(٥) قال ابن هشام : ويروى (المأمور) .

(٦) روية (فعيلة بمعنى مفعلة ، بضم الميم وكسر العين) أى مروية . والنهل . الشرب الأول ، من : الشرب الثانى . والمأمون : يعنى النبى ﷺ ، كانت قريش تسميه به وبالأمين .... قال الزرقانى : « وفى رواية غير ابن إسحاق « المحمود » وهو من أسمائه ﷺ .

(٧) زاد الزرقانى نقلا عن ابن الأنبارى أن النبى ﷺ قال : من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله

قدوم كعب على الرسول وقصيدته اللامية :

قال ابن إسحاق : فلما بلغ كَعْبا الكتابُ ضاقت به الأرض . وأشفق على نفسه وأرجف[1] به منْ كان فى حاضره[2] من عَدُوّه ، فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شىء بُدّا ، قال قصيدته التى يمدح فيها رسولَ الله ﷺ ، وذكر فيها خوفَه وإرجاف الوشاة به من عدوّه ، ثم خرج حتى قَدِم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جُهينة ، كما ذُكر لى ، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح ، فصلى مع رسول الله ﷺ ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسولُ الله ، فقم إليه فاستأمِنْهُ . فذُكر لى أنه قام إلى رسول الله ﷺ ، حتى جلس إليه ، فوضع يده فى يده ، وكان رسول الله ﷺلا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زُهَير قد جاء ليستأمِنَ منك تائبا مُسلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم ؛ قال : أنا يا رسول الله كعب بن زُهَير .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله ، دعنى وعدوَّ الله أضرِبْ عنقه ؛ فقال رسولُ الله ﷺ : دعه عنك ، فإنه قد جاء تائبا ، نازعا (عما كان عليه) . قال فغضب كعبٌ على هذا الحىّ من الأنصار ، لِمَا صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال فى قصيدته التى قال حين قَدِم على رسول الله ﷺ :

---

(١) أرجف به : خاض فى أمره بما يسوءه ويفزعه . لسان العرب ص ١١٣ جـ ٩ .

(٢) حاضره : حيه .

تَسْعَــى الغُواةُ[1]جَنابَيهـا وقَوْلُهُـــم ... إنَّك يا ابنَ أبى سُلْمَى لَمَقْتُــولُ

وقـالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنتُ آمُلُــه[2] ... لا أُلْهِيَنَّكَ إنـى عنكَ مَشْغُــولُ

فقُلْتُ خَلُّوا سَبيلـى[3] لا أبا لكـمُ ... فكُلُّ ما قَدَّر الرَّحمنُ مَفْعُــولُ

كُلُّ ابنِ أُنثى وإن طالت سلامتُه ... يَوْماً على آلَةٍ حَدْباءَ مَحمــولُ[4]

نُبِّئْتُ أن رسولَ اللهِ أوعَدنــى ... والعَفْو عند رسولِ الله مأْمُولُ[5]

مَهْلاً هَداك الذى أعْطاك نافِلَةَ الـــ ... ـــقرآنِ فيها مَواعيظٌ وتَفْصِيلُ[6]

لا تأخُذَنِّـى بأقْوَالِ الوُشاةِ ولَـمْ ... أُذْنِبْ ولو كثُرَت فىَّ الأقـاويلُ[7]

لقَد أقُومُ مَقاماً لـو يقُومُ بـه ... أرَى وأسمعُ ما لو يَسْمعُ الفيلُ[8]

لظَلَّ يَرْعَدُ إلا أنْ يكـون لـه ... مِنَ الـرَّسول بـإذْنِ اللهِ تَنْـويلُ[9]

---

(١) الغواة : المفسدون ، حمع غاو . جنابيها : حواليها ، تثنية جناب (بفتح الحيم) . ومقتول : أى متوعد بالقتل ، لأن النبى ﷺ كان قد أهدر دمه .

(٢) آمله : أؤمل خيره وأترحى إعانته فى الملمات . وألهينك : أشغلنك . (لا) فيها : نافية ، والتوكيد قليل مع النفى . والمعنى : لا أشغلك عما أنت فيه من الخوف والفزع ، بأن أسهله عليك وأسليك ، فاعمل لنفسك ، فإنى لا أغنى عنك شيئا ، وقد يكون الكلام مثبتا ، واللام فيه للقسم ، أى والله لأجعلنك مشغولا عنى ، فلا تطلب منى نصرة أو معونة .

(٣) خلوا سبيلى : اتركوه . وقوله . لا أبا لكم : ذم لهم ، لكونهم لم يغنوا عنه شيئا ، أو مدح لهم على سبيل التهكم والاستهزاء انظر لسان العرب ص ٢١٤ جـ ١١ .

(٤) الآلة الحدباء : النعش الذى يحمل عليه الميت يقول : كل إنسان صائر إلى الموت طالت سلامته أو قصرت ، فلا يشمت بى أحد إذا هلكت .

(٥) نبئت : أخبرت . ويروى : « أنبئت » . وأوعدنى : تهددنى بالقتل . ومأمول : مرجو ومطموع فيه .

(٦) هداك : .... أو هداك الله للصفح والعفو عنى ، فيكون على هذا البيت داعيا لنفسه . والنافلة : الزيادة ، وسمى القرآن نافلة لأنه عطية زائدة على النبوة .

(٧) هذا البيت من تتمة الاستعطاف والتلطف فى القول ، فلا ، وإن كانت ناهية بحسب وضعها ، لكن المراد منها التضرع والتذلل . والمعنى : لا تستبح دمى بسبب أقوال الوشاة الساعين بينى وبينك بالإفساد والكذب والبهتان .

(٨) لقد أقوم : معناه : والله لقد أقوم مقاما ، فهو جواب قسم محذوف . ويروى : « إنى أقوم مقاما » والأولى أبلغ للقسم . والمقام (هنا) مجلس النبى . والمراد بالقيام فيه حضوره ، والمعنى على المضى أى لقد حضرت مجلسا .

(٩) يرعد : تأخذه الرعدة : ويصح بناؤه للمفعول . والتنويل : التأمين . والمعنى : لصار الفيل يضطرب ويتحرك من الفزع ، وإنما خصه بذلك لأنه أراد التعظيم والتهويل ، والفيل أعظم الدواب جثة وشأنا . إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تأمين يسكن به روعه ، وتثبت به نفسه . ورواية هذا البيت فى أ إنظر لسان العرب ص ١٨٠ ج ٣ :

لظل ترعد من وجد بوادره ... إن لم يكن من رسول الله تنويل

والوجد : شدة الحزن . والبوادر : اللحم الذى بين العنق والكتف .

حتى وضَعتُ يَمينِى ما أُنازِعُه	فى كفِّ ذى نَقِماتٍ قِيلُه القيلُ[1]
فَلَهْوَ أخوفُ عندى إذْ أكلِّمُه	وقيلَ إنَّكَ مَنْسوبٌ ومَسْئُولُ[2]
منْ ضَيْغَمٍ بضَراءِ الأرضِ مُخْدَرُهُ	فى بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونهُ غِيلُ[3]
يَغْدُو فيُلْحِمِ ضِرْغامين عيشُهما	لحمُ من النَّاسِ مَعْفورٌ خَراديلُ[4]
إذا يُساوِرُ قِرناً لا يَحِلّ لهُ	أن يترُكَ القِرْنَ إلا وهو مَفْلُولُ[5]
منه تَظَلّ سِباعُ الجوّ نافرةً	ولا تَمشّى بواديه الأراجيلُ[6]

(١) حتى وضعت : أى فوضعت . وخص اليمين لأن الأشياء الشريفة تفعل باليمين . ولا أنازعه : أى حال كونى طائعا له ، راضيا بحكمه ، فى غير منازع له ولا مخالف . والنقمات (بفتح فكسر) جمع نقمة والمراد بصاحب النقمات . النبى ﷺ ، لأنه كان ينتقم من الكفار ، فكان شديد السطوة والإغلاظ فيهم . وقيله : قوله . والمراد أن قوله معتد به لكونه نافذا ماضيا . يشير بالبيت إلى حاله مع النبى ﷺ حين قدم عليه وهو فى المسجد ، ووضع يده فى يده يستأمنه .

(٢) أخوف : أشد إخافة وإرهابا . ومنسوب : أى إلى أمور صدرت منك ، كقولك لأخيك بجير : « سقاك بها المأمون » ... الخ . ومسئول : أى عن سببها ، أو مسئول عن سبك ، فكأنه يقول : على قبيلتك التى تجيرك منى ؟ ومن قومك الذين يعصمونك منى ؟ فقد تبرأوا منك ، وتخلوا عنك . ويروى « لذلك أهيب » و « فذاك أهيب » و « لكان أهيب » و « فلهوأ خوف » . ويروى : « أرهب » مكان « أهيب » . انظر لسان العرب ص ٩٩ ج ٩

(٣) ضيغم . أسد . وضراء الأرض : الأرض التى فيها شجر . والمخدر : غابة الأسد . وعثر (بفتح العين وتشديد المثلثة) : اسم مكان مشهور بكثرة السباع . والغيل : الشجر الكثير الملتف . وغيل دونه غيل : أى أجمة تقربها أجمة أخرى ، فتكون أسدها أشد توحشا ، وأقوى ضراوة . يريد أن رسول الله ﷺ أهيب من أسود عثر فى آجامها . وفى رواية « من خادر » . والخادر · الأسد الداخل فى خدره ، وهو حينئذ يكون أشد قوة وبأسا .

(٤) يغدو : يخرج فى أول النهار يتطلب صيدا لشبليه . وفى رواية : « يغدو » بالذال . أى يطعم . ويلحم : يطعمهما اللحم . والضرغام : الأسد . ويريد بالضرغامين شبليه . ومعفور : ملقى فى العفر ، وهو التراب ، ووصفه بذلك لكثرته وعدم إكتراثه لشبعه . وخراديل : قطع صغار . يصف هذا الأسد بكثرة الافتراس ، وعظم الاصطياد . انظر لسان العرب ص ١١٨ جـ ١٥ .

(٥) يساور : يواثب . والقرن (بكسر القاف) : المقاوم فى الشجاعة . وفى ذكر القرن إشارة إلى أن هذا الأسد لا يساور ضعيفا ولا جبانا ، وإنما يساور مقاومه فى الشجاعة ، ومساويه فى القوة . والمفلول : المكسور المهزوم . انظر لسان العرب ص ٣٨٥ جـ ٤ .

(٦) الجو : اسم موضع ، أو هو ما اتسع من الأودية ، أو ما بين السماء والأرض . ونافرة : بعيدة ، ويروى « ضامزة » والضامز : الذى يمسك جرته بفيه ولا يجتر ويروى « ضامرة » أى جياعا لعدم قدرتها على الاصطياد . والأراجيل : الجماعات من الرجال ، وهو جمع أرجال ، وأرجال · جمع رجل ، ورجل : اسم جمع لراجل ، يصف هذا الأسد بالقوة ، حتى خافته السباع والناس .

ولا يـزَالُ بوَاديـه أخُـو ثِقَـةٍ   مُضَرَّجُ البزّ والدُّرْسانِ مَأكولُ(١)
إنّ الرَّسولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بـه   مُهَنَّدٌ من سُيوفِ الله مَسلـولُ(٢)

قال ابن هشام : قال كَعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله ﷺ المدينة . وبيته : « حَرْفٌ أخوها أبوها » وبيتُه : « يمشى القُرَاد » ، وبيته : « عَيْرانةٌ قُذِفَتْ » وبيته : « تُمِر مثْلَ عَسِيبِ النَّخْل » ، وبيته : « تَفْرِى اللَّبان » ، وبيته : « إذا يُساوِرُ قِرْنا » ، وبيته : « وَلا يزال بواديه » : عن غير ابن إسحاق .

استرضاء كعب الأنصار بمدحه إياهم :

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عُمَر بن قَتادَة : فلما قالَ كَعْبٌ : « إذا عرَّد السُّودُ التَّنابيل » ، وإنما يريدُنا معْشَرَ الأنصارِ ، لِمَا كان صاحبنا صنعَ به ما صنع ، وخصَّ المهاجِرين من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بمِدحته ، غضِبَت عليه الأنصار ؛ فقال بعد أن أسْلم يَمْدَحُ الأنصار ، ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ ، وموضِعَهُم من اليَمَن :

مَن سَرّهُ كرمُ الحَياة فلا يزَلْ   فى مِقْنَب(٣) من صالحى الأنْصَارِ
ورِثُوا المكارِمَ كابِرًا عَن كَابرٍ   إنَّ الخِيارَ هُـمُ بنُـو الأخيْـارِ
المُكْرِهيـن السَّمْهـرِىَّ بـأذرعٍ   كَسَوَالِـفِ الهِنـدىّ غيـر قصار(٤)

---

(١) أحو ثقة : الشجاع الواثق نشحاعته . ومضرح : محضب بالدماء . ويروى : « مطرح » ، أى مطروح . والىر : السلاح والدرسان (نصم الدال) : أحلاق التياب ، الواحد دريس . ومأكول : أى طعام لذلك الأسد . يريد أنه لا يمر نوادى هدا الأسد شجاع إلا أكله وطرح ثيابه التى مزقها ، فلا يولع إلا نالشحعان ، ولا يلتفت لعيرهم .

(٢) يستصاء به : يهتدى نه إلى الحق . ويروى : « لسيف » فى مكان « لىور » وقد كانت عادة العرب إدا أرادوا استدعاء من حولهم من القوم أن يشهروا السيف الصقيل ، فيبرق ، فيطهر لمعانه من نعد فيأتون إليه ، مهتدين نوره ، مؤتمين نهديه . شنه الرسول ندلك . والمهند : السيف المطنوع فى الهند ، وسيوف الهند قديما أحسن السيوف . ومن سيوف الله : أى من سيوف عظمها الله ننيل الظفر والانتقام . والمسلول : المحرح من غمده .

(٣) المقنب : الحماعة من الحيل : يريد نه القوم على طهور حيادهم . من الثلاثين إلى الأربعين – لسان العرب ص ٦٩٠ حـ ١ .

(٤) السمهرى : الرمح . وسوالف الهندى : يريد حواشى السيوف ؛ وقد يراد نه الرماح أيصا ، لأنها قد تنسب إلى الهند .

والنَّاظِرِيـــنَ بأعْيُــنٍ مُحْمَـــرَّةٍ كالجَمـرْ غيـر كَليلـة الأبْصارِ
والبائعيـــنَ نفُوسَهُـــم لنبيِّهـــم للْمَـوْتِ يـومَ تعانُـــقٍ وكِـــرَارِ
والقائدينَ النَّـاسَ عـن أدْيانِهـمْ بالمَشْرَفِـىّ وبالقَنــا الخَطَّـــارِ(١)
يتطهَّـرُون يَرَوْنَــهُ نُسْكـا لهُــم بدمـاء مَنْ عَلِقُوا مِـنَ الكُفَّـارِ
دَرِبـوا كما دَرِبَتْ ببطْـن خَفِيَّــة غُلْبُ الرقاب من الأسود ضَوَارِى(٢)

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده : « بانتْ سُعادُ فقلبى اليوْم متبول » : لَوْلا ذكرت الأنصار بخير ، فإنهم لذلك أهل ، فقال كعب هذه الأبيات ، وهى فى قصيدة له .

قال ابن هشام : وذكر لى عن علىّ بن زيد بن جُدعْان أنه قال : أنشد كَعْب بن زُهَير رسول الله ﷺ فى المسجد :

« بانَتْ سُعادُ فقلبى اليومَ مَتْبول »

غـزوة تبـوك
فى رجب سنة تسع

أمر الرسول الناس بالتهيؤ لتبوك :

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثمَّ أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذى الحِجَّة إلى رجب ، ثم أمر الناسَ بالتَّهيُّؤ لغزو الروم . وقد ذكر لنا الزهرى ويزيد بن رُومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كلّ حدث فى غزوة تبوكَ ما بلغه عنها ، وبعضُ القوم يحدّث ما لا يحدّث بعض : أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتَّهيُّؤ لغزو

(١) المشرفى : السيف . والقنا . الرماح ، جمع قناة . والخطار . المهتز . وهذا البيت ساقط من أ .
(٢) دربوا : تعودوا . وخفية : اسم مأسدة . وغلب الرقاب : غلاظ الأعناق وضوارى : متعودات الصيد والافتراس

الروم ، وذلك فى زَمان من عُسْرة الناس ، وشِدّة من الحَرّ ، وجذْبٍ من البلاد . وحين طابت الثمار ، والناس يُحبُّون المُقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشُّخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ؛ وكان رسول الله ﷺ قَلَّما يخرج فى غزوة إلا كَنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يَصْمِد له[1] ، إلا ما كان من غزوة تَبوكَ ، فإنه بيَّنها للناس ، لبُعد الشُّقَّة[2] ، وشدة الزمان ، وكثرة العدوّ الذى يصْمد له ، ليتأهب الناس لذلك أُهْبَته ، فأمر الناس بالجِهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

تخلف الجد وما نزل فيه :

فقال رسولُ الله ﷺ ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجدّ بن قيس أحد بنى سَلِمَة : يا جَدّ ، هل لك العام فى جِلاد بنى الأصفر[3] ؟ فقال : يا رسول الله ، أوَ تأذنُ لى ولا تَفْتِنى ؟ فوالله لقد عَرَف قومى أنه ما من رجل بأشدّ عُجْبا بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيتُ نساءَ بنى الأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : قد أذنتُ لك . ففى الجدّ بن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائذَنْ لِى وَلا تَفْتِنِّى ، ألا فِى الفِتْنِةِ سَقَطُوا ، وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكَافِرِينَ** ﴾[4] . أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة أكبر ، بتخلفه عن رسول الله ﷺ ، والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول تعالى : ﴿ **مِن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ** ﴾[5] .

ما نزل فى القوم المثبطين :

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تَنْفِروا فى الحرّ ، زهادة فى الجهاد ، وشكًّا فى الحقّ ، وإرجافا برسول الله ﷺ ، فأنزل الله تبارك

---

(١) يصمد : يقصد ، صمد يصمد صمداً وصمد إليه كلاهما قصده .
(٢) الشُقّة : السفر البعيد ، والشُّقَّة : بُعْدُ مسير إلى الأرض البعيدة . انظر لسان العرب ص ١٨٤ جـ ١٠ .
(٣) بنى الأصفر : يريد الروم .
(٤) سورة التوبة الآية ٤٩ .
(٥) سورة إبراهيم الآية ١٦

وتعالى فيهم : ﴿ وقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِى الحَرِّ ، قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أشدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[1] .

قال ابن هشام : وحدثنى الثقة عمن حدّثه ، عن محمد بن طلحة ابن عبد الرحمن عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : بلغ رسولَ الله ﷺ ، أنّ ناسا من المُنافقين يجتمعون فى بيت سُوَيْلِم اليهودىّ ، وكان بيته عند جلسوم[2] ، يُثَبِّطونَ النَّاسَ عن رسول الله ﷺ فى غزوة تَبُوكَ ، فبعث إليهم النبىُّ ﷺ طلحةَ بن عُبيد الله فى نفَر من أصحابه ، وأَمَرهُ أن يُحرق عليهم بيت سُويلم ، ففعل طلحة . فاقتحمَ الضَّحاك بنُ خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه ، فأفلتوا .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ جَدّ فى سفره ، وأَمَر الناس بالجهاز والانكِماش ، وحضّ أهلَ الغنى على النَّفقة والحُملان[3] فى سبيل الله ، فحَمَل رجالٌ من أهل الغنى واحتسبوا[4] ، وأنفقَ عثمان بن عفَّان فى ذلك نفقة عظيمة ، لم ينفق أحدٌ مثْلَها .

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به : أن عثمان بن عفَّان أنفق فى جيش العسرة فى غزوة تَبُوك ألف دينار ؛ فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارضَ عن عثمان ، فإنى عنه راض .

شأن البكائين :

قال ابن إسحاق : ثم إن رجالا من المسلمين أتَوْا رسولَ الله ﷺ ،

---

(١) سورة التوبة آية ٨١ ، ٨٢ .

(٢) جلسوم : اسم موضع .

(٣) الحُمْلان . مصدر حمل يحمل ، وقد يراد به : ما يحمل عليه من الدواب . انظر لسان العرب ص ١٧٤ .

(٤) احتسبوا : الحَسْبُ والحَسَبُ : قَدْرُ الشيء ، كقولك الأجر بحسب ما عَمِلت واحتسبوا : أخرجوا ذلك حسبة ، أى جعلوا أجر ما بذلوا عند الله . انظر لسان العرب ص ٣١١ جـ ١ .

وهم البكَّاءون ، وهم سبعةُ نفَر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو ابن عَوف : سالمُ بن عُمَير ، وعُلْبَة بن زيد ، أخو بنى حارثة ، وأبو ليْلى عبدُ الرحمن بن كَعْب ، أخو بنى مازن بن النَّجَّار ، وعمرو بن حُمام ابن الجَموح ، أخو بنى سَلمة ، وعبدُ الله بن المغفل المُزَنّى - وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزنّى - وهَرَمْى بن عبد الله ، أخو بنى واقف ، وعِرْباضُ بن ساريةَ الفَزَارىّ . فاستحملوا[1] رسول الله ﷺ ، وكانوا أهْلَ حاجة ، فقال : لا أجد ما أحْمِلُكم عليه ، فتولَّوْا وأعينهم تفيض من الدّمع حَزَنا ألاّ يجدوا ما يُنفقون .

قال ابن إسحاق : فبلغنى أنَّ ابنَ يامين بن عُمَيْر بن كَعْب النَّضْرى لَقىْ أبا ليْلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مُغَفَّل وهما يبكيان ، فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوّى به على الخروج معه ؛ فأعطاهما ناضِحا[2] له ، فارتحلاه ، وزودهما شيئا من تمر ، فخرجا مع رسول الله ﷺ .

شأن المعذرين :

قال ابن إسحاق : وجاءه المعذّرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذرهم الله تعالى ، وقد ذُكر لى أنهم نَفَرٌ من بنى غفار .

تخلف نفر عن غير شك :

ثم استَتَبّ[3] برسول الله ﷺ سفره ، وأجمعَ السيرَ ، وقد كان نفرٌ من المسلمين أبطأتْ بهم النيةُ عن رسول الله ﷺ ، حتى تخلفوا عنه ، عن غير شكّ ولا ارتياب ؛ منهم : كعبُ بن مالك بن أبى كعب ، أخو بنى سَلمة

---

(١) استحملوه : طلبوا منه ما يحملهم عليه . انظر لسان العرب ص ١٧٥ حـ ١١ .

(٢) الناضح : البعير أو الثور أو الحمار الذى يستقى عليه الماء . انظر لسان العرب ص ٦١٩ حـ ٢ .

(٣) استتب : تتابع واستمر . انظر لسان العرب ص ٢٢٧ حـ ١ .

ومُرارة بن الربيع ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أميَّة ، أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة ، أخو بنى سالم بن عوْف . وكانوا نفر صِدق ، لا يتهمون فى إسلامهم .

خروج الرسول واستعماله على المدينة :

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكَرَه على ثُنيَّة الوداع[١] .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمد بن مَسْلَمَةَ الأنصارىّ .

وذكر عبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْدىّ عن أبيه : أن رسول الله ﷺ استعمل على المدينة ، مخْرجه إلى تَبوكَ ، سباعَ بن عُرْفُطَة .

تخلف المنافقين :

قال ابن إسحاق : وضرب عبدَ الله بن أبىّ معه على حِدَة عسكرَه أسفل منه ، نحو ذُباب[٢] ، وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين . فلما سار رسول الله ﷺ تخلَّف عنه عبد الله بن أبىّ ، فيمن تخلَّف من المنافقين وأهل الرَّيْب .

شأن على بن أبى طالب :

وخَلَّف رسولُ الله ﷺ علىّ بن أبى طالب ، رضوان الله عليه ، على أهْلِه ، وأمَرَه بالإقامة فيهم ، فأرجَف به المنافقون ، وقالوا : ما خلَّفه إلا استثقالا له ، وتخفُّفا منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ علىّ بن أبى طالب ، رضوان الله عليه سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجُرْف[٣] فقال : يا نبىّ الله ، زَعَم المنافقون أنَّك إنَّما خلَّفتنى أنك استَثْقَلْتنى وتخفَّفت منى ؛ فقال : كذبوا ، ولكننى خَلَّفْتُك لما تركتُ

---

(١) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة ، يطؤها من يريد مكة .
(٢) ذباب : (بالكسر والضم) : جبل المدينة .
(٣) الجرف : (بالضم ثم السكون) : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

ورائى ، فارجع فاخْلُفِنى فى أهلى وأهلك ، أفلا ترضى يا علىّ أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبىّ بعدى ، فرجع علىّ إلى المدينة ؛ ومَضَى رسولُ الله ﷺ على سفره .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمدُ بن طلحة بن يَزيد بن رُكانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبى وقَّاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعلىّ هذه المقالة .

شأن أبى خيثمة :

قال ابن إسحاق : ثم رجع علىّ إلى المدينة ، ومضى رسول الله ﷺ على سفره ، ثم إن أبا خَيْثمةَ رجع بعد أن سار رسولُ الله ﷺ أيَّاما إلى أهله فى يوم حارّ ، فوجَد امرأتين له فى عريشين[1] لَهُما فى حائِطه[2] ، قد رشَّت كُل واحدة منهما عريشها ، وبرَّدت له فيه ماءً ، وهيأت له فيه طعاما . فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله ﷺ فى الضِّحِّ[3] والرّيح والحرّ ، وأبو خيثمة فى ظلّ بارد ، وطعام مهيَّأ ، وامرأةٍ حسناء ، فى ماله مقيم ، ما هذا بالنَّصَف ! ثم قال : والله لا أدخلُ عريش واحدة منكما حتى ألحَق برسول الله ﷺ ، فهيئا ؛ لى زادا ، ففعلتا . ثم قدَّم ناضحه فارتحله ، ثم خرج فى طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تَبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمَيرُ بن وهب الجُمحىّ فى الطريق ، يطلب رسول الله ﷺ ، فترافقا ، حتى إذا دنوَا من تبوك . قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنبا ، فلا عليك أن تَخَلَّفَ عنى حتى آتى رسول الله ﷺ ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مُقْبل ؛ فقال رسولُ الله ﷺ : كن أبا خيثمة ؛

---

(١) العريش : شبيه بالخيمة ، يظلل ليكون أبرد الأخبية والبيوت .

(٢) الحائط : البستان من النخيل . انظر لسان العرب ص ٢٨٠ جـ ٧ .

(٣) الضح : (بالكسر) : الشمس ، وقيل هو ضوؤها . انظر لسان العرب ص ٥٢٤ جـ ٢ .

فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة . فلما أناخ أقبل فسلَّم على رسول الله ﷺ ؛ فقال له رسول الله ﷺ : أَوْلى لك[1] يا أبا خيثمة . ثم أخبرَ رسولَ الله ﷺ الخبر ؛ فقال له رسول الله ﷺ خيرا ، ودعا له بخير .

النبى والمسلمون بالْحِجْر :

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ حين مرّ بالحِجْر نزلها ، واستقَى الناسُ من بئرها . فلما راحوا قال رسول الله ﷺ : لا تشربوا من مائها شيئا ، ولا تتوضئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعْلِفُوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئا ، ولا يخرُجنَّ أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ ، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدُهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خُنق على مذهبه ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبلى طيىء . فأُخْبِر بذلك رسولُ الله ﷺ ، فقال : ألم أنهَكم أن يخرج منكم أحدٌ إلا ومعه صاحبهُ ! ثم دعا رسول الله ﷺ للَّذِى أصيب على مذهبه فشفى ؛ وأما الآخر الذى وقع بجبلى طيىء ، فإن طيِّئًا أهدته لرسول الله ﷺ حين قَدِم المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عباس بن سَهل ابن سعد السَّاعدىّ ؛ وقد حدثنى عبدُ الله بن أبى بكر أنْ قد سمَّى له العبَّاسُ الرجلين ، ولكنه استوْدَعه إياهُمَا ، فأبى عبد الله أن يسمِّيَهُما لى .

قال ابن هشام : بلغنى عن الزهرى أنه قال : لما مرّ رسول الله ﷺ بالحِجْر سجَّى ثوبه على وجهه[2] ، واستحَثَّ[3] راحلته ، ثم قال : لا تدخلوا بيوتَ الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفا أن يُصيبكم مثلُ ما أصابهم .

---

(١) أولى لك . كلمة فيها معنى التهديد وهى اسم سمى به الفعل ، ومعناها فيما قال المفسرون : « دنوت من الهلكة »

(٢) سجى ثوبه على وجهه : غطاه به . انظر ترتيب القاموس المحيط ص ٥٢٦ جـ ٢ .

(٣) استحث راحلته : استعجلها . الحثُ : الاستعجال . انظر لسان العرب ص ١٢٩ جـ ٢ .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكَوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فدعا رسولُ الله ﷺ ، فأرسل الله سبحانه سحابةً فأمطرت حتى ارْتوَى الناس ، واحتملوا حاجَتهم من الماء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النِّفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ، إنْ كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمِّه وفى عشيرته ، ثم يَلبسُ بعضُهم بعضا على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرنى رجالٌ من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقُه ، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار ؛ فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رسولُ الله ﷺ حين دعا ، فأرسل الله السَّحابةَ ، فأمطرَت حتى ارْتوَى الناس ، قالوا : أقبلنا عليه نقول : وْيحَك ، هل بعد هذا شىء ! قال : سحابةٌ مارَّة .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته ، فخرج أصحابُه فى طلبها ، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه ، يُقال له عُمارة بن حزم ، وكان عقَبِيا بَدْرِيًا ، وهو عم بنى عمرو ابن حزم ، وكان فى رَحْله زيدُ بن اللُّصيت القَيْنُقاعى ، وكان منافقا .

قال ابن هشام : ويقال : ابن لُصيب (بالباء) .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قالوا : فقال زيد بن اللُّصَيت ، وهو فى رحل عُمارة وعمارة عند رسول الله ﷺ : أليس محمد يزعم أنه نبى ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده : إن رجلا قال : هذا محمَّدٌ يخبركم أنه نبىّ ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ، وإنى والله ما أعلم إلا ما علَّمنى الله وقد دلَّنى الله عليها ، وهى فى هذا الوادى ، فى شِعب كذا وكذا ، قد حبستْها شجرةٌ بزمامها ، فانطلِقُوا حتى تأتونى بها ، فذهبوا ، فجاءوا بها . فرجع عُمارة بن

حزم إلى رحله ، فقال : والله لعَجَبٌ من شيء حَدَّثَناه رسولُ الله ﷺ آنفا ، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، للذى قال زيدُ بن لُصَيْت ؛ فقال رجل ممن كان فى رحل عُمارة ولم يحضُر رسول الله ﷺ : زيدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى . فأقبل عُمارة على زيد يَجَافى عنُقه[1] ويقول : إلىَّ عباد الله ، إنَّ فى رحلى لداهيةً وما أشعر ، أُخْرُجْ أىْ عدوَّ الله من رحلى ، فلا تَصْحبْنى .

قال ابن إسحاق : فزعم بعضُ الناس أن زيدا تاب بعد ذلك ؛ وقال بعض الناس لم يزل مُتَّهَما بشَرّ حتى هَلك .

ثم مضى رسولُ الله ﷺ سائرا ، فجعل يتخلَّفُ عنه الرجُل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخَلَّف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يا رسول الله ، قد تخَلَّف أبو ذَرّ ، وأبطأ به بعيره ؛ فقال : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقُه الله بكم ، وإن يك غيرُ ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ وتلوَّم[2] أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه ، أخذ متاعه فحمَله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثَرَ رسول الله ﷺ ماشيا . ونزل رسول الله فى بعض منازله ، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده ؛ فقال رسول الله ﷺ : كُنْ أبا ذر[3] . فلما تأمَّله القومُ قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذرّ ؛ فقال رسول الله ﷺ : رحم الله أبا ذرّ ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويُبعث وحده .

تخذيل المنافقين للمسلمين وما نزل فيهم :

قال ابن إسحاق : وقد كان رَهْطٌ من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت ، أخو بنى عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبنى سَلمة ، يقال له : مُخَشِّن بن حُمَيِّر – قال ابن هشام : ويقال مَخْشِىّ – يُشيرون إلى رسول

---

(١) يجافى عنقه : يطعنه فى عنقه . انظر ترتيب القاموس المحيط

(٢) تلوم : تمكث وتمهل وانتظر . انظر ترتيب القاموس المحيط ص ١٨٦ جـ ٤ .

(٣) كن أبا ذر : لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الدعاء ، أى أرجو الله أن تكون أبا ذر .

الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا ! والله لكأنَّا بكم غدا مُقَرّنين فى الحبال ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين ، فقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر : والله لوَددْت أنّى أقاضَى على أن يُضْرب كلّ (رجل) منَّا مئة جلدة ، وإنَّا نَنْفَلِتُ أن يَنْزِل فينا قرآن لمقالتكم هذه .

وقال رسول الله ﷺ – فيما بلغنى – لعَمَّار بن ياسر أدرك القوم ، فإنهم قد احْترقُوا[1] ، فسَلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقُل : بلى ، قلتم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمَّار ، فقال ذلك لهم : فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله ﷺ واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبها[2] : يا رسول الله ، إنما كنَّا نخوض ونلعب ؛ فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ** ﴾[3] . وقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر : يا رسول الله ، قعد بى اسمى واسم أبى ؛ وكأن الذى عُفِى عنه فى هذه الآية مخَشِّن بن حُمَيِّر ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيدا لا يُعْلَم بمكانه ، فقُتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر .

الصلح بين الرسول ويُحنة :

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تَبُوكَ ، أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤبة ، صاحب أيْلة ، فصالح رَسول الله ﷺ ، وأعطاه الجِزْية ، وأتاه أهل جَرباء وأذْرُح ، فأعطوه الجزية ، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتابا ، فهو عندهم .

كتاب الرسول ليحنة :

فكتب لِيُحَنَّة بن رؤبة :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ ومحمدٍ النبىّ رسول الله لِيُحَنَّة ابن رُؤبة وأهل أيْلة ، سُفنهم وسيَّارتهم فى البرّ والبحر : لهم ذمَّة الله ، وذمَّة

---

(١) احترقوا : احترقت أى هلكت والحرق الهلك ، احترقوا : أهلكوا . انظر لسان العرب . ص ٤٢ جـ ١٠ .

(٢) الحقب : حبل يشد به الرحل فى بطن البعير ، أو الحزام الذى يَلِى حَقْو البعير . انظر لسان العرب جـ ١ ص ٣٢٤ .

(٣) سورة التوبة آية ٦٥ .

محمد النبىّ ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمَن أحدث منهم حَدَثا ، فإنه لا يحول ماله دُونَ نفسه ، وإنه طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحلّ أن يُمْنَعوا ماء يَردونه ، ولا طريقا يُريدونه ، من برّ أو بحر .

حديث أسر أكيدر ثم مصالحته :

ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد ، فبعثه ألى أُكَيْدِر دُومة ، وهو أُكَيْدر بن عبد الملك ، رجل من كِنْدة كان ملكا عليها ، وكان نصرانيا ؛ فقال رسول الله ﷺ لخالد : إنك ستجده يَصيد البَقَر . فخرج خالد ، حتى إذا كان من حِصنه بمنظر العين ، وفى ليلة مُقْمِرة صَائِفة ، وهو على سَطْح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تَحُكّ بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قَطّ ؟ قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه ، فأُسْرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ؛ فيهم أخ يقال له حسَّان . فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ ، فأخذته ، وقتلوا أخاه ؛ وقد كان عليه قَباء من دِيباجٍ مُخَوَّصٌ بالذَّهب ، فاستلَمه خالد ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمرّ بن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيت قَباء أكيدر حين قدم به على رسول الله ﷺ ، فجعل المسلمون يَلْمِسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا ؟ فو الذى نفسى بيده لمَناديل سعد بن مُعاذٍ فى الجنة أحسن من هذا .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالداً قدم بأُكَيْدر على رسول الله ﷺ ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلَّى سبيله ، فرجع إلى قريته ؛ فأقام رسول الله ﷺ بتَبوكَ بضع عشرة ليلة ، لم يُجاوزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة .

حديث وادى المشقق ومائه :

وكان فى الطريق ماءٌ يخرج من وَشَل[1] ، ما يُرْوِى الراكبَ والراكبَيْن

---

(١) الوشل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلا قليلا ؛ وهو أيضا القليل من الماء . انظر لسان العرب ص ٧٢٥ جـ ١١ .

والثلاثة ، بواد يُقال له وادى المُشَقَّق ؛ فقال رسول الله ﷺ : من سَبَقنا إلى ذلك الوادى فلا يستقينّ منه شيئا حتى نأتيه . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ؛ فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه ، فلم ير فيه شيئا . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله ، فلان وفلان ؛ فقال : أو لم أنههم أن يستقوا منه شيئا حتى آتيه ! ثم لعنهم رسول الله ﷺ ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحتَ الوشَل ، فجعل يصبّ فى يده ما شاء الله أن يَصُبّ ، ثم نَضَحه به ، ومَسَحه بيده ، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق من الماء – كما يقول من سمعه – ما إنّ له حسًّا كحسّ الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه . فقال رسول الله ﷺ : لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعُنَّ بهذا الوادى ، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

وفاة ذى البجادين وقيام الرسول على دفنه :

قال : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمىّ ، أن عبد الله ابن مسعود كان يحدّث ، قال : قُمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ، قال : فرأيت شُعْلة من نار فى ناحية العسكر ، قال : فاتَّبعتها أنظر إليها ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزنىّ قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله ﷺ فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يُدَلّيانه إليه ، وهو يقول : أدْنِيا إلىّ أخاكما ، فدَلَّياه إليه ، فلما هيأه لشِقِّه قال : اللهمّ إنى أمسيت راضيا عنه ، فارض عنه . قال : يقولُ عبد الله بن مسعود : يا ليتنى كنتُ صاحب الحُفرة .

قال ابن هشام : وإنما سُمّى ذا البِجادين ، لأنه كان ينازع إلى الإسلام ، فيمنعه قومه من ذلك ، ويُضيقون عليه ، حتى تركوه فى بجاد ليس عليه غيره ، والبِجاد : الكساء الغليظ الجافى ، فهَرَب منهم إلى رسول الله ﷺ ، فلما كان قريبًا منه ، شقّ بِجاده باثنين ، فاتَّزر بواحد ، واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله ﷺ ، فقيل له : ذو البِجادين لذلك ، والبجاد أيضا : المِسْح .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى ، عن ابن أُكَيمةَ اللَّيثّى ، عن ابن أخى أبى رُهْمٍ الغفارىّ ، أنه سمع أبا رُهْم كُلْثومَ بن الحُصَين ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غزَوْتُ مع رسول الله ﷺ غزوة تَبُوكَ ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبا من رسول الله ﷺ وألقى الله علينا النعاس فطَفِقْتُ أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله ﷺ ، فيُفْزِعنى دنوّها منه ، مخافة أن أصيب رجله فى الغَرْزِ[1] فطفقت أحُوزُ[2] راحلتى عنه ، حتى غلبتنى عينى فى بعض الطريق ، ونحن فى بعض الليل ، فزاحمتْ راحلتى راحلةَ رسول الله ﷺ ورجلُه فى الغَرْز ، فما استيقظت إلا بقوله : حس[3] ، فقلتُ : يا رسول الله ، استغفر لى . فقال : سر ، فجعَل رسولُ الله ﷺ يسألنى عمَّن تخلَّف عن بنى غفار ، فأخبره به ؛ فقال وهو يسألنى : ما فعل النَّفَر الحُمْر الطِّوال الثِّطاط[4] . فحدَّثته بتخلُّفهم . قال : فما فعل النَّفر السود الجعاد القصار ؟ قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاءِ منا . قال : بلى ، الذين لهم نَعَمٌ بشَبَكة شَدَخ ؛ فتذكَّرتهم فى بنى غِفار ، ولم أذكُرْهُم حتى ذكرتُ أن لهم رهطاً من أسلم كانوا حُلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهْطٌ من أسلم ، حلفاء فينا ؛ فقال رسول الله ﷺ : ما منع أحد أولئك حين تخَلَّف أن يحمل على بعير من إبله امرأ نشيطاً فى سبيل الله ؟ إنّ أعزَّ أهلى علىّ أن يتخلَّف عنى المهاجرون من قُريش والأنصارُ وغفارٌ وأسْلَم .

---

(١) الغَرْزُ : ركاب الرحل وغرز رحله فى الغرز يغررها عرزاً وصعها فيه ليركب والعرر للناقة مثل الحرام للفرس . انطر لسان العرب ص ٣٨٦ حـ ٥ .

(٢) أحور . أبعد . انطر لسان العرب ص ٣٤٠ جـ ٥ .

(٣) حس . كلمة معناها أتألم أو وجع يقولها الإنسان إدا أصيب بشىء . انظر لسان العرب ص ٥٠ حـ ٦ .

(٤) الشطاط : جمع شط وهو قليل شعر اللحية أو هو خفيف اللحية . انطر لسان العرب ص ٢٦٧ حـ ٧ .

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

دعوتهم الرسول للصلاة فيه :

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذى أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحابُ مسجد الضِّرار قد كانوا أتَوْه وهو يتجهَّز إلى تَبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنَّا قد بنينا مسجداً لذى العلَّة والحاجة والليلة المَطيرة والليلة الشاتية ، وإنَّا نُحب أن تأتينا ، فتصلى لنا فيه ؛ فقال : إنى على جنَاح سَفر ، وحال شُغل ، أو كما قال ﷺ ، ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ، فصلَّيْنا لكم فيه .

أمر الرسول اثنين بهدمه :

فلما نزل بذى أوان ، أتاه خبرُ المسجد ، فدعا رسولُ الله ﷺ مالكَ ابن الدُّخشم ، أخا بنى سالم بن عوف ، ومَعْن بن عدىّ ، أو أخاه عاصم بن عدىّ ، أخا بنى العَجْلان ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه ، فاهدماه وحرّقاه . فخرجا سريعَيْن حتى أتَيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك ابن الدُّخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنارٍ من أهلى . فدخل إلى أهله ، فأخذ سَعفا من النخل ، فأشعل فيه نارا ، ثم خرجا يشتدّان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرّقاه وهدّماه ، وتفرّقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وكُفْراً وَتَفْرِيقا بينَ المُؤْمِنِين ﴾[1] ... إلى آخر القصة .

أسماء بناة مسجد الضرار :

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خِذام بن خالد ، من بنى عبيد بن زَيْد ، أحد بنى عمرو بن عوف ، ومن داره أُخرج مسجد الشِّقاق ، وثعلبة ابن حاطب من بنى أُميَّة بن زيد ، ومعتِّب بن قُشَير ، من بنى ضبيعة بن زيد ،

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٧ .

وأبو حبيبة بن الأزعر ، من بنى ضُبيعة بن زيد ، وعبَّاد بن حُنيف ، أخو سهل ابن حُنيف ، من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مُجَمِّع ابن جارية ، وزيد بن جارية ، ونَبْتل بن الحارث ، من بنى ضُبيعة ، وبَحْزج ، من بنى ضُبيعة ، وبِجاد بن عثمان ، من بنى ضُبيعة ، ووديعة بن ثابت ، وهو من بنى أميَّة بن زيد رهط أبى لُبابة بن عبد المنذر .

مساجد الرسول فيما بين المدينة إلى تبوك :

وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تَبوك معلومة مسماة : مسجدٌ بتبوك ، ومسجد بثنية مدران ، ومسجد بذات الزّراب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الخطمِىّ ، ومسجد بألاء ، ومسجد بطرف البتراء ، من ذنب كواكب ، ومسجد بالشِّق ، شِق تارا ، ومسجد بذى الجِيفَة ، ومسجد بَصَدْر حَوْضَى ، ومسجد بالحِجْر ، ومسجد بالصّعيد ، ومسجد بالوادى ، اليوم وادى القُرى ، ومسجد بالرُّقْعة من الشِّقة ، شِقة بنى عُذرة ، ومسجد بذى المَرْوة ، ومسجد بالفَيْفاء ، ومسجد بذى خُشُب .

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين فى غزوة تبوك

نهى الرسول عن كلام الثلاثة المخلفين :

وقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وقد كان تخلَّف عنه رهطٌ من المنافقين ، وتخلَّف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شكّ ولا نفاق : كعب ابن مالك ، ومُرارة بن الربيع ، وهلال بن أميَّة ؛ فقال رسولُ الله ﷺ لأصحابه : لا تكلِّمنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلَّف عنه من المنافقين فجعلوا يَحْلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسولُ الله ﷺ ، ولم يَعْذِرهم الله ولا رسولُه . واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

حديث كعب عن تخلفه :

قال ابن إسحاق : فذكر الزُهرىّ محمد بن مسلم بن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أُصيب بصرُه ، قال : سمعت أبى كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلّف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تَبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ما تخلَّفت عن رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها قط، ، غير أنى كنت قد تخلّفت عنه فى غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسولُه أحداً تخلَّف عنها ، وذلك أن رسولَ الله ﷺ إنما خرج يريد عيرَ قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوّه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ العقبة ، وحين تواثّقنا على الإسلام ، وما أُحبّ أنّ لى بها مشهدَ بدر ، وإن كانت غزوة بدر هى أذْكر فى الناس منها . قال : كان من خبرى حين تخلّفت عن رسولِ الله ﷺ فى غزوة تَبوك أنى لم أكن قط، أقْوَى ولا أيسر مِنى حين تخلَّفت عنه فى تلك الغزوة ، ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قطّ حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة ، وكان رسول الله ﷺ قلّما يُريد غزوةً يغزوها إلا ورّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله ﷺ فى حرّ شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ، واستقبل غزو عدوّ كثير ، فجلّى للناس أمرَهم ليتأهّبوا لذلك أُهبته وأخبرهم خبره بوجهه الذى يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله ﷺ كثير ، لا يجمعهم كتاب حافظ ، يعنى بذلك الديوان ، يقول : لا يجمعهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فقَلَّ رجل يريد أن يتغيَّب إلا ظنّ أنه سيخفى له ذلك ، ما لم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار وأُحِبَّت الظّلال ، فالناس إليها صُعْر[1] ؛ فتجهَّز رسول الله ﷺ ، وتجهَّز المسلمون معه ، وجعلت أغدو لأتجهَّز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى ، أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمّر

---

(١) صغر : حمع أصعر ، وهو المائل ، ومنه قوله تعالى ﴿ ولا تصعر حدك للناس ﴾ أى لا تعرض عنهم ، ولا تمل وحهك إلى جهة أحرى . انظر لسان العرب ص ٤٥٦ حـ ٤ .

الناس بالجدِّ ، فأصبح رسول الله ﷺ غاديا ، والمسلمون معه ، ولم أقضِ من جهازى شيئا ، فقلت : أتجهَّز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئا ، ثم غدوت فرجعت ولم أقضِ شيئا ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا ، وتَفَرَّط[1] الغزو : فهممتُ أن أرتحل ، فأدركهم ، وليتنى فعلتُ ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعدَ خروج رسول الله ﷺ ، فطفتُ فيهم ، يَحزُننى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصا[2] عليه فى النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرنى رسول الله ﷺ حتى بلغَ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سَلمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ، والنَّظر فى عِطْفيه ؛ فقال له معاذ بن جبل : بئس ما قلت ! والله يا رسول الله ما عَلمنا منه إلا خيراً ؛ فسكت رسولُ الله ﷺ .

فلما بلغنى أن رسولَ الله ﷺ قد توجَه قافلا من تبوك ، حضَرنى بثى[3] ، فجلعت أتذكَّر الكَذِب وأقول : بماذا أخرج من سَخْطة رسول الله ﷺ غدا وأستعين على ذلك كلّ ذى رأى من أهلى ؛ فلما قِيل إن رسول الله ﷺ قد أظل[4] قادما زاح[5] عنى الباطلُ ، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدقه ، وصبَّح رسول الله ﷺ المدينة ، وكان إذا قَدِم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك ، جاءه المخلَّفون ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فيقبل منهم رسول الله ﷺ علانيَتهم وأيمانهم ، ويستغفر لهم ، ويكِل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فسلَّمت عليه ، فتبسّم تبسم المُغضَب ، ثم قال لى : تعاله ، فجئت أمشى ، حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلَّفك ؟ ألم تكن

---

(١) تفرط الغزو : أى فات وسبق . وتقدم انظر لسان العرب ص ٣٦٨ جـ ٧ .

(٢) مغموصا عليه : مطعونا عليه . ورجل مغموص عليه فى حسبه أو دينه أى مطعون عليه . انظر لسان العرب ص ٦١ جـ ٧ .

(٣) بثى : حزنى . البَثُّ : الحزن . انظر لسان العرب ص ١١٤ جـ ٢ .

(٤) أظل : أشرف وقرب . الإظلال : الدُّنو والقرب. انظر لسان العرب ص ٤١٨ جـ ١١

(٥) زاح عنى : ذهب وزال . انظر لسان العرب ص ٤٦٨ جـ ٢ .

ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إنى يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعطيت جَدلا ، لكن والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديثا كذِبا لترضينّ عنى ، وليُوشكنّ الله أن يُسْخطك علىّ ، ولئن حدثتك حديثا صِدقا تَجد علىّ فيه ، إنى لأرجو عُقْباى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر منى حين تخلَّفت عنك . فقال رسول الله ﷺ : أمَّا هذا فقد صدقت فيه ، فقُمْ حتى يَقْضى الله فيك . فقُمت ، وثار معى رجالٌ من بنى سَلمة ، فاتَّبعونى فقالوا لى : والله ما علمناك كنتَ أذنبت ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزتَ أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به اليه المخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك فوالله مازالوا بى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ ، فأُكذِّب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ؛ قلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن الرّبيع العَمْرى ، من بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن (أبى) أُميَّة الواقفى ؛ فذكروا لى رجلين صالحين[1] ، فيهما أُسوة ، فصمَت حين ذكروهما لى ، ونهى رسولُ الله ﷺ عن كلامنا أيُّها الثلاثة ، من بين من تخلَّف عنه ، فاجتنَبَنا الناسُ ، وتغَّيروا لنا ، حتى تنكَّرتْ لى نفسى والأرضُ ، فما هى بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا ، وقعدا فى بيُوتهما ، وأما أنا فكنتُ أشَبَّ القوم وأجلَدهم ، فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله ﷺ ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى ، هل حَرَّك شَفَتيه بردّ السلام علىّ أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتى نظر إلىّ ، وإذا التفتُّ نحوَه أعْرض عنى ، حتى إذا طال ذلك علىّ من جفوة المُسلمين ، مشَيتُ حتى تسوّرت[2] جدار حائط أبى قتادة . وهو ابن عمِّى ، وأحبُّ الناس إلىّ ، فسلَّمت عليه ، فوالله ما ردَّ علىَّ السلام ، فقلت :

---

(١) تسورت : علوت انظر لسان العرب ص ٣٨٥ حـ ٤ .

يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أحبّ الله ورسوله ؟ فسكت . فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعُدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، ووثبت فتسوّرت الحائط ، ثم غدوت إلى السُوق ، فبينا أنا أمشى بالسُوق ، إذا نَبَطىّ[1] يسأل عنى من نَبَط الشام ، ممن قَدِم بالطعام[2] يَبيعه بالمدينة ، يقول : من يدلّ على كَعْب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يُشيرون له إلىّ ، حتى جاءنى ، فدفع إلىّ كتابا من ملك غسَّان ، وكتب كتابا فى سَرَقة[3] من حرير ، فإذا فيه : « أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يَجعلك الله بدار هَوان ولا مَضْيعة ، فالحقْ بنا نَواسِك »[4] . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضا ، قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فىّ رجلٌ من أهل الشرك . قال : فَعمَدت بها إلى تَنُّور ، فَسَجَرْته[5] بها . فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله يأتينى ، فقال : إن رسولَ الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قال : قلت : أطلّقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تَقْربها ، وأرسل إلى صاحبى بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : ألحقى بأهلك ، فكونى عندهم حتى يَقْضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض . قال : وجاءت امرأةُ هلال بن أُمية رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أميَّة شيخٌ كبيرٌ ضائع لا خادم له ، أفتكره أن أخدمَه ؟ قال : لا ، ولكن لا يَقْرَبنك ؛ قالت : والله يا رسول الله ما به من حرَكة إلىّ ، والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومهِ هذا ، ولقد تخْوفت على بصره . قال : فقال لى بعضُ أهلى : لو استأذنت رسولَ الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أُميَّة أن تخدُمه ؛ قال : فقلت : والله لا أستاذنه فيها ، ما أدرى مايقول رسول الله ﷺ لى فى ذلك اذا استأذنته

---

(١) النبطى : واحد النبط ، وهم قوم من الأعاجم . انظر لسان العرب ص ٤١١ جـ ٧ .

(٢) الطعام (هنا) : القمح .

(٣) السرقة : الشقة من الحرير . انظر لسان العرب ص ١٥٦ جـ ١٠ .

(٤) قال ابن الأثير فى النهاية : « المواساة : المشاركة والمساهمة فى المعاش والرزق وأصلها الهمزة ، فقلبت واوا ، تخفيفا .

(٥) سجرته : ألهبته . السجر : النار . انظر لسان العرب ص ٣٤٥ جـ ٤ .

فيها وأنا رجلُ شابّ . قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة ، من حين نَهَى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا ، ثم صلَّيت الصبح ، صبح خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التى ذكر الله منا قد ضاقت علينا الأرضُ بما رَحُبَت ، وضاقت علىّ نفسى ، وقد كنت ابتنيت خَيْمة فى ظهر سَلْع ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أو فى على ظهر سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء الفَرَج .

توبة الله عليهم :

قال : وآذن رسولُ الله ﷺ الناس بتَوْبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبى مبشِّرون ، وركض رجل إلىّ فرسا ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرَع من الفرس ؛ فلما جاءنى الذى سمعت صوتَه يبشِّرنى ، نزعت ثوبىّ ، فكسوتهما إيَّاه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسول الله ﷺ ، وتلقَّانى الناس يبشِّروننى بالتَّوْبة ، يقولون : لِيَهْنِك توْبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسول الله ﷺ جالس حوله الناسُ ، فقام إلىّ طلحة بن عُبيد الله ، فحيَّانى وهنَّأنى ، ووالله ما قام إلىّ رجل من المهاجرين غيرُه . قال : فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول ﷺ قال لى ، ووجهه يبرق من السرور أبشر بخير يوم مرّ عليك منذُ ولدتك أُمُّك ، قال : قلت : أمن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله قال : وكان رسول الله ﷺ إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكنَّا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتى إلى الله عزّ وجلّ أن أنخلع من مالى ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله ﷺ : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قال : قلت : إنى مُمْسك سَهْمى الذى بخيبر . وقلت : يا رسول الله ، إن الله قد نجَّانى بالصدق ، وإن من توبتى إلى الله أن

لا أحدّث إلا صدقا ما حييت ، والله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله فى صِدْق الحديث منذ ذكرتُ لرسول الله ﷺ ذلك أفضلَ مما أبلانى الله ، والله ما تعمَّدت من كَذْبة منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى .

وأنزل الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِىّ والمُهاجِرِينَ والأنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ العُسْرَة مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا** ... ﴾ إلى قوله : ﴿ **وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾(١) .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله علىَّ نعمةً قطّ بعد أن هدانى للإسلام كانت أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله ﷺ يومئذ ، أن لا أكون كذبته ، فأهلك كما هَلك الذين كذبوا ، فإن الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحى شر ما قاله لأحد ، قال : « **سَيَحْلِفُونَ بالله لَكُمْ إذَا انْقَلَبْتُمْ إلَيهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ، إنهُمْ رِجْسٌ وَمأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فَانْ تَرْضَوا عَنْهُمْ فإنَ الله لايَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِينَ** »(٢) .

قال : وكنا خُلِّفنا أيها الثلاثةُ عن أمر هؤلاء الذين قَبِل منهم رسول الله ﷺ ، حين حَلفوا له فعذرهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرَنا ، حتى قَضى الله فيه ماقضى ، فبذلك قال الله تعالى : « **وعَلى الثَّلاثة الذين خُلِّفُوا** » .

وليس الذى ذكر الله من تَخْليفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا ، وإرجائه أمرنا عمن حلَف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه .

---

(١) سورة التوبة الآيات ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) سورة التوبة آية ٩٥ - ٩٦

أمر وفد ثقيف وإسلامها فى شهر رمضان سنة تسع

إسلام عروة بن مسعود ورجوعه إلى قومه :

قال ابن إسحاق : وقدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ من تبوكَ فى رمضان ، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفدُ ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عُروة ابن مسعود الثقفى ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ﷺ ، كما يتحدّث قومه : إنهم قاتلوك ، وعرف رسول الله ﷺ أنّ فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله أنا أحبّ إليهم من أبكارهم[1] .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك محبَّبا مطاعا ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه ، لمنزلته فيهم ؛ فلما أشرف لهم على عِلِّيه[2] له ، وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رمَوْه بالنَّبل من كلّ وجه ، فأصابه سهم فقتله ، فتزعُم بنو مالك أنه قتله رجلٌ منهم ، يُقال له أوس بن عَوْف ، أخو بَنى سالم بن مالك ، وتزعمُ الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بنى عتَّاب ابن مالك ، يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعُروة : ما ترى فى دمك ؟ قال : كرامةٌ أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىّ ، فليس فىّ إلا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه : « إن مثلَه فى قومه لكمثل صاحب ياسين فى قومه » .

---

(١) أبكارهم : البكر : الفتى من الإبل

(٢) العلية (بكسر العين وضمها) : الغرفة . والجمع العلالى أنظر لسان العرب ص ٨٦ ج ١٥

إئتمار ثقيف على إرسال نفر للرسول :

ثم أقامت ثَقيف بعد قتل عُروة أشهرا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب مَنْ حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

حدثنى يعقوب بن عتُبة بن المغيرة بن الأخنس : أن عَمْرَو بن أميَّة ، أخا بنى علاج ، كان مهاجراً لعبد ياليلَ بن عمرو ، الذى بينهما شىء[1] ، وكان عمرو بن أُمية من أدهَى العرب ، فمَشى إلى عبد ياليلَ بن عمرو ، حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك : أُخرج إلىّ ؛ قال : فقال عبدُ ياليل للرسول :ويلك ! أعمرو أرسلك إلىّ ؟ قال : نعم ، وهاهو ذا واقفاً فى دارك ، فقال : إن هذا الشىء ما كنت أظنُّه ، لَعَمْرو كان أمنع فى نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رحَّب به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هِجْرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، قد أسلمت العربُ كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا فى أمركم . فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضُهم لبعض :

أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سِرْب[2] ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتُطِع ، فأتمروا بينهم ، وأجمعوا أن يُرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلا ، كما أرسلوا عُروة ، فكلَّموا عبد ياليلَ بن عمرو بن عُمير ، وكان سنّ عروة بن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنع به إذا رجع كما صنُع بعُروة . فقال : لست فاعلاً حتى ترُسلوا معى رجالاً ، فأجمعوا أن يبعثُوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بنى مالك ، فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتِّب ، وشر حبيل بن غيْلان بن سَلِمة بن معتِّب ،

---

(١) كذا فى الاصل وفى المواهب اللدنية (لشىء كان بينهما)

(٢) السرب : المال الراعى ، وهو أيضا : الطريق ، والنفس . والمقصود بالمال الإبل . أنظر لسان العرب صـ ٤٦٢ ح ١

ومن بنى مالك عثمان بن أبى العاص بن بِشر بن عبد دُهمان ، أخا بنى يسار ، وأوس بن عوف ، أخا بنى سالم بن عوف ونُمَير بن خَرشَة بن ربيعة ، أخا بنى الحارث ، فخرج بهم عبدُ ياليل ، وهو ناب[1] القوم وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صنع بعُروة بن مسعود ، لكى يشغل كلّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطه .

قدومهم المدينة وسؤالهم الرسول أشياء أباها عليهم :

فلما دنَوْا من المدينة ، ونزلوا قناة ، ألْفَوْا بها المُغيرة بن شُعبة ، يرعَى فى نَوْبَته رِكابَ أصحاب رسول الله ﷺ ، وكانت رِعيْتها نُوَبا على أصحابه ﷺ ، فلما رآهم تركَ الركاب عند الثَّقَفيين ، وضبر[2] يشتدّ ، ليبشر رسول الله ﷺ بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصدّيق قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ ، فأخبره عن ركب ثقيف أنْ قد قدموا يريدون البَيْعة والإسلام ، بأن يَشْرُط لهم رسولُ الله ﷺ شُروطا ، ويكتتبوا من رسول الله ﷺ كتابا فى قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمُغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى رسول الله ﷺ ، حتى أكون أنا أُحدثّه ؛ ففعل المغيرة . فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ . فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المُغيرة إلى أصحابه ، فرَوّح الظُّهر معهم ، وعلمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ ، فلم يفعلوا إلا بتحيَّة الجاهلية ، ولمّا قَدِموا على رسول الله ﷺ ضرب عليهم قُبَّة فى ناحية مسجده ، كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد بن العاص ، هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله ﷺ ، حتى اكتتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يَطْعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله ﷺ ، حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية ، وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله ﷺ

---

(١) ناب القوم : سيدهم ، والمدافع عنهم . أنظر لسان العرب ص ٧٧٤ ، ج ١

(٢) ضبر : وثب . فضبر الفرس يضبر ضبرا وضبرانا إذا عدّا وفى المحكم : جمع قوائمه ووثب أنظر لسان العرب ص ٤٧٩ ح ١

ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم ، حتى سألوا شهراً واحدا بعد مَقْدمهم ، فأبى عليهم أن يدَعها شيئا مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يُظهرون أن يتَسَلَّموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكْرهون أن يُروعوا قومَهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ؛ فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حَرب والمُغيرة بن شعبة فيهدماها ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنُعفيكم منه ، وأما الصلاة ، فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يا محمد فسنؤْتيكها ، وإن كانت دناءة .

تأمير عثمان بن أبى العاص عليهم :

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابَهم ، أمَّر عليهم عثمان بن أبى العاص ، وكان من أحدثهم سنا ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه فى الإسلام وتعلُّم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، إنى قد رأيتُ هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام ، وتعلم القرآن .

بلال ووفد ثقيف فى رمضان :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفى عن بعض وفدهم . قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصُمنا مع رسول الله ﷺ ما بقى من رمضان ، بفِطرنا[1] وسَحُورنا من عند رسول الله ﷺ ، فيأتينا بالسَّحور ، وإنا لنقول : إنا لنرى الفجر قد طلع ، فيقول : قد تركت رسول الله ﷺ يتسحَّر ، لتأخير السُّحور : ويأتينا بفطرنا ، وإنا لنقول : ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد . فيقول : ماجئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ ، ثم يَضع يده فى الجَفْنة ، فيلتقم منها .

عهد الرسول لابن أبى العاص حين أمَّره على ثقيف :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن مُطَرّف بن عبد الله

---

(١) فى شرح السيرة لأبى ذر : « بفطورنا » . وهى رواية ابن هشام بعد .

ابن الشخير ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : كان من آخر ما عهد إلىّ رسولُ الله ﷺ حين بعثنى على ثَقيف أن قال : يا عثمان ، تجاوز فى الصلاة ، واقدُر الناس بأضعفهم ، فان فيهم الكبيرَ ، والصغير ، والضعيف ، وذا الحاجة .

هدم الطاغية :

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسولُ الله ﷺ معهم أباسفيان بن حرب والمغيرةَ بن شعبة ، فى هدم الطاغية . فخرجا مع القوم ، حتى إذا قَدِموا الطائف أراد المُغيرة بن شعبة أن يُقَدّم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهَدْم ؛ فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يَضربها بالمعول ، وقام قومه دونه ، بنو مَعَتّب ، خشية أن يُرمى أو يُصاب كما أُصيب عُروة ، وخرج نساء ثقيف حُسَّرا[1] يَبْكين عليها

قال ابن إسحاق : ويقول أبو سفيان والمغيرةُ يَضْربها بالفأس : واها لك[2] آها لك ! فلما هدمها المُغيرة ، وأخذ مالَها وحُلَيَّها أرسل إلى أبى سفيان وحليها مجموع ومالها من الذهب والجَزْع .

إسلام أبى مليح وقارب :

وقد كان أبو مُلَيح بن عروة وقارِب بن الأسود قَدِما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف ، حين قُتل عروة ، يريدان فراق ثقيف ، وَأن لا يجامعاهم على شىء أبدا ، فأسلما ؛ فقال لهما رسولُ الله ﷺ : توليا من شئتما ، فقالا : نتولى الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ وخالَكما أبا سفيان بن حرب ؛ فقالا : وخالَنا أبا سفيان بن حرب .

---

(١) حسرا : مكشوفات الرءوس . امرأة حاسر وهى كل مكشوفة الرأس والذراعين . أنظر لسان العرب ص ١٨٨ ح ٤

(٢) واها لك : كلمة تقال فى معنى التأسف والتحزن . وهى اسم فعل

سؤالهما الرسول ﷺ قضاء دين من أموال الطاغية :

فلما أسلم أهلُ الطائف ووجه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمُغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسولَ الله ﷺ أبو مُليح بن عروة أن يَقضى عن أبيه عُروة دينا كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسول الله ﷺ : نعم ، فقال له قارب ابن الأسود ، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه وعروة والأسود أخوان لأب وأم ؛ فقال رسول الله ﷺ : إن الأسود مات مشركاً . فقال قارب لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، لكن تصل مسلما ذا قرابة ، يعنى نفسه ، إنما الدين علىّ ، وإنما أنا الذى أُطلب به ، فأمر رسولُ الله ﷺ أبا سفيان أن يَقْضى دينَ عُروة والأسود من مال الطاغية ؛ فلما جمع المُغيرة مالها قال لأبى سفيان : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضى عن عُروة والأسود دينَهما ، فقضى عنهما .

كتاب الرسول لثقيف :

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذى كتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبىّ ، رسول الله ، إلى المؤمنين : إن عضاه[1] وَجّ وصيدَه لايُعضد[2] ، من وُجد يفعل شيئا من ذلك ، فانه يُجلد وتُنزَع ثيابه ، فان تعدّى ذلك فانه يؤُخذ فيبلغ به إلى النبىّ محمد ، وإن هذا أمر النبىّ محمد رسول الله :

وكتب خالد بن سعيد : بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعدّه أحد ، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ .

---

(١) العضاه : شجر له شوك ، وهو أنواع ، واحدته عضه . العضىّ : الشجر العليظ الذى يبقى فى الأرض . أنظر لسان العرب ص ١٨٩ ج ٧

(٢) لا يعضد : لا يقطع . أنظر لسان العرب ص ٢٩٣ ج ٣

حج أبى بكر بالناس سنة تسع

اختصاص النبى ﷺ على بن أبى طالب رضوان الله عليه
بتأدية أول براءة عنه ، وذكر براءة والقصص فى تفسيرها

تأمير أبى بكر على الحج :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسولُ الله ﷺ بقيَّة شهر رمضان وشوّالا وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميرًا على الحجّ من سنة تسع ، ليُقيم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حَجِّهم . فخرج أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين .

نزول براءة فى نقض ما بين الرسول والمشركين :

ونزلت براءة فى نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد ، الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يصَدّ عن البيت أحدٌ جاءه ، ولا يخاف أحد فى الشهر الحرام . وكان ذلك عهدا عامًّا بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من العرب خصائص ، إلى آجال مسماة ، فنزلت فيه وفيمن تخلَّف من المنافقين عنه فى تبوك ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يَسْتَخْفون بغير ما يُظهرون ، منهم مَنْ سُمّى لنا ، ومنهم مَنْ لم يُسمَّ لنا ، فقال عزّ وجلّ : « بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى الَّذينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ »[1] : أى لأهل العهد العام من أهل الشرك .

اختصاص الرسول عليا بتأدية براءة عنه :

قال ابن إسحاق : وحدثنى حكيم بن حكيم بن عبَّاد بن حُنَيف ، عن أبى جعفر محمد بن علىّ رضوان الله عليه ، أنه قال : لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ ، وقد كان بعث أبا بكر الصدّيق ليُقيم للناس الحجّ ، قيل له : يا رسول الله ويعثت بها إلى أبى بكر ، فقال : لا يؤدّى عنى إلا رجل من أهل

(١) الآية الأولى من سورة التوبة .

بيتى ، ثم دعا علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال له : أخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنِى ، أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدّته ، فخرج علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقة رسولِ الله ﷺ العضْباء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ؛ فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا ، فأقام أبو بكر للناس الحجّ ، والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحجّ ، التى كانوا عليها فى الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأذن فى الناس بالذى أمره به رسول الله ﷺ ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحجّ بعد العام مُشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدّته ؛ وأجَّل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، ليرجع كلّ قوم إلى مأمنهم أو بلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدة ، فهو له إلى مدته . فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عُريان .

ثم قَدِما على رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام ، وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، وفرغ من تَبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفودُ العرب من كلّ وجه .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عُبيدة : أن ذلك فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انقياد العرب وإسلامهم :

قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب تَرَبَّص بالإسلام أمرَ هذاالحىْ من قُريش وأمر رسول الله ﷺ ، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لايُنكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه ، فلما افتُتحت مكة ، ودانت له قُريش ، ودَوَّخها الإسلام ، وعرفت العرب أنه لا طاقةَ لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال عزّ وجلّ ، أفواجا ، يضربون إليه من كلّ وجه ، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **إذَا جاءَ نَصْرُ الله والفَتحُ ورأيْتَ النَّاسَ يدَخُلُونَ فِي دينِ الله أفْوَاجا ، فَسَبِّحْ بِحَمْد رَبِّكَ واسْتَغفِرْهُ إنَّهُ كانَ تَوَّابا** ﴾[1] ، أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان توّابا .

قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات

فقدمت على رسول الله ﷺ وفُود العرب ، فقدم عليه عُطارد بن حاجب ابن زُرارة بن عُدُس التميمىّ ، فى أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع بن حابس التميمى ، والزّبرقان بن بدر التميمى ، أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهتم ، والحَبْحاب بن يزيد .

قال ابن هشام : الحتات وهو الذى آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معاوية ابن أبى سفيان ، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين نفَر من أصحابه من المهاجرين ؛ بين أبى بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف ، وبين طلحة بن عبُيد الله والزبير بن العوّام ، وبين أبى ذَرّ الغفِارى والمقْداد بن عمرو البَهْرانى ، وبين معاوية بن أبى سفيانَ والحتَّات بن يزيد المجاشعى فمات الحتُات عند معاوية فى خلافته ، فأخذ معاوية ما ترك وراثة بهذه الأخوة ، فقال الفرزدق لمعاوية :

---

(١) سورة النصر

أبوكَ وعمِّى يا معاوىَ أوْرَثا تُراثا فيَحْتاز التُّراثَ أقارِبُهْ
فمَا بالُ ميراثِ الحُتات أكلتَه وميراثِ حرْبٍ جامدٌ لك ذائِبه
وهذان البيتان فى أبيات له

قال ابن إسحاق : وفى وفد بنى تميم نُعَيم بن يَزيد ، وقَيْس بن الحارث ، وقيس بن عاصم ، أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم .

قال ابن هشام : وعطارد بن حاجب ، أحد بنى دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم ، والأقرع بن حابس ، أحد بنى دارم بن مالك ، والحُتات بن يزيد ، أحد بنى دارم بن مالك ، والزّبرقان بن بدر ، أحد بنى بهدلة ابن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعمرو بن الأهتم ، أحد بنى مِنْقر بن عبُيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقيس بن عاصم ، أحد بنى مِنْقر بن عبُيد بن الحارث .

قال ابن إسحاق : ومعهم عيينة بن حصنِ بن حذيفة بن بدرٍ الفزارىُّ ، وقد كان الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن شَهدا مع رسول الله ﷺ فَتح مكة وحنُيَنا والطائف .

صياحهم بالرسول وكلمة عطارد :

فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفدُ بنى تميم المسجدَ نادَوا رسول الله ﷺ من وراء حُجراته : أن اخرُج إلينا يا محمد ، فآذى ذلك رسول الله ﷺ من صِياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نُفاخرك ، فأذَنْ لشاعرنا وخَطيبنا ؛ قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام عُطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمنّ ، وهو أهلُه ، الذى جعلنا مُلوكا ، ووهب لنا أموالا عظاِما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثره عددا ، وأيسره عُدَّة ، فمَنْ مِثلنا فى الناس ؟ ألسنا برؤوس الناس وأُولى فضلهم ؟ فمن فاخرنا فلْيعدّد مِثْل ما عدّدنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضلَ من أمرِنا . ثم جلس .

كلمة ثابت فى الرد على عطارد :

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قَيسْ بن الشّماس ، أخى بنى الحارث بن الخزرج : قم ، فأجب الرجل فى خطبته . فقام ثابت ، فقال :

الحمدُ لله الذى السمواتُ والأرض خلقه ، قضَى فيهنّ أمرَه ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شىء قطّ إلا من فضله ، ثم كان من قُدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقه حديثا ، وأفضله حسبا ، فأنزل عليه كتابَه وأتمنَه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس حسبا ، وأحسن النَّاس وجوها ، وخير الناس فعِالا . ثم كان أوّل الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاهُ رسول الله ﷺ نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منعَ منّا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا ، وكان قتله علينا يسير . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

فقام الزبرقان بن بدر ، فقال : شعرا :

نحْنُ الكرَامُ فَلا حَىّ يُعادِلُنـا ... مِنّا المُلُوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَـع[1]
وكَمْ قَسَرْنا منَ الأحيْاء كُلِّهـمِ ... عند النهّاب وفضْلُ العزّ يُتَّبَـع
ونحنُ يُطعِمُ عند القَحْط مُطْعِمنا ... مِن الشّواء إذا لم يُؤْنَس القَزَعُ[2]

---

(١) البيع : البيعة : كنيسة النصارى وقيل كنيسة اليهود والجمع بِيَعٌ وهو البَيع مواضع الصلوات والعبادات . انظر لسان العرب ص ٢٦ ج ٨

(٢) القَزَعُ : قطع من السحاب رقيعة كأنها ظل أو السحاب المتفرق أنظر لسان العرب ص ٢٧١ ج ٨

بما تَرَى النَّاسَ تَأتينا سُراتُهم ... من كلّ أرضٍ هويًا ثم تَصْطَنِعُ[١]
فننحر الكُوم عُبُطا فى أرُومَتنا ... للنازلين إذا ما أُنْزِلوا شبعوا[٢]
فلا تَرَانا إلى حَيٍّ نُفاخِرُهُمُ ... إلا استَفَادوا فكانوا الرأسَ يُقْتَطعُ
فمنْ يُفاخِرنا فى ذاكَ نَعْرِفه ... فَيرْجعُ القَوْمُ والأخْبارُ تُستَمعُ
إنَّا أبَيْنا ولا يأبى لنَا أحَدٌ ... إنا كذلكَ عند الفَخْر نرْتَفعُ

فلما فرغ الزِّبرقان ، قال رسول الله ﷺ لحسَّان بن ثابت : قم يا حسَّان ، فأجب الرجلَ فيما قال . فقام حسان ، قال :

إنْ الذَّوائبَ مِنْ فهْرٍ وإخوتهم ... قد بَينَوا سُنَّةً للنَّاسِ تُتَّبَعُ[٣]
يَرْضَى بهم كُل من كانت سَريرتُه ... تَقْوَى الإله وكلَّ الخير يَصْطَنِعُ
قَوْمٌ إذا حارَبوا ضرُّوا عدوَّهُمُ ... أو حاوَلوا النَّفْع فى أشيْاعهم نَفعوا
سَجيَّة تلك منْهم غيرُ محْدثَة ... إنَّ الخلائق فاعلم شرُّها البِدَعُ
إنْ كان فى النَّاس سبَّاقون بعدَهم ... فكلّ سَبْق لأدنى سبقهم تَبَعُ
لا يَرْقع الناس ما أوْهَت أكفُّهُمُ ... عند الدّفاع ولا يوُهون ما رَقعوا
إن سابَقوا النَّاس يوْما فاز سَبْقُهُمُ ... أو وَازنوا أهل مجد بالندى مَتَعوا[٤]
أعِفَّة ذُكِرَتْ فى الوَحْى عفَّتهم ... لا يَطْبَعُونَ ولا يُرْدِيهِمُ طَمَعُ[٥]
لا يَبْخَلُونَ على جارٍ بفَضْلهم ... ولا يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ[٦]
إذا نَصَبنْا[٧] لِحَيٍ لم نَدِبَّ لَهُمْ ... كما يدُبُّ إلى الوَحْشِيةِّ الذُّرَعُ[٨]

قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسَّان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن

---

(١) هُويا : سراعا أنظر ترتيب القاموس المحيط ص ٥٤٨ ج ٤
(٢) الكوم : جمع كوماء وهى الناقة القطيمةُ السنام . انظر ترتيب القاموس المحيط ص ١٠٢ ج ٤
(٣) الذوائب : السادة وأصله من دوائب المرأة وهى عدائرها التى تعلو الرأس
(٤) متعوا : متسع النهار . ارتفعت شمسه أى طال وامتد أنظر لسان العرب ص ٣٣٠ ج ٨
(٥) لا يطبعون : الطبع بالتحريك الدَّنس ، وأصله من الوسخ أنظر لسان العرب ص ٢٣٣ ج ٨
(٦) الطبع : الدّنس أنظر لسان العرب ص ٢٣٣ ج ٨
(٧) نصبنا : نصب فلان لفلان نصبا إذا قصد له وعاداه ، نصبنا قصدنا وأظهرنا العداوة أنظر لسان العرب ص ٧٦١ ج ١١
(٨) الذُّرعُ : ولد البقرة الوحشية وقيل إنما يكون درعا إذا قوى على المشى أنظر لسان العرب ص ٩٦ ج ٨

حابس : وأبى ، إن هذا الرجل لمُؤَتى له(١) ، لخَطيبُه أخطب من خطيبنا ، ولَشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسْلموا ، وجَوَّزَهُمْ رسولُ الله ﷺ ، فأحسن جوائزَهم .

وكان عمرو بن الأهتم قد خَلَّفه القوم فى ظهرهم(٢) ، وكان أصغَرَهم سنًّا ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يُبغض عمرو بن الأهتم : يا رسول الله ، إنه قد كَان رجل منا فى رحالنا ، وهو غلام حَدَث ، وأزْرى به ، فأعطاه رسولُ الله ﷺ مثلَ ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيسا قال ذلك يهجوه :

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباء تَشْتُمُنِى ... عندَ الرَّسول فلمْ تَصْدُقْ ولم تُصبِ(٣)

سُدناكمُ سُودَدًا رَهْوًا وسُوددكُم(٤) ... بادٍ نَوَاجِذُهُ مُقْعٍ على الذَّنَبِ

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : « إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعقْلُونَ »(٥) .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

فى الوفادة عن بنى عامر

وقَدِم على رسول الله ﷺ وفدُ بنى عامر ، فيهم عامر بن الطُّفَيل وأربد ابن قَيْس بن جَزْء(٦) بن خالد بن جعفر ، وجَبَّار بن سَلْمَى بن مالك بن جعفر ،

---

(١) لمؤتى له : لموفق له .

(٢) فى ظهرهم : فى إبلهم . أنظر لسان العرب

(٣) الهلباء : يريد بها دبره ، من الهلب ، وهو الخشين من الشعر . الهلب : الشعر كله وقيل هو ما غلظ من الشعر . لسان العرب ص ٧٨٦ حـ ١

(٤) الرهو : المتسع . والنواجد : الأسنان . ومقع على الذنب : جالس على إليتيه ، صام ساقيه يمد دنبه حلفه .

(٥) سورة الححرات آية ٤

(٦) كذا في الأصول . وقال أبو در : « وأربد س قيس س حزى ، كدا وقع هنا فى الأصل ، ودكره أبو عبيد عن اس الكلبى فقال : أس حرء » .

وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينَهم .

تدبير عامر للغدر بالرسول :

تقَدم عامرُ بن الطُّفَيْل عدوُّ الله ، على رسول الله ﷺ ، وهو يريد الغدرَ به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن النَّاس قد أسلَموا فأسلم . قال : والله لقد كنتُ آليتُ أن لا أنتهَى حتى تِتْبع العربُ عقِبى ، أفأنا أتْبعُ عَقِب هذا الفتى من قُريش ! ثم قال لأربد : إذا قدِمنا على الرجل ، فإنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فأعْله(١) بالسيف ؛ فلما قدِموا على رسول الله ﷺ ، قال عامر بن الطُّفَيل : يا محمد ، خالنِى(٢) ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده . قال : يا محمد خالنِى . وجعل يكلِّمه وينتظر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أرْبد لايحيرُ شيئا ؛ قال : فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالنِى قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له ، فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال: أما والله لأمْلأنَّها عليك خَيْلا ورجالا ؛ فلما وَلى قال رسول الله ﷺ : اللهمّ اكفنى عامرَ بن الطُّفَيل . فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ ، قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك . وايمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبدا . قال : لا أبالك ! لا تَعْجَلْ علىّ ، والله ماَهَممْت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دَخَلْتَ بينى وبين الرجل ، حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه :

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر بن الطُّفَيل الطاعون فى عُنُقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى

---

(١) أعله بالسيف : اقتله به .

(٢) خالنى (بتخفيف اللام) : تفرد لى خاليا حتى أتحدث معك و (بتشديد اللام) ٠ اتخذنى خليلا وصاحبا ؛ من المخالة ، وهى الصداقة

سَلُول ، فجعل يقول : يا بنى عامر ، أغُدة[١] كغُدة البكر[٢] فى بيت امرأة من بنى سَلُول ! قال ابن هشام : ويقال أغُدّة كغدة الإبل ، وموتا فى بيت سُلولية .

موت أربد بصاعقة وما نزل فيه وفى عامر :

قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين وارَوه ، حين قَدِموا أرض بنى عامر شاتين ؛ فلما قَدِموا أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أرْبد ؟ قال : لا شىء والله ، لقد دعانا إلى عبادة شىء لوَدِدْتُ أنه عندى الآن ، فأرمِيه بالنَّبل حتى أقْتُلَهُ ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة ، فأحْرَقتهما . وكان أربدُ بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمّه .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ، قال : وأنزل الله عزّ وجلّ فى عامر وأربد : ﴿ **اللهُ يَعْلَمُ ماتَحْمِلُ كُلُ أنْثى ومَا تَغِيضُ الأرْحام ومَا تَزْدَادُ** ﴾ ... إلى قوله ﴿ **ومَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَال** ﴾[٣] قال : المُعَقِّباتُ : هى من أمر الله يحفظون محمداً . ثم ذكر أربد وما قتله الله به ، فقال : ﴿ **وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **شَدِيدُ المِحالِ** ﴾[٤] .

(شعر لبيد فى بكاء أربد) :

قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكى أربد :

ما إن تُعَدّى المَنونُ مِنْ أحَدِ   لا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلا وَلَدِ[٥]

أخْشَى على أرْبَدَ الحُتوفَ ولا   أرْهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأسَدِ

فَعينُ هَلاّ بَكَيت أرْبَدَ إذْ   قُمْنا وقامَ النِّساءُ فى كَبَدِ[٦]

---

(١) الغدة : داء يصيب البعير فيموت منه . وهو شبيه بالذبحة التى تصيب الإنسان .

(٢) البكر : الفتى من الإبل . وإنما تأسف عامر أن لم يمت مقتولا ، كما يتأسف الشجعان ، وتأسف أيضا على موته فى بيت امرأة من سلول ، لأن بنى سلول قبيل موصوف عندهم باللؤم ، وليس ذلك للؤم أصولهم ، ، لأن مكانهم من قومهم مشهور ، وإنما هو الشىء غلب عليهم كما غلب على محارب وباهلة .

(٣) الآيات من ٨ - ١١ من سورة الرعد

(٤) الآية ١٣ من سورة الرعد

(٥) تعدى إترك

(٦) كبد : حزن ومشقة

قدوم ضمام بن ثعلبة وافدا عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلا منهم ، يُقال له ضمِام بن ثعلبة .

سؤاله للرسول أسئلة ثم إسلامه :

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن الوليد بن نُويْفِع عن كُريب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضمِام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله ﷺ ، فقدم عليه ، وأناخ بعيرَه على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالسٌ فى أصحابه ؛ وكان ضمام رجلاً جَلْدًا أشعرَ ذا غَديرتَين(١) ، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ فى أصحابه ، فقال أيكم ابنُ عبد المطلب ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطّلب . قال : أمحمد ؟ قال : نعم ؛ قال : ياابن عبد المطَّلب ، إنى سائلك وَمُغلِّظ عليك فى المسألة ، فلا تَجِدَنَّ(٢) ، فى نفسك ، قال : لا أجد فى نفسى ، فَسَلْ عما بدا لك . قال أنشدُك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللَّهمّ نعم ؛ قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لانُشرك به شيئا ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعْبدون معه ؟ قال : اللهمّ نعم ، قال : فأنشُدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نصلِّىَ هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهمّ نعم ؛ قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة . الزكاة والصيام والحجّ وشرائع الإسلام كلها ، يَنْشُدُه عند كلّ فريضة منها كما ينشُده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ؛ وسأؤدىّ هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتنى عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى

---

(١) العديرة : الذؤابة من الشعر

(٢) فلا تحدن فى نفسك : فلا تحدث بها علىّ

بعيره راجعا . قال : فقال رسول الله ﷺ : إن صدق ذو العَقِيصتين[1] دخل الجنة .

دعوته قومه للإسلام :

قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أوّل ما تكلم به أن قال : بئست اللاتُ والعُزّى ! قالوا : مه يا ضِمام ! اتق البَرص ، اتق الجُذام ، اتق الجُنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لا يضرّان ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ، ومانهاكم عنه ، قال فوالله ما أمسى من ذلك اليوم فى حاضره[2] رجلٌ ولا امرأة إلا مسلما .

قال : يقول عبد الله بن عبّاس : فمَا سمعنا بوافد قومٍ كان أفضل من ضِمام من قبله .

قدوم الجارود فى وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو حلش أخو عبد القَيْس .

قال ابن هشام : الجارود بن بشر بن المُعَلّى فى وفد عبد القيس وكان نصرانيا .

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلّمه ، فعَرَض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغّبه فيه ، فقال : يا محمد ، إنى قد كنت على دين ، وإنى تارك دينِى لدينك ، أفتضمن لى دينى ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ نعم ، أنا ضامن إن قد هداك

---

(١) العقيصتان : الضفيرتان من الشعر

(٢) الحاضر : الحىّ

الله إلى ما هو خير منه . قال : فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسول الله ﷺ الحُمْلان[1] ، فقال والله ما عندى ما أحملكم عليه . قال : يا رسول الله ، فإن بيننا وبين بلادنا ضَوالّ من ضوالّ الناس : أفنتبلَّغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا ، إياك وإياها ، فإنما تلك حَرَق النار .

فخرج من عنده الجارود راجعا إلى قومه ، وكان حسن الإسلام ، صُلْبا[2] على دينه حتى هَلك وقد أدرك الرِّدَّة ، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغَرور[3] بن المنذر بن النُّعمان بن المنذر ، قام الجارود فتكلَّم ، فتشهَّد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام فقال : أيها الناس ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأكفِّر من لم يشهد .

قال ابن هشام : ويروى : وأكفى من لم يشهد .

إسلام ابن ساوى :

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ بعثَ العَلاء بن الحَضْرمّى قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوَى العَبْدى ، فأسلم فحسُن إسلامه ، ثم هَلك بعد رسول الله ﷺ قبل ردّة أهل البَحْرين ، والعلاء عنده أميرًا لرسول الله ﷺ على البَحْرين .

قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقَدِم على رسول الله ﷺ وفد بنى حَنيفة ، فيهم مسُيلمة بن حَبِيب الحنفىّ الكذّاب .

قال ابن هشام : مسُيَلِمة بن ثمامة ، ويكنى أبا ثمامة .

---

(١) الحملان : ما يركبون عليه من دواب .

(٢) صلبا : « صليبا » .

(٣) الغرور : اسمه المنذر ، سمى كذلك لأنه غر قومه يوم حرب الردة (السهيلى) .

ما كان من الرسول لمسيلمة .

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجَّار ، فحدثنى بعضُ علمائنا من أهل المدينة : أن بنى حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثِّياب ، ورسول الله ﷺ جالس فى أصحابه . معه عَسِيب[1] من سَعَف النخل ، فى رأسه خُوصات ؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، وهم يَستَرونه بالثِّياب ، كلَّمه وسأله ، فقال له رسول الله ﷺ : لو سألتنى هذا العسيبَ ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى شيخٌ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا . زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله ﷺ ، وخلَّفوا مُسيلِمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يارسول الله ، إنا قد خَلَّفنا صاحبا لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمَر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمَر به للقوم ؛ وقال : أمَا إنه ليس بشرّكم مكانا ؛ أى لحفظه ضيْعة أصحابه ، وذلك الذى يريد رسول الله ﷺ .

ارتداده وتنبؤه :

قال : ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ : وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عدوّ الله وتنبَّأ وتكَذَّب لهم ، وقال : إنى قد أُشْرِكْتُ فى الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له : أما إنه ليس بشرّكم مكانا ؛ ماذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أُشركت فى الأمر معه ؛ ثم جعل يَسْجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة[2] للقرآن : « لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق [3] وحَشَى » . وأحلّ لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد

---

(١) العسيب : حريد النحل . أنظر لسان العرب ص ٥٩٩ ج ٢

(٢) مضاهاة : متشابهة . وصاهاه . شاكله ، وضهيك ، شبيهك . أنطر ترتيب القاموس ص ٤٣ ح ٣

(٣) الصفاق · مارق من البطن . ما بين الجلد والمصران ، ومراق البطن . أنظر لسان العرب ص ٢٠٣ ج ١٠

لرسول الله ﷺ بأنه نبّى ، فأصْفَقَتْ[1] معه حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أىُّ ذلك كان .

قدوم زيد الخيل فى وفد طيىء

إسلامه وموته :

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسول الله ﷺ وفد طيىء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ؛ فلما انتهوا إليه كلَّموه ، وعرض عليهم رسولُ الله ﷺ ، الاسلام ، فأسلموا ، فحسن إسلامهم ، وقال رسول الله ﷺ : كما حدثنى من لا أتهم من رجال طيىء ؛ ما ذُكر لى رجلٌ من العرب بفضل ، ثم جاءنى ، إلا رأيته دون ما يُقال فيه ، إلا زيد الخيل : فإنه لم يبلغ كلّ ما كان فيه ، ثم سمّاه رسولُ الله ﷺ زيدَ الخير ، وقطع له فَيْدا[2] وأرَضِينَ معه ؛ وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعا إلى قومه ؛ فقال رسول الله ﷺ : إن ينج زيد من حُمَّى المدينة فإنه قال : قد سّماها رسول الله ﷺ باسم غير الحمى ، وغير أمّ مَلْدم[3] فلم يثبته - فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فَردة ، أصابته الحُمَّى بها فمات ، ولما أحسّ زيد بالموتِ قال :

أمرتحلٌ قومى المشارقَ غُدْوَةً   وأُتْرَكُ فى بيتٍ بفَردةَ منجـد[4]
ألا رُبَّ يومٍ لو مَرِضتُ لعادَنِي   عوائدُ من لم يُبْرَ منهن يَجْهَدَ[5]

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كُتبه ، التى قطع له رسول الله ﷺ ، فحرّقتها بالنار .

---

(١) أصفقوا على دلك : أحمعوا عليه . الصفقة الاجتماع على التسىء أنظر لسان العرب ص ٢٠١ ح ١٠

(٢) فيد · اسم مكان بشرقى سلمى أحد حبل طيىء . وهو الدى ينسب إليه خمى فيد . (البكرى) .

(٣) قال السهيلى فى (الروض ٢ : ٣٤٢) الاسم الدى دهب عن الراوى من أسماء الحمى هو : أم كلبة (بضم الكاف) دكر لى أن أبا عبيدة دكره فى مقاتل الفرسان ، ولم أره

(٤) منجد : أى نجد .

(٥) يبرى (بالبناء للمجهول) أى يبريه السفر ويضعفه .

أمر عدى بن حاتم

هربه إلى الشام فرارا من الرسول وأسر ابنه حاتم :

وأما عدىّ بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغنى : ما من رجل من العرب كان أشدّ كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرأ شريفا ، وكنت نَصْرانيا ، وكنت أسيرُ فى قومى بالمِرباع[1] ، فكنتُ فى نفسى على دين ، وكنت مَلكا فى قومى ، لما كانَ يُصنع بى . فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربىٍّ ، وكان راعيا لإبلى : لا أبا لك ، أعددْ لى من إبلى أجمالا ذُلُلا[2] سِمانا ، فاحتبسْها قريبا منى ، فاذا سمعتَ بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذّنى ؛ ففعل ؛ ثم إنه أتانى ذات غداة ، فقال : يا عدّى ، ما كنتَ صانعا إذا غشيتْك خيل محمد ، فاصنعه الآن ، فانى قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرّب إلىّ أجمالى ، فقرّبها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : أَلْحَقُ بأهل دينى من النَّصارى بالشام فسلكتُ الحَوشية ، ويقال : الجوشية[3] فيما قال ابن هشام ـ وخلفت بنتا لحاتم فى الحاضر[4] ؛ فلما قَدِمت الشام أقمتُ بها .

وتُخالفنى خيلٌ لرسول الله ﷺ ، فتُصيب ابنة حاتم ، فيمن أصابت ، فقُدم بها على رسول الله ﷺ فى سبايا من طِّيىء ، وقد بلغ رسول الله ﷺ هربى إلى الشام ، قال : فجُعِلَتْ بنت حاتم فى حظيرة[5] بباب المسجد ، كانت السَّبايا يُحْبَسْن فيها ، فمرّ بها رسول الله ﷺ ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جزلة ، فقالت : يا رسول الله ، هَلك الوالد ، وغاب الوافد[6] فامُننْ علىَّ مَنّ

---

(١) أسير بالمرباع : أى آخذ الربع من الغنائم ، لأنى سيدهم .

(٢) ذلل : جمع ذلول ، وهو الجمل السهل الذى قد ريض .

(٣) الحوشية : جبل للضباب قرب ضرية من أرض نجد .

(٤) بنت حاتم هذه : هى سفانة كما رجحه السهيلى ، إذ لا يعرف له بنت غيرها . والحاضر : الحى .

(٥) الحظيرة : شبيهة بالزرب الذى يصنع للإبل والغنم ليكفها . الموضع الذى يحاط عليها لتأوى إليه الغنم والإبل . أنظر لسان العرب ص ٢٠٤ ج ٤ .

(٦) الوافد : وفد : زار الوافد : الزائر . أنظر لسان العرب ص ٤٦٥ ج ٣

الله عليك . قال : وَمَنْ وافدك ؟ قالت : عَدِىّ بن حاتم . قال الفارّ من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله ﷺ وتركنى ، حتى إذا كان من الغد مرَّبى ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لىْ مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مرَّبى وقد يئست منه ، فأشار إلَىّ رجل من خلفه أنْ قومى فكلِّميه ؛ قالت : فقمت إليه ، فقلت : يا رسول الله هَلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامُننْ علىَّ منَّ الله عليك ؛ فقال ﷺ : قد فعلتُ ، فلا تعجَلى بخروج حتى تجِدى من قومك من يكون لك ثِقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذنينى . فسألت عن الرجل الذى أشار إلّى أن أكلمه ، فقيل : علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بَلّى أو قُضاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتِي أخى بالشام . قالت : فجئت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، قد قَدِم رَهْط من قومى ، لى فيهم ثِقة وبلاغ . قالت : فكسانى رسول الله ﷺ ، وحَمَلنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قَدِمت الشام .

إشارة ابنة حاتم على عدى بالإسلام :

قال عدىّ : فوالله إنى لقاعد فى أهلى ، إذ نظرت إلى ظَعينة[١] تَصُوب إلّى[٢] تؤمنا ، قال : فقلت ابنةُ حاتمٍ ، قال : فإذا هى هى ، فلما وقفت على انسحلت تقول : القاطع الظالم ، احتملتَ بأهلك وولدك ، وتركت بقيَّة والدِك عورتَك قال : قلت : أىْ أُخَيَّة ، لا تقولى إلا خيرا ، فوالله مالى من عُذر ، لقد صنعتُ ما ذكرت . قال : ثم نزلت فأقامت عندى ، فقلت لها : وكانت امرأة حازمة ، ماذا تَرَين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تَلْحق به سريعا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملِكا فلن تَذِلّ فى عزّ اليمن ، وأنت أنت . قال : قلت : والله إن هذا الرأى .

---

(١) الظعينة : المرأة فى هودجها ، وقد تسمى ظعينة وإن لم تكن فيه . أنظر لسان العرب ص ٢٧١ ج ١٣

(٢) تصوب إلى : تقصد وتؤم . أنظر لسان العرب ص ٥٣٦ ج ١

(٣) انسحلت : أخذت فى اللوم ومضت فيه مجدة . أنظر لسان العرب ص ٣٣٠ ج ١١

قدوم عدى على الرسول وإسلامه :

قال : فخرجت حتى أقْدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ، فسلَّمت عليه ، فقال : مَن الرجل ؟ فقلت : عدىّ بن حاتم ؛ فقام رسول الله ﷺ ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بى إليه ، إذ لَقيته امرأةٌ ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تُكلِّمه فى حاجتها ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بملك ؛ قال : ثم مضى بى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بى بيته ، تناول وسادة من أدم مَحْشوَّة ليفا ، فقذفها إلىّ ؛ فقال : اجلسْ على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها ، فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدى بن حاتم أنك ركوسِيا[1] ؟ قال : قلت : بلى . (قال) : أو لم تكن تسيرُ فى قومك بالمِرْباع ؟ قال : قلت : بلى ، قال : فان ذلك لم يكن يَحل لك فى دينك ؛ أجل والله ، وقال : وعرفت أنه نبىّ مُرْسَل ، يعلم ما يُجْهَل ؛ ثم قال : لعلك يا عدى إنما يَمنعك من دُخولٍ فى هذا الدين ما تَرَى من حاجتهم ، فوالله لَيُوشكَنَّ المالُ أن يَفيض فيهم حتى لا يُوجَد من يأخذه ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم ، فوالله لَيُوشكَنَّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسيَّة على بعيرها (حتى) تزور هذا البيت ، لا تخاف ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه أنك ترى أن المُلك والسلطان فى غيرهم ، وأيمُ الله ليوشكنّ أن تسمع بالقُصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم ؛ قال : فأسلمت .

وقوع ما وعد به الرسول عديا :

وكان عدىّ يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونَنّ ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابلَ قد فُتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسيَّة على بعيرها لا تخاف حتى تحجّ هذا البيت ، وأيمُ الله لتكونَنّ الثالثة ، لَيَفِيضَنّ المالُ حتى لا يُوجد من يأخذه .

---

(١) الركوسى : من الركوسية ، وهم قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين . أنظر لسان العرب ص ١٠١ ح ٦

قدوم فروة بن مسيك المرادى

قال ابن إسحاق : وقَدم فُروة بن مُسيَك المُرادى على رسول الله ﷺ مفارقا لملوك كندة . ومباعدًا لهم ، إلى رسول الله ﷺ .

وقد كان قُبيل الإسلام بين مراد وَهمْدان وقعة ، أصابت فيها هَمْدان من مرادَ ما أرادوا ، حتى أثخنوهم[1] فى يوم كان يقال له : يوم الرَّدْم ، فكان الذى قاد هْمدان إلى مراد الأجدعُ بن مالك فى ذلك اليوم .

قال ابن هشام : الذى قاد هَمْدان فى ذلك اليوم مالك بن حَريم الهَمْدانى .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، قال له رسولُ الله ﷺ ، فيما بلغنى : يا فروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرَّدْم ؟ قال : يا رسول الله ، مَنْ ذا يصيب قومَه مثل ما أصاب قومى يوم الردم لا يسوءه ذلك ! فقال رسول الله ﷺ له : أمَا إن ذلك لم يزد قومَك فى الإسلام إلا خيرا .

واستعمله النبىّ ﷺ على مراد وزُبيد ومَذْحِجَ كلها ، وبعث معه خالد ابن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله ﷺ .

قدوم عمرو بن معديكرب فى أناس من بنى زبيد

وقَدِم على رسول الله ﷺ عمرو بن معديكرِبَ فى أناس من بنى زُبيد ، فأسلم ؛ وكَان عمرو قد قال لقيس بنِ مكشوح المُرادىّ ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ : يا قيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذُكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول إنه نبىّ ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبيًّا كما يقول ، فإنه لن يخفى عليك ، وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا عِلمه ، فأبى عليه قيس ذلك ، وسفَّه رأيه ، فركب عمرو

---

(١) أثخنوهم : أكثروا القتل فيهم والجرح وفى التنزيل العزيز : « حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق » قال أبو العباس : معناه غلبتموهم وكثر فيهم الجرح أنظر لسان العرب ج ١٣ ص ٧٦

ابن مَعْدِ يكربَ حتى قَدِم على رسول الله ﷺ ، فأسلم ، وصدَّقه وآمن به . فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عَمْرًا ، وتحطَّم عليه[1] ، وقال : خالفنى وترك رأيى ؛ فقال عمرو بن معديكربَ فى ذلك :

أَمرتُكَ يَوْمَ ذِى صنَعْاء أَمْرًا باديا رَشَدُهْ[2]
أَمَرْتُكَ باتِّقاءِ الله والمَعْرُوفِ تَتَّعِدهُ

ارتداده وشعره فى ذلك :

قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معديكرب فى قومه من بنى زبيد وعليهم فُروة بن مُسيك . فلما توفى رسول الله ﷺ ارتدّ عمرو بن معديكربَ .

قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسول الله ﷺ الأشعثُ بن قيس ، فى وفد كندة ، فحدثنى الزّهرىّ بن شِهَاب أنه قَدِم على رسول الله ﷺ فى ثمانين راكبا من كنِدة ، فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده ، وقد رَجَّلوا[3] جمَمهمُ[4] وتَكَحَّلوا ، وَعليهم جُبَبُ الِحَبرة ، وقد كففُوها[5] بالحَرير ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال : ألم تُسْلِموا ؟ قالوا : بَلى ؛ قال : فما بال هذا الحرير فى أعناقكم ؛ قال : فشقُّوه منها ، فألقَوْه .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله : نحن بنو آكل المُرار ، وأنت ابن آكل المُرار ؛ قال : فتبسّم رسول الله ﷺ ، وقال : ناسبُوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعةَ بن الحارث ، وكان العباس وربيعة رجلين

---

(١) تحطم عليه : اشتد عليه . أنظر ترتيب القاموس ص ٦٦٦ ح ١

(٢) دو صنعاء . موصع .

(٣) رجّلوا : الترجل والترجيل تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه أنظر لسان العرب ص ٢٧٠ ح ١١

(٤) حممهم : مجتمع شعر الرأس أنظر ترتيب القاموس المحيط ص ٥٣٢ ح ١

(٥) كففوها بالحرير : حمعوا حولها الحرير أنظر لسان العرب ص ٣٠١ ح ٩

تاجرين وكانا إذا شاعا فى بعض العرب ، فسُئلا ممن هما ؟ قالا : نحن بنو آكل المُرار ، يتعزّزان بذلك ، وذلك أن كِندة كانوا ملوكا . ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النَّضْر ابن كنانة ، لا نَقفو[1] أُمَّنا ، ولا ننتفى من أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتمّ يا معشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين .

قال ابن هشام : الأشعث بن قَيس من ولد آكل المُرار من قِبَل النساء ، وآكل المُرار : الحارث بن عمرو بن حجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث ابن مُعاوية بن ثور بن مُرَتِّع بن معاوية بن كندىّ ؛ ويقال كندة ، وإنما سمّى آكَل المُرار ، لأن عمرو بن الهَبولة الغسَّانى أغار عليهم ، وكان الحارث غائبا ، فغنم وسبى ، وكان فيمن سبى أم أُناس بنت عوف بن محلِّم . الشَّيبانى ، امرأة الحارث بن عمرو ، فقالت لعمرو فى مسيرة : لكأنى برجل أَدْلَمْ[2] أسود ، كأن مشافرَه مشافر بعير آكل مُرار[3] قد أخذ برقبتك ، تعنى الحارث ، فسمى آكل المُرار ، والمُرار : شجر . ثم تبعه الحارث فى بنى بكر ابن وائل ، فلحقه ، فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب .

قدوم صرد بن عبد الله الأزدى

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسول الله ﷺ صُردُ بن عبد الله الأزدىّ ، فأسلم ، وحسُن إسلامه ، فى وفد من الأزد ، فأمَّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه . وأمروه أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قِبَل اليمن .

---

(١) لانقفو أمنا : لا نتبع نسب أمنا أنظر لسان العرب ص ١٩٦ ج ١٥ وقد كان من جدات الرسول ﷺ من هى من ذلك القبيل ، منهن دعد بنت سرير بن تعلبة بن الحارث الكندى المذكور ، وهى أم كلاب بن مرة ، وقيل : بل هى جدة كلاب ، أم أمه هند ، وقد ذكر ابن إسحاق هندا هذه ، وذكر أنها ولدت كلابا (عن السهيلى) .

(٢) الأدلم : المسترخى الشفتين . وهو شديد السواد ترتيب القاموس ص ٢٠٦ ح ٢

(٣) المرار (بضم الميم) : نبت إذا أكلته الإبل تقنصت مشافرها ، لمرارته . أنظر لسان العرب ص ١٦٧ ح ٥

قتاله أهل جرش :

فخرج صُرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ ، حتى نزل بجرَش[1] ، وهى يومئذ مدينةٌ معلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضَوت[2] إليهم خَثْعَم ، فدخلوها معهم حين سَمِعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر ، ظنّ أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزما ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عَطَف عليهم ، فقتلهم قتلا شديدا .

اخبار الرسول وافدى جرش بما حدث لقومها

وقد كان أهل جُرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران ؛ فبيناهما عند رسول الله ﷺ عشيَّةً بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله ﷺ : بأىّ بلاد الله شَكْر ؟ فقام إليه الجُرشيان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كَشْر ؛ وكذلك يسميه أهلُ جُرَش ، فقال : إنه ليس بكَشْر ، ولكنه شَكْر ؛ قالا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : إن بُدُن الله لتُنْحر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله ﷺ ليَنْعِى لكما قومكما[3] فقوما إلى رسول الله ﷺ ، فاسألاه أن يدعوَ الله أن يرفع عن قومكما ، فقاما إليه ، فسألاه ذلك ، فقال : اللهمّ ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعَيْن إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يومَ أصابهم صُرَد بن عبد الله ، فى اليوم الذى قال فيه رسول الله ﷺ ما قال ، وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر .

---

(١) جُرَش · محلاف من مخاليف اليمن أنظر لسان العرب ص ٢٧٢ ح ٦

(٢) صوت إليهم : ضوى يضوى ضيًّا وضويًّا انضم ولجأ أنظر ترتيب القاموس المحيط ص ٤٦ ح ٣

(٣) نعى : نعى الميت ينعاه نعيا إذا أذاع موته وأخبره أنظر لسان العرب ص ٣٣٤ ح ١٥

إسلام أهل جرش :

وخرج وفدُ جُرَش حتى قَدِموا على رسول الله ﷺ فأسلموا ، وَحَمَى لهم حمًى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة وللمثيرة ، بقرة الحَرْث ، فمن رعاه من الناس فما لهم سُحْتٌ . فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد : وكانت خَثْعَم تُصِيب من الأزد فى الجاهلية ، وكانوا يَعْدُون[1] فى الشهر الحرام :

يا غَزْوَةً ما غَزَوْنا غيرَ خائِبـة ... فيها البِغالُ وفيها الخَيْل والحُمُرُ
حتى أتَيْنا حُمَيْرًا فى مَصانعها ... وَجمْعُ خثْعَمَ قَد شاعَتْ لها النُّذُرُ[2]
إذا وضعْتُ غَلِيلا كنتُ أحمِلــهُ ... فَمَا أُبالى أَدَانُوا بَعدُ أم كَفَرُوا[3]

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

وقَدِم على رسول الله ﷺ كتابُ ملوك حمْيَر ، مقْدَمَة من تَبوكَ ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كُلال ، ونعيم بن عبد كُلال ، والنُّعمانُ قيلُ[4] ذِى رُعين ومعَافرَ وَهمْدان ؛ وبعث إليه زُرْعة ذو يَزَنٍ مالك ابن مرّة الرَّهاوى باسلامهم ، ومفُارقتهم الشرك وأهله .

فكتب إليهم رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله النبى ، إلى الحارث بن عبد كُلال ، وإلى نعيم بن عبد كُلال ، وإلى النُّعمان ، (قَيلِ ذى رُعين ومَعافرَ وَهمْدان) أما بعد ذلكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولُكم منُقْلَبَنَا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم

---

(١) يعدون · يعتدون ويتحاورون أنطر لسان العرب ص ٣٣ ج ١٥
(٢) حمير : تصعير ترخيم لحمير ، شاعت : ذاعت أنطر لسان العرب ص ١٩١ ح ٨ ، والمصانع : الأبنية الضخمة وقال الأصمعى : العرب تسمى القُرى مصانع ، والمصانع : الحصون لسان العرب ٢١١ / ج ٨
(٣) الغليل : حر الجوف من عطش أو نحوه أنطر لسان العرب ص ٤٩٩ ح ١١
(٤) القيل : الملك من ملوك يتقبل من قبله من ملوكهم يشبهه وقال تعلب : الأقيال الملوك من عير أن يحص بها ملوك حمير أنطر لسان العرب ص ٥٨٠ ح ١١

به ، وخبَّرنا ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهُداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خُمُس الله ، وسهمَ الرسول وصَفيه[1] ، وما كُتب على المؤمنين من الصَّدقة من العَقار[2] ، عُشر ما سَقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغَرْب[3] نصف العشر ؛ وان في الإبل الأربعين ابنة لبون ، وفى ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر وفى كل خمس من الإبل شاة ، وفى كل عشر من الإبل شاتان ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ؛ وفى كلّ ثلاثين من البقر تَبيع ، جَذَع أو جذَعة ؛ وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، وإنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ؛ فمن زاد خيرًا فهو خير له ، ومن أدّى ذلك وأشهد على إسلامه ، وظاهر[4] المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمَّة الله وذمَّة رسوله ، وإنه من أسلم من يهُودىّ أو نصرانىّ ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ؛ ومن كان على يهوديته أو نصرانيتّه فإنه لا يُردَ عنها ، وعليه الجزية ، على كلّ حال ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ، دينارٌ واف ، من قيمة المعافر[5] أو عِوضَهُ ثيابا ، فمن أدَّى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإن له ذمَّة الله وذمَّة رسوله ، ومن منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله . أما بعد ، فإن رسول الله محمد النبى : أرسل إلى زُرعة ذى يزن أنْ إذا أتاكم رُسُلى فأُوصيكم بهم خيرا : معُاذُ بن جبل ، وعبدُ الله بن زيد ، ومالكُ بن عبُادة ، وعُقبة بن نمر ، ومالك بن مُرّة ، وأصحابهم وأنِ اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجِزْية من مخاليفكم ، وأبْلِغوها رُسلى ، وإن أميرهم مُعاذ بن جبل ، فلا يَنْقَلِبَنَّ إلاَّ راضيِا . أما بعد . فإن محمد يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بنَ مرَّة الرَّهاوى قد حدّثنى أنك أسلمتَ من أوّل حمير ، وقتلتَ

---

(١) الصفى : واصفاه : أخذ الرئيس صفيه من المغنم نفسه ما اصطفاه منه أساس البلاغة ص ٣٥٧

(٢) العقار : المنزل والضيعة يقال : ماله دار ولا عقار وفى الحديث من باع داراً أو عقاراً قال العَقار : الضيعة والنخل والأرض ونحو ذلك أنظر لسان العرب ص ٥٩٧ ج ٤

(٣) الغرب : دلو عظيم من مسك (جلد) الثور والجمع غُروبٌ أنظر لسان العرب ص ٦٤٢ ح ١

(٤) ظاهر : قوى وعاون : واستظهر به : استعان به وتظاهروا . تعاونوا أنظر لسان العرب ص ٥٢٥ ح ٤

(٥) المعافر : ثياب من ثياب اليمن تنسب إلى رجل من اليمن اسمه معافر بن مرة أنظر لسان العرب ص ٥٩٠ ح ٤

المشركين ، فأبْشر بخير وآمرك بحمير خيرا ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإنّ رسولَ الله هو ولىُّ غنيِّكم وفَقيركم ، وأن الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاة يُزَكَّى بها على فُقراء المسلمين وابن السبيل ، وأن مالكا قد بلَّغ الخبرَ ، وحفِظ الغَيب ، وآمركم به خيرا ، وإنى قد أرسلتُ إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأُولى علمهم ، وآمرك بهم خيرا ، فإنهم منظور إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصية الرسول معاذا حين بعثه إلى اليمن

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدِّث : أن رسول الله ﷺ حين بَعَث مُعاذا ، أوصاه وعَهِد إليه ، ثم قال له : يَسِّر ولا تعسِّر ، وبَشِّر ولا تنفِّر ، وإنك ستقدَم على قوم من أهل الكتاب ، يَسْئلونك ما مِفْتاح الجنة ؛ فقل : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ قال فخرج معاذ ، حتى إذا قَدِم اليمن قام بما أمره به رسول الله ﷺ ، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت يا صاحب رسول الله ، ما حقُّ زوج المرأة عليها ؟ قال : وْيحَك ! إن المرأة لا تقدر على أن تؤدّىَ حقّ زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت ، قالت والله لئن كنت صاحبَ رسول الله ﷺ إنك لتعلم ما حقّ الزوج على المرأة قال : ويحك ! لو رجعت إليه فوجدته تنْثَعب[1] مَنْخِراه قَيْحا ودما ، فمَصِصْت ذلك حتى تُذْهبيه ما أدّيت حقه .

إسلام فروة بن عمرو الجذامى

قال ابن إسحاق : وبعث فروةُ بن عمرو النافرة الجُذامى ، ثم النُّفاثى ، إلى رسول الله ﷺ رسولا بإسلامه ، وأهدى له بغلةً بيضاء ، وكان فروة عاملا للرُّوم على مَن يَليهم من العرب ، وكان منزله مُعان وما حولها من أرض الشام .

---

(١) تنتعب . ثعب الدم والماء يثعبه : فجره كما ينثعب الدم من الأنف ومنه حديث عمر رضى الله عنه : صلى وجرحه يثعب دماً أى سال . أنظر لسان العرب ص ٢٣٦ ح ١

فلما بلغ الرومَ ذلك من إسلامه ، طَلَبوه حتى أخذوه ، فحَبسوه عندهم فزعم الزهرىُّ بن شهاب ، أنهم لما قَدَّموه ليقتلوه قال :

بَلِّغْ سَرَاةَ المُسْلِمينَ بأنَّنــى سَلْمٌ لربِّى أعْظُمى ومقَامى

ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه على ذلك الماء ، يرحمه الله تعالى .

إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد لما سار إليهم :

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسولُ الله ﷺ خالد بن الوليد ، فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بنى الحارث بن كعب بنَجران وأمَره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقُاتلهم ثلاثا ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتِلهم . فخرج خالدٌ حتى قَدِم عليهم ، فبعث الرُّكبان يَضْربون فى كلّ وَجْه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس ، أسلموا تسلموا ، فأسلم الناسُ ، ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلّمهم الإسلام وكتابَ الله وسنَّة نَبيه ﷺ ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

كتاب خالد إلى الرسول يسأله رأيه فى البقاء أو المجىء :

ثم كتب خالدُ بن الوليد إلى رسول الله ﷺ : من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، يا رسول الله صلى الله عليك ، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث ابن كعب ، وأمرتنى إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم ، وقبلت منهم ، وعلَّمتهم معالِمَ الإسلام وكتابَ الله وسنَّة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنى قَدِمت عليهم فدعَوتُهم إلى الإسلام ثلاثةَ أيام ، كما أَمَرنى رسولُ الله ﷺ ، وبعثت فيهم رُكبانا ، قالوا : يا بنى الحارث ، أسلِموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مُقيم بين أظهُرهم ، آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلِّمهم معالم الإسلام وسنة النبىّ ﷺ حتى يكتب إلىّ رسول الله ﷺ ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

كتاب الرسول إلى خالد يأمره بالمجىء :

فكتب إليه رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبىّ رسول الله إلى خالد بن الوليد : سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإن كتابك جاءنى مع رسولك تُخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهُداه ، فبشِّرهم وأنذرهم ، وأقْبِلْ وليُقْبِلْ معك وفدُهم : والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ ، وأقبل معه وفدُ بنى الحارث بن كعب ، منهم قيس بن الحُصَين ذى الغُصة[1] ويزيد بن عبد المَدان ، ويزيد بن المحجَّل ، وعبد الله بن قُراد الزِّيادى ؛ وشدّاد بن عبد الله القَنانى ، وعمرو بن عبد الله الضّبابى[2] .

حديث وفدهم مع الرسول :

فلما قَدِموا على رسولِ الله ﷺ فرآهم ، قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ، قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب ؛ فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلَّموا عليه ، وقالوا : نشهد أنك رسولُ الله ، وأنه لا إله إلا الله ؛ قال رسولُ الله ﷺ : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله ﷺ : أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا ، فسكتوا ، فلم يراجِعْه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية . فلم يراجعه منهم أحد ثم أعادها الثالثة فلم يراجعه منهم أحد ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المَدان : نعم ، يا رسول الله ، نحن الذين إذا زجُروا استقدموا ، قَالَها أربَع مِرار ؛ فقال رسول

---

(١) سمى ذا الغصة ، لأنه كان إذا تكلم أصابه كالغصص . وهو لقب رجل من فرسان العرب انظر لسان العرب ص ٦٢ ج ٧

(٢) ضباب (بكسر الضاد) فى بنى الحارث بن كعب ، وفى قريش ، وفى بنى عامر بن صعصعة هـ (بالفتح) فى نسب النابغة الذبيانى . و (بالضم) فى بنى بكر (انظر السهيلى) .

الله ﷺ : لو أن خالدًا لم يكتب إلىّ أنكم أسلمتم ولم تُقاتلوا ، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم ؛ فقال يزيد بن عبد المَدان : أما والله ما حَمِدناك ولا حمدنا خالدا ، قال : فمن حَمِدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عزّ وجلّ الذى هدانا بك يا رسول الله ؛ قال : صدقتم . ثم قال رسولُ الله ﷺ : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدا ؛ قال بلى ، قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم ؛ قالوا : كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله إنا كنا نَجتمع ولا نَفْترق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ؛ قال : صدقتم وأمَّر رسول الله ﷺ على بنى الحارث بن كعب قيسَ بن الحُصَين .

فرجع وفدُ بنى الحارث إلى قومهم فى بقيَّة من شوّال ، أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومِهم إلا أربعة أشهر ، حتى تُوّفى رسول الله ﷺ ، ورحم وبارك ، ورضى وأنعم .

بعث الرسول عمرو بن حزم بعهده إليهم :

وقد كان رسولُ الله ﷺ بعث إليهم بعد أن وَلى وفدَهم عمرو بن حزم ، ليفقِّههم فى الدين ، ويعلمهم السُنَّة ومَعَالمَ الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتابا عهد إليه فيه عَهده ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا بيان من الله ورسوله ، يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبىّ رسول الله لعمرو بن حَزْم ، حين بعثه إلى اليمن ، أَمَره بتَقْوى الله فى أمره كلّه ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمره الله ، وأن يبشِّر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويُعَلِّم الناس القرآن ، ويفقِّههم فيه ، وينهى الناس ، فلا يمسّ القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ، والذى عليهم ، ويلينَ للنَّاس فى الحقّ ، ويشتدّ عليهم فى الظلم ، فإن الله كرِه الظلم ، ونهَى عنه ، فقال : « ألا لَعْنَةُ الله على الظَّالِمِينَ »[١] ويبشِّر الناس بالجنَّة وبعملها ، ويُنْذِرُ الناس النارَ وعملها ،

---

(١) سورة هود الآية ١٨

ويستألف الناس حتى يفقّهوا فى الدين ، ويعلّم الناس معالم الحجّ وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحجّ الأكبر : الحجّ الأكبر ، والحجّ الأصغر : هو العُمرة ؛ وينْهى الناس أن يصلّى أحدٌ فى ثوبٍ واحد صغير ، إلا أن يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه ؛ وينهى الناس أن يحتبى أحد فى ثوب واحد يفْضى بفَرْجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص[1] أحد شعر رأسه فى قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هَيْج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عزّ وجلّ وحدَه لاشريك له ، فمن لم يَدْعُ إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فَلْيُقْطَفُوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لاشريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ، ويُغَلِّس بالصبح ، ويهَجِّر بالهاجرة حين تميل بالشمس ، وصلاة العصر والشمس فى الأرض مُدْبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا يؤخر حتى تبدوَ النجوم فى السماء ، والعِشاء أوّل الليل ؛ وأمر بالسَّعى إلى الجمعة إذا نودِىَ لها ، والغَسِل عند الرّواح إليها ؛ وأمره أن يأخذ من المغانم خُمُس الله ؛ وما كتُب على المؤمنين فى الصَّدقة من العَقار عُشْرُ ماسَقَت العين وسقت السماء ، وعلى ما سَقَى الغُرْبُ نصف العُشر ؛ وفى كلّ عشر من الإبل شاتان ، وفى كلّ عشرين أربع شياه ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كلّ ثلاثين من البقر تَبيع ، جَذَع أو جَذَعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له ؛ وأنه من أسلم من يهودىّ أو نصرانىّ إسلاما خالصا من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فانه من المؤمنين ، له مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديتّه فإنه لا يُرَدُّ عنها ، وعلى كلّ حالم : ذكر أو أنثى ، حُرّ أو عبد ، دينارٌ وافٍ أو عوَضُه ثيابا .

---

(١) يعقص : من العقص وهو أن تلوى الحصلة من الشعر ثم تعقدها ثم ترسلها وفى حديث عمر بن الحطاب رضى الله عنه : من لبد أو عقص فعليه الحلق يعنى المحرمين بالحج أو العمرة وإنما جعل عليه الحلق لأن هذه الأشياء تقى الشعر من الشعث وتصوبه ، ألزمه حلقه بالكلية مبالغة فى عقوبته لسان العرب ص ٥٦ ج ٧

فمن أدَّى ذلك ، فإن له ذمَّة الله وذمَّة رسوله ، ومن منع ذلك ، فانه عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا ؛ صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

قدوم رفاعة بن زيد الجذامى

إسلامه وحمله كتاب الرسول إلى قومه :

وقَدِم على رسول الله ﷺ فى هُدنة الحُديْبية ، قبل خيبر ، رفاعة بن زيد الجُذامىّ ثم الضبيْبىّ ، فأهدى لرسول الله ﷺ غلاما ، وأسلم ، فحسن إسلامه ، وكتب له رسولُ الله ﷺ كتابا إلى قومه . وفى كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد . إنى بعثته إلى قومه عامَّة ، ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين .

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحَرّة : حَرَّة الرَّجْلاء ، ونزلوها .

قدوم وفد همدان

أسماؤهم وكلمة ابن نمط بين يدى الرسول :

قال ابن هشام : وقَدِم وفد هَمدان على رسول الله ﷺ ، فيما حدثنى من أثق به ، عن عمرو بن عبد الله بن أُذينه العبدى ، عن أبى إسحاق السَّبيعى ، قال : قَدِم وفد همدان على رسول الله ﷺ ، منهم مالك بن نَمْطَ ، وأبو ثور ، وهو ذو المِشْعار ، ومالك بن أَيْفع وضِمام بن مالك السَّلْمانى وَعمِيرة بن مالك الخارفىّ ، فلقوا رسول الله ﷺ مَرْجِعَه من تبوك وعليهم مقُطَعَّات الحِبَرات[1] ، والعمائم العدنية ، برحال الميْس[2] على المَهْرِيَّة[3] والأَرْحبَيَّة[4]

(١) المقطعات : المقطع من الثياب كل ما يفصل ويخاط من قميص وجلباب وسراويل وغيرها لسان العرب ص ٢٨٣ ج ٨ ، الحبرات جمع حبره وهو ضرب من ضروب اليمن لسان العرب ص ١٥٩ ج ٤

(٢) الميس : شجر تعمل منه الرحال التى تكون على ظهور الإبل لسان العرب ص ٢٢٥ ج ٦

(٣) المهرية : الإبل النجيبة تنسب إلى مهرة قبيلة باليمن لسان العرب ص ١٨٦ ج ٥

(٤) الأرحبية إبل تنسب إلى أرحب من قبائل همدان لسان العرب ص ٤١٦ ج ١

ومالك بن نَمطَ ورجل آخر .

فقام مالك بن نَمط بين يديه ، فقال : يا رسول الله ، نَصِّيةٌ[1] من هَمْدان ، من كلّ حاضر وباد ، أتَوْك على قُلصُ نَوَاج[2] ، متَّصلة بحبائل الإسلام ، لا تأخذهم فى الله لومةُ لائم ، من مخلاف[3] خارف ويام وشاكر[4] أهل السود والقود[5] ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا الإلهات[6] الأنصاب[7] ، عهدهم لايُنْقَض ما أقامت لَعْلَع[8] ، وما جرى اليعفور[9] بصَلَع[10] .

كتاب الرسول بالنهى :

فكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من رسول الله محمد ، لمخلاف خارف وأهل جنَاب الهَضْب وحقاف[11] الرمل ، مع وافدها ذى المشْعار مالك ابن نَمطَ ، ومن أسلم من قومه ، على أنَّ لهم فِراعها[12] ووِهاطَها[13] ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزّكاة ، يأكلون عِلافها[14] وَيَرْعون عافِيهَا[15] ، لهم بذلك عهدُ الله وذِمام رسوله ، وشاهدُهم المُهاجرون والأنصار .

---

(١) النصية . حيار القوم لسان العرب ص ٣٢٨ ج ١٥

(٢) القلص : الإبل الفتية لسان العرب ص ٨١ ج ٧

(٣) ، (٤) المخلاف · خارج المدينة وأطرافها ومنها حديث ذى المشعار من مخلاف خارف ويام وشاكر قبائل من اليمن . أنطر لسان العرب ٩٦ ج ٩

(٥) السود : الإبل ، والقود : الحيل يقال مرسا قود . لسان العرب ٣٧٠ ح ٣

(٦) الإلهات . حمع إلهة

(٧) الأنصاب : حجارة كانوا يدبحون لها لسان العرب ٧٥٩ ج ١

(٨) لعلع : حبل كانت بها وقعة وقيل هو ماء بالبادية . لسان العرب ٣٢٠ ح ٨

(٩) اليعفور : ولد الطبى . لسان العرب ٥٩٠ ح ٤

(١٠) وصلع : اسم موصع معجم البلدان

(١١) الحقاف : حمع حقف وهو ما اعوج من الرمل واستطال لسان العرب ٥٢ ج ٩

(١٢) الفراع : ما علا من الأرص وارتفع لسان العرب ٢٤٦ ح ٨

(١٣) الوهاط . المطمئن من الأرص المستوى ينبت فيه العضاه والمر والطلح لسان العرب ٤٣٤ ج ٧

(١٤) العلاف · ثمر الطلح لسان العرب ٢٥٦ ح ٩

(١٥) عافيها عفا النبت والشعر وعيره يعفو فهو عاف . كثر وطال . لسان العرب ٧٥ ح ١٥

ذكر الكذابَين مسيلمة الحنفى والأسود العنسى

قال ابن إسحاق : وقد كان تكلَّم فى عهد رسول الله ﷺ الكذابان مُسَيْلِمة ابن حَبيب باليمامة فى بنى حنيفة ، والأسود بن كعب العَنْسى بصَنعاء .

قال ابن إسحاق : حدّثنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيط ، عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبى سعيد الخُدْرىّ ، قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على مِنْبره ، وهو يقول : أيُّها الناس ، إنى قد رأيت ليلة القدر ، ثم أُنسيتها ، ورأيت فى ذراعىّ سوارين من ذهب ، فكرِهتهما ، فنفختُهما فطارا ، فأوَّلْتهما هذين الكذّابين : صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى هُريرة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا كلهم يدّعى النبوّة .

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات ، إلى كلّ ما أوطأ الإسلام من البُلْدان ؛ فبعث المهاجرَ بن أبى أميَّة ، ابن المغيرة إلى صَنعاء ، فخرج عليه العَنْسى وهو بها ، وبعث زياد بن لبَيد ، أخا بنى بَياضَة الأنصارى ، إلى حضرَ مَوْت وعلى صدقاتها ؛ وبعث عدىّ بن حاتم على طيىء وصدقاتها ، وعلى بنى أسد ؛ وبعث مالك بن نُويرة ـ قال ابن هشام : اليربوعى ـ على صدقات بنى حنظلة ، وفرّق صدقة بنى سعد على رجلين منهم ، فبعث الزِّبرقان بن بدر على ناحية منها ، وقيسَ بن عاصم على ناحية ، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمىّ على البحرين ، وبعث علىَّ بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى أهل نَجْران ، ليجمع صدقَتهم ويَقْدم عليه بِجِزْيَتِهِمْ .

كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مُسَيْلِمة بنُ حبيب ، قد كتب إلى رسول الله ﷺ : من مُسَيْلِمة

رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ؛ أما بعد ، فإنى قد أُشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصفَ الأرض ، ولقُريش نصف الأرض ، ولكن قُرَيشا قوم يَعْتدون .

فقَدِم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى شيخ من أشجع ، عن سَلَمة بن نُعيم بن مسعود الأشجعىّ عن أبيه نُعيم ، قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال فقال : أما والله لولا أنّ الرُّسل لا تقتل لضربت أعناقَكما .

ثم كتب إلى مسَيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى مسُيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهُدى . أما بعد ، فان الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وذلك فى آخر سنة عَشْر .

حجة الوداع

قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القَعدة ، جهَّز للحجّ ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبىّ ﷺ ، قالت : خرج رسول الله ﷺ إلى الحجّ لخمس ليال بقين من ذى القعدة .

وقال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى ، ويقال : سبِاع بن عُرْفُطَة الغِفارىّ .

ما أمر به الرسول عائشة فى حيضها :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : لا يذكر ولا يذكر الناس إلا الحَجّ ، حتى إذا كان

بسَرِف وقد ساق رسول الله ﷺ معه الهَدْى وأشرافٌ من أشراف الناس ، أمر الناس أن يُحلِوا بعمرة ، إلا من ساق الهَدْى ؛ قالت : وحِضْت ذلك اليوم ، فدخل علىّ وأنا أبكى ؛ فقال : مالك يا عائشة ؟ لعلك نُفِست ؟ قالت : قلت : نعم ، والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى فى هذا السفر ؛ فقال : لا تقولين ذلك ، فإنك تَقْضِين كلّ ما يقضى الحاجّ إلا أنك لا تطُوفين بالبيت . قالت : ودخل رسول الله ﷺ مكة ، فحل كلّ من كان لا هدى معه ، وحلّ نساؤه بعُمرة ، فلما كان يوم النحر أُتيتُ بلحم بقر كثير ، فطُرِح فى بيتى ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله ﷺ عن نسائه البقر ، حتى إذا كانت ليلة الحَصْبة ، بعث بى رسول الله ﷺ مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر فأعمرنى من التَّنعيم ، مكان عُمرتى التى فاتتنى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله ابن عمر ، عن حَفْصَة ابنة عمر ، قالت : لما أمر رسول الله ﷺ نساءَه أن يحللن بعُمرة ، قُلْن : فما يمنعك يا رسول الله أنْ تُحل معنا ؟ فقال : إنى أهديتُ ولبَّدْت[1] ، فلا أُحلّ حتى أنحر هَدْى .

موافاة علىّ فى قفوله من اليمن رسول الله فى الحج

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح : أن رسول الله ﷺ كان بعث عليًّا رضى الله عنه إلى نجران ، فلقيه بمكّة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ رضى الله عنها ، فوجدها قد حلَّت وتهيَّأت ، فقال : مالك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن نَحِلّ بعمرة فحللنا . ثم أتى رسول الله ﷺ ، فلما فرغ من الخَبر عن سَفره ، قال له رسول الله ﷺ ، انطلق فطُف بالبيت ، وحِلّ كما حَلّ أصحابك ؟ قال : يا رسول الله إنى

(١) لبَّدْت : أى وصعت فى شعرى شيئا من صمغ عند الإحرام لئلا يشعث ويقمل ، وإنما يلبد من يطول مكثه فى الإحرام انظر لسان العرب ص ٣٨٦ ح ٣

أهللتُ كما أهللتَ ؛ فقال : ارجع فاحلِلْ كما حلّ أصحابُك ؛ قال : يا رسول الله ، إنى قلت حين أحرمتُ : اللهمّ إنى أُهِلّ بما أهَلّ به نبيُّك وعبدك ورسولك محمد ﷺ ؛ قال : فهل معك من هَدْى ؟ قال : لا . فأشركه رسول الله ﷺ فى هَدْيه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ ، حتى فرغا من الحجّ ، ونحر رسول الله ﷺ الهدى عنهما .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمره ، عن زيد بن طلحة بن يزيد بنُ ركانة ، قال : لما أقبل علىّ رضى الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله ﷺ بمكة ، تعجَّل إلى رسول الله ﷺ واستخلف على جُنده الذين معه رجلا من أصحابه ، فعَمد ذلك الرجل فكَسا كلَّ رجل من القوم حُلَّة من البَزّ(١) الذى كان مع علىّ رضى الله عنه . فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فاذا عليهم الحُلل ؛ قال : ويلك ! ما هذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجمَّلوا به إذا قدموا فى الناس ؛ قال : ويلك ! إنزِع قبل أن تنتهَى به إلى رسول الله ﷺ . قال : فانتزع الحُلل من الناس ، فردّها فى البزِّ ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صُنِع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم ، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عُجْرة عن عَمته زينب بنت كَعْب ، وكانت عند أبى سعيد الخُدْرِىّ ، عن ابى سعيد الخدرى قال : اشتكى الناس عليًّا رضوانُ الله عليه ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبا ، فسمعته يقول : أيها الناس ، لاتشكوا عليًّا ، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله ، أو فى سبيل الله ، من أن يشكى .

خطبة الرسول فى حجة الوداع :

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله ﷺ على حجِّه ، فأرى الناسَ مناسِكهم ، وأعلمهم سُنَن حَجِّهم ، وخطب الناس خطبته التى بَيَّن فيها ما بَين ،

---

(١) البزّ : ضرب من الثياب . لسان العرب ٣١١ ح ٥

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألْقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدًا ؛ أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلْقَوا ربكم ، كحُرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلْقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلَّغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى مَن ائتمنه عليها ، وإن كلّ ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون . قضى الله أنه لاربا ، وإن رِبا عبَّاس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أوّل دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مُسترضعا فى بنى ليث ، فقتلته هذيل ، فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس ، فإنّ الشيطان قد يَئس من أن يُعْبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنَّه إن يُطَع فيما سوى ذلك فقد رَضى به مما تَحْقِرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : « **إنما النَّسىء زِيادَة فِي الكُفْرِ ، يُضَلُّ به الذِّينَ كَفَرُوا ، يُحلُّونَهُ عاما ويُحَرِّمُونَهُ عاما ، لِيُوَاطئُوا عدَّةَ ما حرَّم الله ، فَيُحلُّوا ما حَرَّمَ الله**[1] » وَيَحرّمُوا ما أحَلَّ الله ، وإن الزَّمان قد استدار كهيئته يوْمَ خلق الله السمواتِ والأرضَ ، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعةٌ حُرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر[2] الذى بين جُمادى وشعبان . أما بعد أيها الناس ، فان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهنّ أن لا يوطئن فُرُشَكُمْ أحدا تكرهونه ، وعليهنّ أن لا يأتين بفاحشة مبيِّنة ، فان فعلن فانّ الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ فى المَضاجع وتَضْربوهنّ ضربًا غير مُبَرِّح[3] فان انتهين فلهنّ رزقُهنّ وكُسوتهنّ بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهنّ عندكم عَوَانٍ[4] لا يمْلكن لأنفسهنّ شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهَنّ بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قوْلى ، فانى

---

(١) التوبة الآية ٣٧

(٢) ورحب مصر : إىما قال دلك لأں ربيعة كاىت تحرم رمضاں ، وتسميه رحىا ، فبين عليه الصلاة والسلام أىه رحب مصر لا رحب ربيعة ، وأىه الدى بيں حمادى وشعباں .

(٣) عير مدرح . غير شديد لساں العرب ٤١١ ح ٢

(٤) عواں . حمع عاىيه : وهى الأسيرة . لساں العرب ١٠٢ ح ١٥

قد بلَّغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا ، أمرا بيِّنا ، كتابَ الله وسنَّة نبيه . أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلَّمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المُسلمين إخوة ، فلا يحلّ لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طِيب نفس منه ، فلا تظلِمنَّ أنفسكم ؛ اللهمّ هل بلَّغت ؟

فذُكر لى أن الناس قالوا : اللهمّ نعم ؛ فقال رسولُ الله ﷺ : اللهم اشهد .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبادٍ قال : كان الرجل الذى يصرخ فى الناس يقول رسولُ الله ﷺ وهو يعرفه ، ربيعةَ بن أُميَّة بن خلف . قال : يقول له رسولُ الله ﷺ : قل يأيها الناس ، إن رسول الله ﷺ يقول : هلاتدرون أىّ شهر هذا ؟ فيقول لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ؛ فيقول : قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحُرمة شهركم هذا ؛ ثم يقول : قل : يأيها الناس ، إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرونَ أىّ بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ؛ قال : فيقولون البلد الحرام ؛ قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحُرمة بلدكم هذا ؛ قال : ثم يقول : قل : يأيها الناس ، إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرون أىّ يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم فيقولون . يوم الحجّ الأكبر ؛ قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقَوا ربكم كحُرمة يومكم هذا .

رواية ابن خارجة عما سمعه من الرسول فى حجة الوداع :

قال ابن إسحاق : حدثنى ليث بن أبى سُلَيمٍ عن شَهْر بن حوشب الاشعرى ، عن عمرو بن خارجة قال : بعثنى عَتَّاب بن أُسَيد إلى رسول الله ﷺ فى حاجة ، ورسول الله ﷺ واقف بعَرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله ﷺ ، وإن لُغامها(١) ليقع على رأسى ، فسمعته هو يقول : أيها الناس ، إن الله قد أدّى إلى كلّ ذى حقّ حقه ، وإنه لاتجوز وصيَّة لوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحَجر ، ومن ادّعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير

(١) اللغام . الرغوة التى تحرج على فم البعير . ترتيب القاموس مادة لغم ص ١٥٤ ج ٤

مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرفًا ولا عدلا .

بعض تعليم الرسول فى الحج :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الله بن أبى نجيح : أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجَبل الذى هو عليه ، وكلّ عرفة موقف . وقال حين وقف على قُزَح(١) صبيحة المزدلفة . هذا الموقف ، وكلّ المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر بمِنى قال : هذا المنحر ، وكلّ مِنى منحر ، فقضى رسولُ الله ﷺ الحجَّ وقد أراهم مناسكهم . وأعلَمهم ما فرَض الله عليهم من حجهم : من الموقف ، ورَمىِ الجِمار ، وطواف بالبيت ، وما أُحلّ لهم من حجهم ، وما حُرّم عليهم ، فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحجّ بعدها .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق : ثم قفل رسولُ الله ﷺ ، فأقام بالمدينة بقيّة ذى الحجَّة والمحرّم وصفر ، وضرب على الناس بعثا إلى الشام ، وأمَّر عليهم أُسامة بن زيد بن حارثة مولاه ؛ وأمره أن يُوطىء الخيْل تخوم البَلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهّز الناس ، وأوعب(٢) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأوّلون .

خروج رسول الله إلى الملوك

قال ابن هشام : وقد كان رسولُ الله ﷺ بعث إلى الملوك رسلا من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به عن أبى بكر الهُذَلىّ قال : بلغنى أن رسول الله ﷺ خرَج على أصحابه ذات يوم بعد عُمرته التى صدّ عنها يوم

---

(١) قزح (بضم ففتح) جبل بالمزدلفة

(٢) أوعب المهاجرون : جمعوا ما استطاعوا من جمع . لسان العرب ٧٩٩ ج ١

الحُديبية ، فقال : أيها الناس ، إن الله قد بعثنى رحمة وكافَّة ، فلا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم فقال أصحابه وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مَبْعثا قريبا فَرَضى وسَلِم ، وأما من بعثه مَبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتثاقلون وكلّ واحد منهم يتكلم بلغة الأمَّة التى بُعث إليها .

أسماء الرسل ومن أرسلوا إليهم(١) :

فبعث رسولُ الله ﷺ رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دحْية بن خليفة الكلبى إلى قيصر ، ملك الروم ؛ وبعث عبد الله بن حُذافة السَّهمىّ إلى كِسرى ، ملك فارس ؛ وبعث عمرو بن أُميَّة الضَّمْرى إلى النَّجاشى ، ملك الحبشة ، وبعث حاطِب بن أبى بَلْتعة إلى المُقَوْقِس ، ملك الإسكندرية ؛ وبعث عمرو بن العاص السَّهمى إلى جيَفر وعياد ابنى الجُلَندى الأزْديين ، ملكى عُمان ؛ وبَعث سَلِيط بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لؤىّ ، إلى ثُمامة بن أُثال ، وهَوْذة بن علىّ الحنفيين ، ملكى اليمامة ؛ وبعث العَلاء بن الحَضْرمىّ إلى المُنْذر بن ساوَى العَبْدى ، ملك البحرين ؛ وبعث شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شِمْر الغسَّانى ، ملك تخوم الشام .

قال ابن هشام : بعث شجاعَ بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغسَّانى ، وبعث المهاجر بن أبى أُميَّة المخزومى إلى الحارث بن عبد كُلال الحِميرى ، ملك اليمن .

قال ابن هشام : أنا نسيت سَلِيطا وثُمامة وهَوْذَة والمنذر .

---

(١) لما أراد النبى ﷺ أن يكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام . اتحد حاتما من فصة ، نقشه : محمد رسول الله ، لحتم الرسائل ، واختار من أصحابه رسلاً لهم معرفة وخبرة بالبلاد التى يدهبون إليها .
وبهده الرسائل إلى الملوك . أبلغ النبى ﷺ دعوته إلى أكثر ملوك الأرض سلطانا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، وأصبح الإسلام الشعل الشاعل لتفكير هؤلاء الكفار فى المعمور من الكون .

رواية ابن حبيب عن بعث الرسول رسله :

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى : أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم . قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهرىّ فعرفه ؛ وفيه : أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثنى رحمةً وكافَّة ، فأدّوا عنى يرحمكم الله ، ولا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم ؛ قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأمّا مَن قَرَّب به فأحبّ وسلم ؛ وأمّا من بعد به فكره وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكلّ رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وُجِّه إليهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر جملة الغزوات

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المُطَّلبى : وكان جميع ماغزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعا وعشرين غزوة ، منها غزوة وَدَّان ، وهى غَزْوة الأبواء ، ثم غزوة بُواط ، من ناحية رَضْوَى ، ثم غزوة العُشَيْرة ، من بطن يَنْبُع ، ثم غزوة بدر الأولى ، يطلب كرْزَ بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التى قتل الله فيها صناديد قُرَيش ، ثم غزوة بنى سُلَيم ، حتى بلغ الكُدْر ، ثم غزوة السَّوِيق ، يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غَطَفان ، وهى غزوة ذى أمر ، ثم غزوة بَحْران ، معدن بالحجاز ، ثم غزوة أُحُدٍ ، ثم غزوة حَمْراء الأَسَد ، ثم غزوة بنى النَّضير ، ثم غزوة ذات الرّقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخِرة ، ثم غزوة دُومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قُرَيْظة ، ثم غزوة بنِى لحْيان ، من هُذَيْل ، ثم غزوة ذى قَرَد ، ثم غزوة بنى المصْطَلِق من خُزَاعة ، ثم غزوة الحُدَيْبية ، لا يريد قتالا ، فصدّه المشركون ، ثم غزوة خيْبَر ، ثم عُمْرة القضاء ، ثم غزوة الفَتْح ، ثم غزوة حُنَين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تَبُوك .

قاتل منها فى تسع غَزَوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقُرَيظة ، والمُصْطَلَق ، وخيبر ، والفتح ، وحُنَين ، والطائف .

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه ﷺ وسَراياه ثمانيا وثلاثين ، من بين بَعْث وسَرِيَّةٍ : غزوةُ عُبَيْدَة بن الحارث أسفل من ثنية ذى المَروَة ، ثم غزوة حَمْزة بن عبد المطلب ساحل البحر ، من ناحية العيص ؛ وبعض الناس يقدم غَزْوَة حمزة قبل غزوة عُبَيْدة ؛ وغزوةُ سعد بن أبى وقاصٍ الخَرّارَ ، وغزوة عبد الله بن جَحْشٍ نخلة وغزوة زيد بن حارثة القردة وغزوة محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف ، وغزوة مرثد بن أبى مَرْثَدٍ الغَنَوىّ الرجيع ، وغزوة المُنذِر بن عمرٍو بِئْرَ مَعُونة ، وغزوة أبى عُبَيْدةَ بن الجَراحِ ذا القَصَّة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخَطَّاب تُرْبةَ من أرض بنى عامر ، وغزوة علىّ بن أبى طالب اليَمَن ، وغزوة غالبِ بن عبد الله الكَلْبى ، كَلْبِ لَيْث ، الكَدِيد ، فأصاب بنى الملَوح .

خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوح

شأن ابن البرصاء :

وكان من حديثها أن يعقوب بن عتُبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثنى عن مسُلم بن عبد الله بن خُبَيْب الجُهَنِى ، عن المنذرِ ، عن جنُدَب بْنِ مَكيث الجُهَنِىّ ، قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكَلْبى ، كلْب بن عوف ابن لَيْث ، فى سرية كنت فيها ، وأَمَره أن يَشُنَّ الغارة على بنى المُلَوَّح ، وهم بالكَديد ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بقُدَيْد لقينَا الحارث بن مالك ، وهو ابن البَرْصاء الليثىّ ، فأخذناه ، فقال : إنى جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله ﷺ ؛ فقلنا له : إن تك مسلما فلن يَضيرك رِباطُ ليلة ، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ، فشددناه رِباطا ، ثم خَلَّفْنا عليه رجلا من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عازَّك(١) فاحتز رأسه .

---

(١) عارك : غالبك . لسان العرب ٣٧٥ ح ٥

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس ، فكنَّا فى ناحية الوادى ، وبعثنى أصحابى رَبيئة[1] لهم ، فخرجت حتى آتى تَلاً مشرفا على الحاضر[2] ، فأسندت فيه[3] ، فعلوتُ على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إنى لمنبطح على التلّ ، إذ خرج رجل منهم من خبائه ، فقال لامرأته : إنى لأرى على التلّ سوادا ما رأيته فى أوّل يومى ، فانظرى إلى أوْعيتك هل تَفْقدين منها شيئا ، لا تكون الكلاب جرَّت بعضها ؛ قال : فنظرتْ ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئا ؛ قال : فناولينى قوسى وسهمين ، فناولته ، قال : فأرسل سهما ، فوالله ما أخطأ جنبى ، فأنزِعُه فأضعه ، وثبت مكانى ، قال : ثم أرسل الآخر فوضعه فى منكبى فأنزعه فأضعه وثبت مكانى فقال لامرأته : لو كان ربيئة[4] لقوم لقد تحرّك ، لقد خالطه سَهْمَاى لا أباً لك ، إذا أصبحتِ فابتغيهما ، فخذيهما ، لا يمْضُغُهُما عَلى الكلاب . قال : ثم دخل .

قال : وأمْهلْناهم ، حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان فى وجه السَّحر ، شَنَنَّا[5] عليهم الغارةَ ، قال : فقتلنا ، واستقنا النَّعَم ، وخرج صَريخ[6] القوم ، فجاءنا دَهْم[7] لا قِبلَ لنا به ، ومضينا بالنَّعَم ، ومَرَرْنا بابن البَرْصاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا ؛ قال : وأدركنا القوم حتى قربوا منا ، قال : فما بيننا وبينهم إلا وادى قُدَيد ، فأرسل الله الوادىَ بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى ، من غير سحابة نراها ، ولا مطر ، فجاء بشىء ليس لأحد به قوّة ، ولا يقدر على أن يُجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإنَّا لنسوقُ نَعَمَهُم ، ما يستطيع منهم رجل أن يُجيز[8] إلينا ، ونحن نَحْدوها[9] سِراعا ، حتى فُتْناهم ، فلم يقدِروا على طلبنا .

---

(١) الربيئة : الطليعة . ترتيب القاموس ٢٨٢ ج ٢

(٢) الحاضر : الجماعة النازلون على الماء . لسان العرب ١٩٨ ج ٤

(٣) اسندت : ارتقيت . وارتفعت لسان العرب ٢٢١ ج ٤

(٤) يروى : « رائلة » أى لو كان ممن يرول .

(٥) شننا عليهم الغارة : فرقنا عليهم الخيل المغيرة . انظر لسان العرب ٢٤٢ ج ١٣

(٦) صريخ القوم : مستغيثهم لسان العرب ٣٣ ج ٣

(٧) الدهم : الجماعة الكثيرة ترتيب القاموس ٢٢٥ ج ٢

(٨) فى أ : « يجور » .

(٩) نحدوها : نسوقها ونزجرها ترتيب القاموس ٦٠٥ ج ١

شعار المسلمين فى هذه الغزوة :

قال : فقدمنا بها على رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من أَسْلَم ، عن رجل منهم : أنّ شِعار(١) أصحاب رسول الله ﷺ كان تلك اللَّيلة : أَمِتْ أَمِتْ .

قال ابن هشام :

تمّ خبر الغزاة ، وعُدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبُعوث .

تعريف بعدة غزوات :

قال ابن إسحاق : وغزوة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بنى عبد الله ابن سعد من أهل فَدَك ؛ وغزوة أبى العَوْجاء السُّلَمِىّ أرض بنى سُلَيم ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا ؛ وغزوة عُكاشة بنِ محصَن الغَمرة ؛ وغزوة أبى سَلَمةَ ابن عبد الأسد قَطَنا ، ماء من مياه بنى أسد ، من ناحية نَجْد ، قُتِل بها مسعود ابن عُروة ؛ وغزوة محمد بن مَسْلَمَةَ ، أخى بنى حارثة « القُرَطاءَ من هَوَازن ؛ وغزوة بَشير بن سَعْدٍ بنى مُرَّة بفَدَك ؛ وغزوة بشير بن سعد ناحية خَيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجمومَ من أرض بنى سُلَيم ، وغَزوة زيد بن حارثة جُذام ، من أرض خُشَيْن .

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام

سببها :

قال ابن إسحاق : وكان من حديثها كما حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جذام كانوا عُلماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجُذَامىّ ، لما قَدِم على قومه من عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبَث أن قَدِم دِحْيَةُ بن خَليفة الكَلْبى من عند قَيْصَر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله ﷺ إليه ومعه تجارة ، له حتى إذا كانوا بوادٍ من أوديتهم يقال له شَنار ،

---

(١) الشعار : العلامة التى يعرف بها بعضهم بعضا فى الحرب لسان العرب ٤١٣ ، ج ٤

أغار على دحْية بن خَليفة الهنيدُ بن عُوص ، وابنه عُوص بن الهُنيد الضُّلَعِيَّان . والضُّلَيعُ : بطن من جُذام ، فأصابا كلّ شىء كان معه ، فبلغ ذلك قوما من الضُّبَيْب ، رهط رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهُنيد وابنه ، فيهم من بنى الضُّبيب النُّعمان بن أبى جِعال ، حتى لقُوهم ، فاقتتلوا ، وانتمى يومئذ قُرَّة بن أشقر الضَّفاوىّ ثم الضُّلَعىّ ، فقال : أناابن لُبْنَى ، ورمى النُّعمان بن أبى جِعال بسهمٍ ، فأصاب رُكْبته ؛ فقال حين أصابه : خُذها وأنا ابن لُبْنَى ، وكانت له أمّ تُدعى لُبْنَى ، وقد كان حسَّان بن مَلَّة الضُّبتيبى قد صحب دِحيْة بن خليفة قبل ذلك ، فعلَّمه أُمَّ الكتاب .

قال ابن هشام : ويقال : قُرَّة بن أشْقَرَ الضَّفارىّ ، وحَيَّان بن مِلَّة .

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جذام ، قال : فاستنقذوا ما كان فى الهُنيد وابنه ، فردّوه على دِحية ، فخرج دحية ، حتى قَدِم على رسول الله ﷺ ، فأخبره خبره ، واستسقاه دم الهُنيد وابنه ، فبعث رسولُ الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذى هاج غزوةَ زيد جُذَامَ ، وبعث معه جيشا ، وقد وَجَّهَتْ غَطَفانُ من جُذامَ ووائلٌ ومن كان من سَلامانَ وسعد بن هُذَيم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله ﷺ ، حتى نزلوا الحَرَّة ؛ حرة الرَّجْلاء ، ورفاعة بن زيد بكُراع ربَة ، لم يعلم ، ومعه ناس من بنى الضُّبيْب ، وسائر بنى الضبَيْب بوادى مَدَان ، من ناحية الحَرَّة ، مما يسيل مُشَرّقا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ، فأغار بالماقص من قِبَلِ الحَرَّة ، فجمعوا ما وجَدوا من مال أو ناس ، وقتلوا الهُنَيْد وابنه ورجلين من بنى الأجنف .

قال ابن هشام : من بنى الأخْنف

قال ابن إسحاق فى حديثه : ورجلا من بنى الخَصيب . فلما سَمعَتْ بذلك بنو الضّبيْب والجيش بفَيْفاء مَدَانٍ ركب نفرٌ منهم ، وكان فيمن ركب معهم حَسَّان

ابن مِلَّةَ ، على فرس لسُويد بن زيد ، يقُال لها العَجاجة ، وأُنيْف بن مِلّة على فَرَسٍ لمَلَّة يقال لها : رِغال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال لها عمر . فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد وحسَّان لأنيف بن مِلَّة كفَّ عَنَّا وانصرِفْ ، فإنَّا نَخشَى لسانك ، فوقف عنهما ، فلم يَبْعُدَا منه حتى جعلت فَرَسُه تبحث بيديها وتَوَثَّب ، فقال : لأنا أضمن بالرجلين منك بالفَرَسَين ، فأرخى لها ، حتى أدركهما ، فقالا له : أما إذا فَعَلْتَ ما فعلتَ فكُفَّ عنَّا لسانَك ، ولا تشأمنا اليومَ ، فتواصَوْا أن لا يتكلَّم منهم إلا حَسَّان بن مِلَّة ، وكانت بينهم كلِمَة فى الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض ، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال : بُورى أو ثُورى ؛ فلما برزوا على الجيش ، أقبل القوم يبتدرونهم ، فقال لهم حسَّان : إنَّا قومٌ مُسْلمون ، وكان أوّل من لقيهم رجل على فَرَس أدهم ، فأقبل يسوقهم ، فقال أُنيف : بُورِى ، فقال حسَّان : مَهْلا ؛ فلما وقفوا على زيد ابن حارثة قال حَسَّان : إنَّا قوم مسلمون ، فقال له زيد : فاقرءُوا أُمّ الكتاب ، فقرأها حَسَّان ، فقال زيد بن حارثة : نادوا فى الجَيْش إن الله قد حَرَّم علينا ثُغْرةَ[1] القوم التى جاءوا منها إلا من خَتَرَ[2] .

قال ابن إسحاق : وإذا أخت حَسَّان بن ملَّة ، وهى امرأة أبى وَبْر بن عَدِىّ ابن أميَّة بن الضُّبَيْب فى الأسارى ، فقال له زيد : خُذها ، وأَخَذَتْ بحقْوَيه[3] فقالت أمّ الفِزرْ الضُّلَعية : أتَنْطَلِقون ببناتكم وتَذَرُون أمَّهاتِكم ؟ فقال أحد بنى الخَصيب : إنها بنو الضُّبَيْب وسُحُر ألْسِنِتهم سائرَ اليوم ، فسَمِعها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حسَّان ، ففُكَّت يداها من حِقْوَيْهِ ، وقال لها : اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكنَّ حُكْمَه ، فرَجعوا ، ونهَى الجيش أن يَهْبِطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ، فأمْسوا فى

(١) ثعرة القوم : ناحيتهم التى يحموبها . لسان العرب ١٠٣ ح ٤
(٢) ختر : نقض العهد . والخديعة لسان العرب ٢٢٩ ج ٤
(٣) بحقويه : بخصريه . وبمعقد الإزار لسان العرب ١٨٩ ح ١٤

أَهْلِيهم ، واستعتَموا ذَودا(١) لسُويد بن زيد ، فلما شربوا عَتَمَتَهمْ ، ركبوا إلى رفاعة بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلةَ ، أبو زيد بن عمرو ، وأبو شماس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبعجَةُ بن زيد ، وبرَذْع بن زيد ، وثعلبة بن زيد ومُخَربة بن عَدِىّ ، وأُنَيْف بن مَلَّة ، وحسَّان بن ملة ، حتى صَبا رفاعة بن زيد بكُراعِ رَبَّة ، بظهر الحَرّة ، على بئر هنالك من حَرّة لَيْلى ؛ فقال له حسَّان بن ملَّة : إنك لجالس تحلُب المِعْزَى ونساء جُذام أُسارَى قد غرها كتابك الذى جئت به ، فدعا رفاعة بن زيد بجمل له ، فجعل يشدُ عليه رحله وهو يقول : **هَلْ أنْتَ حَىّ أوْ تُنادى حَيًّا**

ثم غدا وهم معه بأُميَّة بن ضَفار أخى الخَصيبى المقتول ، مبكرين من ظهر الحَرّة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ؛ فلما دخلوا المدينة ، وانتهوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال لا تُنيخوا إبلَكم ، فتُقطَّعَ أيديهنّ ، فنزلوا عنهنّ وهن قيام ؛ فلما دخلوا على رسول الله ﷺ ورآهم ألاح(٢) إليهم بيده : أن تعالَوا من وراء الناس ؛ فلما استفتح رِفاعة بن زيد المَنْطِق ، قام رجل من الناس فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء قوم سَحَرَة ، فردَّدَها مرّتين ، فقال رفاعة بن زيد : رحم الله من لم يَحذُنا فى يومه هذا إلا خيرا . ثم دفع رفاعة بن زيد كتابَه إلى رسول الله ﷺ الذى كان كتبه له . فقال : دونك يا رسول الله قديما كتابُه ، حديثا غَدْره . فقال رسول الله ﷺ : اقرأه يا غلام ، وأعْلِنْ ؛ فلما قرأ كتابه استخبره ، فأخبروهم الخبر ، فقال رسولُ الله ﷺ : كيف أصنع بالقَتْلى ؟ (ثلاث مرات) فقال رفاعة : أنت يا رسول الله أعلم ، لا نحرّم عليك حلالا ، ولا نحلّل لك حَرَاما ، فقال أبو زيد ابن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حَيًّا ، ومن قُتِل فهو تحت قَدَمى هذه . فقال له رسول الله ﷺ : صدق أبو زيد ، اركب معهم يا علّى . فقال له علّى رضى الله عنه : إن زيدا لن يُطيعنى يا رسول الله قال فخذ سيفى هذا

---

(١) الدود : لا يكون أقل من اثنين وهو ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل لسان العرب ١٦٨ ح ٣ ، واستعتموا : انتظروا إلى عتمة الليل . ترتيب القاموس ١٥١ ج ٣

(٢) ألاح : أشار . ٥٨٦ ج ٢ لسان العرب

فأعطاه سيفه فقال على ليس لى يارسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو ، يقال له مِكْحال ، فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وَبْر ، يُقال لها : الشَّمِر ، فأنزلوه عنها ، فقال : يا علىّ ، ما شأنى فقال : ما لهم ، عَرَفوه فأخذوه ، ثم ساروا فلقُوا الجَيْش بفيفاء الفَحلتين فأخذوا ما فى أيديهم ، حتى كانوا ينزعون لُبيَد المرأة من تحت الرحل .

غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة ومصاب أم قرفة

وغزوةُ زيد بن حارثة أيضا وادى القُرى ، لَقَىَ به بنى فَزَارةَ ، فأُصيبَ بها ناس من أصحابه ، وارْتُثَّ(١) زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب وَرد بن عَمْرو بن مَداش ، وكان أحدَ بنى سعد بن هُذيل ، أصابه أحد بنى بدر .

قال ابن هشام : سعد بن هُذَيم

قال ابن إسحاق : فلما قَدِم زيد بن حارثة آلى أن لا يمسّ رأسَه غسل من جنَابة حتى يغزوَ بنى فَزارة ؛ فلما استبلَّ من جِراحته بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى فزارة فى جيش ، فقتلهم بوادى القُرى ، وأصاب فيهم ، وقَتَل قَيْس ابن السحر اليَعْمُرى مَسعْدَةَ بن حَكَمَة بن مالك بن حُذَيفة بن بدر ، وأُسِرَتْ أمّ قِرْفَة فاطمةُ بنت رَبيعة بن بدر ، كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حُذَيفة بن بدر ، وبنت لها ، وعبد الله بن مسعدة ، فأمر زيدُ بن حارثة قَيْسَ بن المسحَّر أن يَقْتُل أمّ قِرْفة ، فقتلها قتلا عنيفا ؛ ثم قَدِموا على رسول الله ﷺ بابنة أمّ قِرفة ، وبابن مسعدة .

وكانت بنت أمّ قِرْفة لسَلَمة بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ،

---

(١) ارتث (بالبناء للمجهول) حمل من المعركة رثيثا ، أى جريحا وبه رمق . ترتيب القاموس ج ٢

وكانت فى بيت شَرف من قومها ؛ كانت العرب تقول : (لو كنتَ أعزّ من أمّ قِرفة مازدت) : فسألها رسولَ الله ﷺ سَلَمَةُ ، فوهبها له : فأهداها لخاله حَزْن ابن أبى وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام

وغزوة عبد الله بن رواحة خيبر مرتين : إحداهما التى أصاب فيها اليسير بن رزام : قال ابن هشام : ويقال ابن رازم

مقتل اليسير :

وكان من حديث اليُسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غَطَفان لغزو رسول الله ﷺ ، فبعث إليه رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة فى نفرٍ من أصحابه ، منهم عبد الله بن أنيَس ، حليف بنى سلَمة ، فلما قَدموا عليه كلّموه ، وقَرَّبُوا له ، وقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك ، فلم يزالوا به ، حتى خرج معهم فى نفر من يهود ، فحمله عبد الله بن أُنَيْس على بعيره ، حتى إذا كان بالقرقَرة من خيبر ، على ستة أميال ، ندم اليسير ابن رِزام على مسيره إلى رسول الله ﷺ ، ففطَن له عبد الله بن أنيس ، وهو يريد السَّيف ، فاقتحم به ، ثم ضربه بالسيف ، فقطع رجله ، وضربه اليُسير بمِخْرَش[1] فى يده من شوحَط[2] ، فأمَّه[3] ومال كل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلا واحدا أفلت على رجليه ، فلما قَدم عبد الله بن أنيَس على رسول الله ﷺ تفل[4] على شَجّته ، فلم تَقِحْ ولم تؤذْهِ .

---

(١) « بمحرش » والمحرش والمحراش : المحن ، وهو عصا معقوفة يحدب بها البعير ونحوه . انظر لسان العرب ٢٩٣ / ح ٦

(٢) الشوحط : شجر من النبع . لسان العرب ٣٢٨ / ح ٧

(٣) أمه : جرحه فى رأسه . ترتيب القاموس ١٧٩ / ح ١

(٤) تفل : بصق بصاقا خفيفا . لسان العرب ٧٧ / ج ١١

غزوة ابن عتيك خيبر :

وغزوة عبد الله بن عتيك خَيبر ، فأصاب بها أبا رافع بن أبى الحُقَيق .

غزوة عبد الله بن انيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى

وغزوة عبد الله بن أُنَيس خالد بن سفيان بن نُبَيح ، بعثه رسول الله ﷺ إليه وهو بنخلةَ أو بعُرنَة ، يجمع لرسول الله ﷺ الناس ليغزوه ، فقتله .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قال : عبد الله بن أنيس : دعانى رسول الله ﷺ ، فقال : إنه قد بلغنى أن ابن سفيان ابن نُبيح الهُذَلى يجمع لى الناس ليغزونى ، وهو بنخلة أو بعرنَة ، فأته فاقتله . قلت : يا رسول الله ، انعتهُ لى حتى أعرفه . قال : إنك إذا رأيته أذكرك الشَّيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قُشَعْريرة[1] . قال : فخرجت متوَشّحا سَيْفى ، حتى دُفِعْت إليه وهو فى ظُعُنٍ[2] يرتاد لهن منزلا[3] ، وحيث كان وقت العصر ؛ فلما رأيته وجدت ما قال لى رسول الله ﷺ من القُشَعْريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكونَ بينى وبينه مجاولة تشغلنى عن الصلاة ، فصلَّيت وأنا أمشى نحوه ، أومىء برأسي ، فلما انتهيت إليه ، قال : مَن الرَّجُل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك ويجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك .

قال : أجَلْ ، إنى لفى ذلك ، قال : فمَشَيْت معه شيئا ، حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، و تركت ظعائنه مُنْكبَّات عليه ؛ فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآنى ، قال : أفلح الوجه ؛ قلت : قد قتلته يا رسول الله . قال صدقت .

---

(١) قشعريرة : رعدة . لسان العرب ٩٥ / ج ٥

(٢) الظعن (ككتب) : النساء فى الهودج : جمع ظعينة . لسان العرب ٢٧١ / ج ١٣

(٣) يرتاد لهن منزلا · يطلب لهن منزلا لسان العرب ١٨٧ / ج ٣

إهداء الرسول عصا لابن أنيس :

ثم قام بى ، فأدخلنى بيته ، فأعطانى عَصاً ، فقال : أمْسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله ﷺ ، وأمرنى أن أمسكها عندى . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فَتسألَهُ لم ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتنى هذه العَصَا ؟ قال : آيةٌ بينى وبينك يوم القيامة ، إن أقل الناس المتُخصرون[1] يومئذ ، قال : فقَرنها عبد الله بن أنيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمت فى كفنه ، ثم دُفنا جميعا .

غزوات أخر :

قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله ابن رواحة مُؤْتَةَ من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعا ، وغزوة كَعْب بن عُمير الغضرى ذات أطلاح ، من أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا . وغزوة عيينة بن حِصْن بن حذيفة بن بدرٍ بنى العنبر من بنى تميم .

غزوة عيينة بن حصن بنى العنبر من بنى تميم

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ بعثه إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناسا ، وسبى منهم أناسا .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، إن عَلَىَّ رَقَبَةً من ولد إسماعيل . قال : هذا سَبْى بنى العَنبر يقدم الآن ، فنعطيك منهم إنسانا فتُعتقينه .

قال ابن إسحاق : فلما قدم بسبيهم على رسول الله ﷺ ، ركب فيهم وفد من بنى تميم ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، منهم رَبيعة بن رفَيع ، وسَبْرة ابن عمرو ، والقعقاع بن معبد ، ووَردان بن مُحْرِز ، وقيس بن عاصم ، ومالك

---

(١) المتخصرون : المتكئون على المخاصر وهى العصاء ، واحدتها مخصرة .

ابن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وفراس بن حابس ؛ فكلموا رسول الله ﷺ فيهم فأعتق بعضا ، وأفْدى بعضا ، وكان ممن قتِل يومئذ من بنى العنبر : عبد الله وأخوان له ، بنو وهب ، وشداد بن فراس ، وحنظلةُ بن دارم ، وكان ممن سُبِى من نسائهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكاس بنت أرِىّ ، ونجوة بنت نَهد ، وجُميعة بنت قيس ، وعَمرة بنت مطَر .

غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة

مقتل مرداس :

قال ابن إسحاق : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى - كلَب ليث - أرض بنى مرة ، فأصاب بها مرداس بن نهيك ، حليفا لهم من الحرقة ، من جُهينة ، قتله أُسامة بن زيد ، ورجلٌ من الأنصار .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شهَرنا عليه السلاح ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله . قال : فلم ننزع عنه حتى قتلناه ؛ فلما قَدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبره ؛ فقال يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، إنه إنما قالها تعوذا بها من القتل . قال : فمن لك بها يا أسامة ؟ قال : فو الذى بعثه بالحق ما زال يرددها على حتى لوددت أن ما مضى من إسلامى لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ؛ قال : قلت : أنظرنى يا رسول الله ، انى أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا ، قال : تقول بعدى يا أسامة ؛ قال : قُلت بعدك .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بنى عذرة . وكان من حديثه أن رسول الله ﷺ بعثه يستنفر العربَ إلى الشام . وذلك أن أم العاص ابن وائل كانت امرأةً من بَلّى ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يَستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام ، يُقال له السَّلسل ، وبذلك سميت تلك الغزوة ،

غزوة ذات السلاسل ؛ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عُبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأوّلين ، فيهم أبو بكر وعمر ؛ وقال لأبى عُبيدة حين وجهه : لاتختلفا ؛ فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو : إنما جئتَ مدداً لى ؛ قال أبو عُبيدة : لا ، ولكنى على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلا لينا سهلا ، هينا عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لى ؛ فقال أبو عبيدة : يا عمرو ، وإن رسول الله ﷺ قال لى : لا تختلفا ، وإنك إن عصيتنى أطعتُك ؛ قال : فانى الأمير عليك ، وأنت مددٌ لى ، قال : فدونك فصلَّى عمرو بالناس .

وصية أبى بكر رافع بن رافع :

قال : وكان من الحديث فى هذه الغزاة ، أن رافع بن أبى رافع الطائى ، وهو رافع بن عميرة ، كان يحدّث فيما بلغنى عن نفسه ، قال : كنت امرأً نصرانيا ، وسميت سَرجس ، فكنت أدل الناس وأهداهم بهذا الرمل ، كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أُغير على إبل الناس ، فاذا أدخلتها الرمل غلبت عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمرّ بذلك الماء الذى خَبأت فى بيضِ النعام فأستخرجه ، فأشرب منه ؛ فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ؛ قال : فقلت : والله لأختارن لنفسى صاحبا ؛ قال : فصحبت أبا بكر ، قال : فكنت معه فى رحله ، قال : وكانت عليه عباءة له فَدَكية[1] ، فكان إذا نزلنا بَسطها وإذا ركبنا لبسها ، ثم شَكَّها عليه[2] بخلال له ، قال : وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا : نحن نبايع ذا العباءة ! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال قلت : يا أبا بكر ، إنما صحبتك لينفعنى الله بك ، فانصحنى وعلِّمنى ، قال : لو لم تسألنى ذلك لفعلت ، قال : آمرك أن توحِّد الله ولا تُشرك

---

(١) العباءة : الكساء العليط ويقال فيها عباية بالياء لسان العرب ١١٨ / ج ١ ، العدكية . المنسوبة إلى فدك وهى بلدة لسان العرب ٤٧٣ / ح ١

(٢) شكها عليه : أنفذها بالخلال الدى كان يحللها به . لسان العرب ٤٥٢ / ح ١٠

به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تتأمر على رجل من المسلمين أبدا . قال : قلت : يا أبا بكر ، أما والله فانى أرجو أن لا أشرك بالله أحدا أبدا ؛ وأما الصلاة فلن أتركها إن شاء الله ؛ وأما الزكاة فان يك لى مال أؤدها إن شاء الله ؛ وأما رمضان فلن أتركه إن شاء الله ؛ وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله وأما الإمارة فانى رأيت الناس يا أبا بكر لا يَشْرفون عند رسول الله ﷺ وعند الناس إلا بها ، فلم تنهانى عنها ؟ قال : إنك إنما استَجْهدتنى لأجهد لك ، وسأخبرك عن ذلك : إن الله عز وجلّ بعث محمدا ﷺ بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها ، فلما دخلوا فيه كانوا عواذ الله وجيرانه ، وفى ذمته ، فاياك لاتخْفر الله[1] فى جيرانه ، فيتبعك الله فى خفرته ، فان أحدكم يُخفر فى جاره ؛ فيظل ناتئا عضله[2] ، غَضبا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير فالله أشد غضبا لجاره . قال ففارقته على ذلك قال : فلما قُبض رسول الله ﷺ ، وأمر أبو بكر على الناس ، قال : قدمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تك نهيتنى عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ؛ قال : فقلت له : فما حملك على أن تلى أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بدا ، خشيت على أمة محمد ﷺ الفرقة .

تقسيم عوف الأشجعى الجزور بين قوم :

قال ابن إسحاق : أخبرنى يزيد بن أبى حبيب أنه حدِّث عن عوف بن مالك الأشجعى ، قال : كنت فى الغزاة التى بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو ابن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فصَحِبت أبا بكر وعمر ، فمررتُ بقوم على جزور لهم قد نحروها ، وهم لا يقدرون على أن يعُضوها[3] ، قال :

---

(١) لا تخفر الله : لا تنقض عهده . لسان العرب ٢٥٣ / ج ٤

(٢) الناتىء . المرتفع المنتفخ ، لسان العرب ١٦٤ / ج ٢١ العضل جمع عضلة وهى القطعة الشديدة من اللحم لسان العرب ٤٥٠ جـ ١١

(٣) يعضوها : يقسموها لسان العرب ٦٨ / ج ١٥ .

وكنت امْرأً لبَقا جازرا[1] ، قال : فقلت : أتعطوننى منها عَشيرا[2] على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشفرتين ، فجزأتها مكانى ، وأخذت منها جزءا ، فحملته إلى أصحابى ، فاطبخناه فأكلناه . فقال لى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما : أنى لك هذا اللحم يا عوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره ؛ فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيّآن ما فى بطونهما من ذلك ؛ قال : فلما قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ ، قال : فجئته وهو يصلى فى بيته ؛ قال : فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ؛ قال : أعوفُ بن مالك ؟ قال : قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى ؛ قال : أصاحب الجزور ؟ ولم يَزدنى رسول الله ﷺ على ذلك شيئا .

غزوة ابن أبى حدرد بطن إضم ، وقتل عامر ابن الأضبط الأشجعى وكانت قبل الفتح

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القَعْقاع بن عبد الله بن أبى حدَرد ، عن أبيه عبد الله بن أبى حدرد ، قال : بَعَثنَا رسولُ الله ﷺ إلى إضَم فى نفر من المسلمين ، فيهم أبو قتادة الحارث بن ربْعى ، ومحلِّم بن جثَّامة بن قَيْس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضَم ، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعى ، على قَعود[3] له ، ومعه متَيِّع[4] له ، ووطْب[5] من لبن . قال : فلما مرّ بنا سلَّم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلِّم بن جثَّامة ، فقتله لشىء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره ، وأخذ متيعه .

---

(١) اللبق : الحاذق الرفيع فى العمل ، لسان العرب ٣٢٦ / ح ١٠ ، الجارر : الذى يدبح الجرور وهى الناقة والغنم لسان العرب ١٣٤ / ح ٤ .

(٢) العشير : النصيب لان الحزور كانت تقسم على عشرة احزاء فكل حرء منها عشير لسان العرب ٥٧٣ / ج ٤

(٣) القعود : البعير يقتعده الراعى فى كل حاجة [لسان العرب ٣٦٠ / ح ٣]

(٤) المتيع : تصعير متاع [لسان العرب ٣٣٣ / ح ٨]

(٥) الوطب : وعاء اللبن [لسان العرب ٧٩٧ / ح ١]

قال : فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر ، نزل فينا : ﴿ **يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا إذا ضرَبْتُم فى سَبيلِ الله فَتَبَيَّنُوا ، وَلاتَقُولوا لمَن ألقَى إليكُمُ السلام لست مؤْمِنا ، تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحياة الدُّنيا** ﴾[1] ... **إلى آخر الآية**

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد ابن ضُميرة بن سعد السلَمى يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه ، عن جده ، وكانا شهدا حُنينا مع رسول الله ﷺ ، قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر ، ثم عمد إلى ظل شجرة ، فجلس تحتها ، وهو بحنين ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعُيينة بن حِصْن بن حذيفة بن بدر ، يختصمان فى عامر بن أضبط الأشجعى : عيينة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غَطَفان ، والأقرع بن حابس يدفع عن محلِّم بن جثَّامة ، لمكانه من خِنْدف ، فتداولا الخصومة عند رسول الله ﷺ ، ونحن نسمع ، فسمعنا عيُينة بن حصن وهو يقول : والله يا رسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحُرقة مثل ما أذاق نسائى ، ورسول الله ﷺ يقول : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا ، وهو يأبى عليه ، إذ قام رجلٌ من بنى ليث ، يقال له : مكيثر ، قصير مَجْموع - قال ابن هشام : مُكيَتل - فقال : والله يا رسول الله ما وجدت لهذا القتيل شبها فى غُرَّة الإسلام[2] إلا كغنَم وردت فرُميَت أولاها ، فنفرَت أخراها ، اسنُن[3] اليوم ، وغَير[4] غدا . قال : فرفع رسولُ الله ﷺ يده . فقال : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا . قال : فقبلوا الدية . قال : ثم قالوا : أين صاحبكم هذا ، يستغفر له رسول الله ﷺ . قال : فقام رجل آدم ضَرب[5] طويل ، عليه حُلَّة له ، قد كان تهيأ للقتل فيها . حتى جلس بين يدى رسول الله ﷺ ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا محلِّم بن

---

(١) سورة النساء آية (٩٤)

(٢) عرة الاسلام : أوله [لسان العرب ١٥ / ج ٥]

(٣)اسس اليوم : احكم لنا اليوم بالدم فى امرنا هذا واحكم غدا بالدية لمن شئت [لسان العرب ص ٢٢٥ / ج ١٣]

(٤) غير : من العيرة ، وهى الدية (هنا) [لسان العرب ٤١ / ج ٥]

(٥) صرب : خفيف اللحم [لسان العرب] ج ١

جثَّامة ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يده ، ثم قال : اللهم لا تغفر لمحلِّم بن جثامة ثلاثا . قال : فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه ، قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا : إنا لنرجو أن يكون رسول الله ﷺ قد استغفر له ، وأما ما ظهر من رسول الله ﷺ فهذا .

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النَّضْر أنه حُدّث : أن عُيَينة بن حِصن وقيسا حين قال الأقرع بن حابس وخلابهم ، يامعشر قَيْس ، مَنَعتم رسول الله ﷺ قتيلا يستصلح به الناس ، أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله ﷺ ، فيلعَنَكم الله بلعنته ، أو أن يغضَب عليكم فيغضَبَ الله عليكم بغَضَبه ؟ والله الذى نفس الأقرع بيده لتُسْلمنّه إلى رسول الله ﷺ فلَيَصْنَعَنَّ فيه ماأراد ، أو لآتينَّ بخمسين رجلا من بنى تميم يشهدون بالله كلُّهم لقُتِل صاحبكم كافرا ، ماصلَّى قط ، فلأُطَلَّن[1] دمه ؛ فلما سمعوا ذلك ، قبلوا الدّية .

غزوة ابن أبى حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمى

سببها:

قال ابن إسحاق : وغزوة بن أبى حدرد الأسلمىّ الغابَة :

وكان من حديثها فيما بلغنى ، عمن لا أتهم ، عن ابن أبى حدرد ، قال : تزوّجت امرأة من قومى ، وأصدقتها مئتى درهم ، قال : فجئت رسول الله ﷺ أستعينه على نِكاحى ؛ فقال : وكم أصدقت ؟ فقلت : مئتى درهم يا رسول الله ، قال : سبحان الله ، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد مازدتم ، والله ما عندى ما أعينك به . قال : فلبثتُ أياما ، وأقبل رجل من بنى جشم بن معاوية يقال له : رفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة فى بطن[2] عظيم من بنى جُشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قَيسا على حرب رسول الله ﷺ ، وكان ذا اسم فى جُشم وشرف . قال : فدعانى رسول الله ﷺ ورجلين معى

---

(١) فلأطُلَّن دمه : فلا يؤخذ بثأره لسان العرب ٤٠٥ / ح ١١

(٢) البطن : أصغر من القبيلة لسان العرب ٥٤ / ح ١٣

من المسلمين ، فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارفا عجفاء[1] ، فحُمل عليها أحدُنا ، فوالله ماقامت به ضعفا حتى دَعَمَها [2] الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت[3] وما كادت ثم قال : تبلّغوا عليها وَاعْتَقبوها[4] .

انتصار المسلمين ونصيب ابن أبى حدْرَد من فىء استعان به على الزواج :

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبْل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر عُشَيْشية[5] مع غروب الشمس . قال : كمَنْتُ فى ناحية ، وأمرت صاحبىّ ، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم ؛ وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كبَّرت وشددتُ فى ناحية العسكر فكبّرا وشُدَّا معى . قال : فوالله إنَّا لكذلك ننتظر غِرَّة[6] القوم ، أو أن نُصيب منهم شيئا . قال : وقد غشينا اللَّيل حتى ذهبت فَحْمة[7] العِشاء ، وقد كان لهم راع قد سرّح فى ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوّفوا عليه . قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعةُ بن قيس ، فأخذ سَيفه ، فجعله فى عنقه ، ثم قال : والله لأتَّبعنَّ أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شرّ ؛ فقال له نفر ممَّن معه : والله لاتذهب ، نحن نَكْفيك ؛ قال : والله لايذهب إلا أنا ؛ قالوا : فنحن معك ؛ قال : والله لايتبعنى أحد منكم . قال : وخرج حتى يمرّ بى . قال : فلما أمكننى نفحته[8] بسهمى ، فوضعته فى فؤاده . قال : فوالله ما تكلَّم ، ووثبت إليه ، فاحتززت رأسه . قال : وشددت فى ناحية العسكر ، وكبَّرت ، وشدّ صاحباى وكبَّرا . قال : فوالله ماكان إلا النجاء ممن فيه ،

---

(١) الشارف : الناقة المسنة لسان العرب ١٧٣ / ج ٩ ، العجفاء المهزولة من الغنم وغيرها لسان العرب ٢٣٤ / ج ٩

(٢) دعمها الرجال : قووها بأيديهم .

(٣) استقلت : نهضت . وارتفعت لسان العرب ٥٦٦ / ح ١١

(٤) اعتقبوها . اركبوها معاقبة ، أى واحداً بعد الآخر لسان العرب ٦١٨ / ح ١

(٥) عشيشية : تصغير عشية على غير قياس .

(٦) الغرة . الغفلة لسان العرب ١٦ / ج ٥

(٧) فحمة العشاء : أول ظلام الليل .

(٨) نفحته بسهمى · رميته به . لسان العرب ٦٢٢ / ح ٢

عندك ، عندك[1] ، بكلّ ماقدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وما خفّ معهم من أموالهم . قال : واستقْنا إبلا عظيمة ، وغنما كثيرةً ، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ . قال : وجئت برأسه أحمله معى . قال : فأعاننى رسولُ الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا فى صَداقى ، فجمعتُ إلىّ أهلى .

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

شىء من وعظ الرسول لقومه :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عطَاء بن أبى رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل البَصرة يسأل عبدَ الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعْتم ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله ﷺ فى مسجده : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومُعاذ بن جبل ، وحُذيفة بن اليمان ، وأبوسعيد الخُدرىّ ، وأنا مع رسول الله ﷺ ، إذ أقبل فتى من الأنصار ، فسلَّم على رسول الله ﷺ ، ثم جلس ، فقال ، يا رسول الله ، صلى الله عليك ، أى المؤمنين أفضل ؟ فقال : أحسنهم خلقا ؛ قال : فأىّ المؤمنين أكيْس ؟ قال : أكثرهم ذكرا للموت ، وأحسنهم استعدادا له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس ، ثم سكت الفتى وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : « يا معشر المهاجرين ، خمس خصال إذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تُدركوهن : إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قطُّ حتى يعُلنوا بها[2] إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع ، التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضَوا ؛ ولم ينقصُوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنينَ[3] وشدة المُؤْنة وجَوْر السُّلطان ؛ ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القَطر من السماء ، فلولا

---

(١) عندك عندك . كلمتان بمعنى الإغراء .
(٢) يعلنوا بها . يجاهروا بها لسان العرب ٢٨٨ / ج ١٣
(٣) بالسنين . الجدب لسان العرب ٤٠٥ / ج ١٤

البهائم ما مطروا ؛ وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم ، فأخذ بعض ما كان فى أيديهم ؛ وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا[1] فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسَهم بينهم ».

ثم أَمَرَ عبدَ الرحمن بن عوف أن يتجهزَّ لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء[2] ، فأدناه رسول الله ﷺ منه ، ثم نقضها ، ثم عمَّمه بها ، وأرسل من خلفه أربعَ أصابع أو نحوا من ذلك ، ثم قال : هكذا يا ابن عوف فاعتم ، فانه أحسن وأعرف ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء . فدفعه إليه ، فحمد الله تعالى ، وصلى على نفسه ، ثم قال : خذه يا ابن عوف ، اغزُوا جميعا فى سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لا تَغُلّوا[3] ، ولا تغدروا ، ولا تُمثِّلوا ، ولا تَقْتُلوا وَليدا ، فهذا عهدُ الله وسيرة نبيه فيكم . فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء .

قال ابن هشام : فخرج إلى دَومة الجندل .

غزوة أبى عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر

نفاد الطعام وخبر دابة البحر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبُادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت ، عن أبيه ، عن جده عُبادة بن الصامت ، قال : بعث رسول الله ﷺ سَريَّة إلى سِيف البحر[4] ، عليهم أبو عُبيدة بن الجراح ، وزودهم جرابا من تمر ، فجعل يقوُتهم إياه ، حتى صار إلى أن يعدّه عليهم عددا ، قال : ثم نفَد التمر ، حتى كان يعطى كلَّ رجل منهم كلّ يوم تمرةً . قال : فقسَمها يوماً بيننا . قال : فنقصت تمرةٌ عن رجل ، فوجدنا فقدَها ذلك اليوم . قال : فلما جهدنا الجُوع

---

(١) تحبروا : تعاظموا وتكبروا على أن يحكموا بما أنزل الله ، لسان العرب ١١٣ / ج ٤

(٢) الكرابيس : جمع كرباس ، وهو القطن . لسان العرب ١٩٥ / ح ٦

(٣) لا تغلوا : لا تخونوا فى المغانم ، لسان العرب ٤٩٩ / ح ١١

(٤) سيف البحر جانبه وساحله . لسان العرب ١٦٧ / ح ٩ .

أخرج الله لنا دابة من البحر ، فأصَبْنا من لحمها وودَكها[1] ، وأقمنا عليها عشرين ليلة ، حتى سمنا وابتللنا[2] ، وأخذ أميرنا ضِلعا من أضلاعها ، فوضعها على طريقه ، ثم أمر بأجسم بعير معنا ، فحمل عليه أجسم رجل منا . قال : فجلس عليه ، قال : فخرج من تحتها وما مست رأسه . قال : فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صنَعنا فى ذلك من أكلنا إياه ، فقال : رزق رزقكموه الله .

بعث عمرو بن أمية الضمرى لقتال أبى سفيان بن حرب وما صنع فى طريقه

قدومه مكة وتعرف القوم عليه :

قال ابن هشام : ومما لم يذكره ابن إسحاق من بُعوث رسول الله ﷺ وسلم وسَرَاياه[3] بعث عمرو بن أُميَّة الضَّمْرى ، بعثه رسول الله ﷺ ، فيما حدثنى من أثق به من أهل العلم ، بعد مقتل خُبَيْب بن عدىّ وأصحابه إلى مكة ، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب ، وبعث معه جبَّار بن صخر الأنصارىّ فخرجا حتى قدما مكة ، وحبَسا جمليهما بشعب[4] من شعِاب يَأججَ[5] ، ثم دخلا مكة ليلا ؛ فقال جَبَّار لعمرو : لو أنا طُفنا بالبيت وصلَّينا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم ؛ فقال : كلا ، إن شاء الله ؛ فقال

---

(١) الودك : الشحم وقيل دسم اللحم لسان العرب ٥٠٩ / ح ١٠

(٢) ابتللنا : أفقنا من ألم الجوع الذى كان بنا ، من قولك : بل فلان من مرضه ، وأبل ، واستبل : إذا أخذ فى الراحة . لسان العرب ٦٥ / ج ١١

(٣) ذكر السهيلى هنا حديثا يخطىء فيه ابن هشام فيما ادعاه على ابن إسحاق من اغفاله بعض البعوث ، قال : « هو غلط منه ، قد ذكره ابن إسحاق ، عن جعفر بن عمرو بن أمية بن عمرو بن أمية فيما حدث أبه عن يحيى بن زكريا ، عن ابن إسحاق ، (انظر الروض الأنف ح ٢ ص ٢٦٣) .

(٤) الشعب (بتشديد الشين المكسورة) : الطريق الخفى بين جبلين . لسان العرب ٥٠١ / ح ١

(٥) يأجج : اسم موضع بمكة ، ذكره القاموس فى أجج ويجج . وضبطه كيسمع وينصر ويضرب لسان العرب

عمرو : فطُفنا بالبيت ، وصلَّيْنا ، ثم خرجنا نُريد أبا سفيان ، فو الله إنا لنمشى بمكة إذ نظر إلىَّ رجل من أهل مكة فعرفنى ، فقال عمرو بن أمية : والله إنْ قدمها إلا لشرّ ؛ فقلت لصاحبى : النَّجاء ، فخرجنا نشتدّ ، حتى أصعدنا فى جبل ، وخرجوا فى طلبنا ، حتى إذا عَلَوْنا الجبل يئسوا منا ، فرجعنا ، فدخلنا كهفا فى الجبل ، فبتنا فيه ، وقد أخذنا حجارة فرَضمناها[1] دوننا ؛ فلما أصبحنا غَدا رجل من قُرَيش يقود فرسا له ، ويُخلى عليها[2] ، فغَشينَا ونحن فى الغار ، فقلت : إن رآنا صاح بنا ، فأخذنا فقُتلنا .

قتله أبا سفيان وهربه :

قال : ومعى خنجر قد أعددته لأبى سفيان ، فأخْرج إليه ، فأضربه على ثَديه ضربة ، وصاحَ صيحةً أسمع أهل مكة ، وأرجِعُ فأدخلُ مكانى ، وجاءه الناس يشتدون وهو بآخر رَمَق ، فقالوا : من ضربك ؟ فقال : عمرو بن أمية ، وغلبه الموت ، فمات مكانه ، ولم يدلُّل على مكاننا ، فاحتملوه . فقلت لصاحبى ، لما أمسَيْنا : النَّجاء ؛ فخرجنا ليلا من مكة نُريد المدينة ، فمَررنا بالَحرس وهم يحرسون جيفة خُبَيب بن عدىّ ؛ فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بمِشْية عمرو بن أميَّة ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية ؛ قال : فلما حاذى الخشَبة شدّ عليها ، فأخذها فاحتملها ، وخرجا شدا ، وخرجوا وراءه ، حتى أتى جُرْفا بمهَبط مَسيل يأجج ، فرمى بالخشبة فى الجرْف ، فغيبه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبى : النَّجاءَ النجاءَ ، حتى تأتى بعيركَ فتقعد عليه ، فانى سأشْغل عنك القومَ ، وكان الأنصارى لارُجلة له[3] .

---

(١) رضمناها دوننا : جعلنا بعض الحجارة فوق بعض ، لتكون حاجزا بيننا وبين من يطلبنا ترتيب القاموس ٢٤٩ / ج ٢

(٢) يخلى عليها : يجمع لها الخلى ، وهو الربيع ، ويسمى خلى ، لأنه يختلى ، أى يقطع لسان العرب ٣٤٢ / ج ١٤

(٣) لا رجلة له : ليس له قوة بالمشى على رجليه ، يقال فلان ذو رجلة ، إذا كان يقوى على المشى لسان العرب ٢٦٨ / ج ١١

قتله بكريا فى غار :

قال : ومضيتُ حتى أخرج على ضَجْنان[1] ثم أوَيْت إلى جَبل ، فأدخل كهفا ، فبينا أنا فيه ، إذ دخل علىَّ شيخ من بنى الدِّيل أعور ، فى غُنيمة له ؛ فقال : مَنِ الرجل ؟ فقلت : من بنى بكر ، فمن أنت ؟ قال : من بنى بكر ، فقلت : مَرحبا ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال :

ولسْتُ بمسلم ما دُمتُ حيّاً ... ولا دان لدينِ المُسْلِمِينا

فقلت فى نفسى : ستعلم ، فأمهلته ، حتى إذا نام أخذتُ قوسى ، فجعلت سبتها[2] فى عينه الصَّحيحة ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت النَّجاء ، حتى جئت العَرْج[3] ، ثم سلكت رَكُوبَة[4] ، حتى إذا هبطت النَّقيع[5] إذا رجلان من قُرَيش من المشركين ، كانت قريش بعثتهما عينا إلى المدينة ينظران ويتحسَّسان ، فقلت استأسرا ، فأبيا ، فأرمى أحدهما بسهم فأقتلُه ، واستأسر الآخر ، فأوثقه رباطا ، وقَدِمت به المدينة .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين

قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مدين . ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن ، عن أمه فاطمة ابنة الحسين بن على عليهم رضوان الله ، أن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضُميرة مولى علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سَبيا من أهل ميناء ، وهى السواحل ، وفيها جُماعٍ[6] من الناس ، فبيعوا ، فُفرق بينهم ، فخرج

---

(١) صححان : اسم جبل قرب مكة بين مكة والمدينة لسان العرب ٢٥٤ / ج ١٣
(٢) سنة القوس : طرفها لسان العرب ٤١٧ / ج ١٤
(٣) العرج : اسم منزل بطريق مكة ، أوواد بالحجاز لسان العرب ٣٢٣ / ج ٢
(٤) ركوبة : ثنية بين الحرمين مكة والمدينة لسان العرب ٤٣٤ / ج ١
(٥) النقيع : موضع ببلاد مزينة على ليلتين من المدينة لسان العرب ٣٦٣ / ج ٨
(٦) الجماع : من الأضداد ، يكون تارة المجتمعين ، وتارة المفترقين ، وأراد به هنا جماعات من الناس مختلطين لسان العرب ٥٦ / ج ٨

رسول الله ﷺ وهم يبكون ، فقال : ما لهم ؟ فقيل : يا رسول الله ، فرق بينهم ، فقال رسول الله ﷺ : لا تبيعوهم إلا جميعا .

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد

سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفك

سبب نفاق أبى عفك :

قال ابن إسحاق : وغزوة سالم بن عُمير لقتل أبى عَفَك ، أحد بنى عمرو ابن عوف ثم من بنى عبيدة ، وكان قد نجم[1] نفاقُه ، حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن سويد بن صامت ، فقال :

لقد عشْتُ دهراً ومَا إن أرَى ... مِنَ النَّاسِ دارا ولاَ مَجمعا
أبَرَّ عُهُوداً وأوْفى لمَنْ ... يعُاقد فيهم إذا ما دَعا
مِنْ اولادِ قَيْلَةَ فى جَمعهم ... يَهُدُّ الجبالَ ولم يَخْضَعا[2]
فَصَدَّعهُمْ راكبٍ جاءَهم ... حَلالٌ حَرَامٌ لِشَتَّى معا[3]
فلَوْ أنَّ بالعز صَدَّقْتُمُ ... أوِ المُلْكِ تابعْتُمُ تبَّعا[4]

فقال رسول الله ﷺ : من لى بهذا الخبيث ، فخرج سالم بن عُمير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهو أحد البكائين ، فقتله ؟ فقالت أمامةُ المُزَيرية فى ذلك :

تُكذِّبُ دينَ الله والمرء أحْمداَ ... لعمرُ الذى أمناك أن بئِس ما يُمنى[5]
حباكَ حَنيفٌ آخرِ اللَّيْلِ طعنَةً ... أبا عَفَكٍ خذُها على كبَرِ السِّن[6]

---

(١) نجم طهر .
(٢) قيلة : اسم امرأة تنسب إليها الأوس والخزرج لسان العرب ٥٨٠ / ح ١١ أنصار النهى . ولم يخضعا : أراد يخضعن بالنون الخفيفة ، فلما وقف عليها أبدل منها ألفا .
(٣) صدعهم : فرقهم لسان العرب ١٩٤ / ح ٨
(٤) تبع أحد ملوك اليمن لسان العرب ٣١ / ح ٨
(٥) أمناك · أنساك .
(٦) حنيف : مسلم لسان العرب ٥٧ / ج ٩

غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان

وغزوة عُمير بن عدىّ الخطمى عصماء بنت مروان ، وهى من بنى أُمَيَّة بن زيد ، فلما قُتل أبو عَفَك نافقت ، فذكر عبدُ الله بن الحارث بن الفُضيل عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بنى خَطْمة ، ويقال له يزيد بن يزيد فقالت (شعرا) تعيب الإسلام وأهله

خروج الخطمى لقتلها :

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك ، ألا أخذٌ لى من ابنة مروان ؟ فسَمعَ ذلك من قول رسول الله ﷺ عُميرُ بن عدىّ الخَطمى ، وهو عنده ؛ فلما أمسى من تلك الليلة سَرَى عليها فى بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إنى قد قتلها . فقال نصرت الله ورسوله يا عمير ، فقال : هل على شىء من شأنها يارسول الله ؟ فقال : لا يَنْتطح فيها عَنْزان[1] .

فرجع عُمير إلى قومه ، وبنو خَطْمة يومئذ كثير موْجهم[2] فى شأن بنت مروان . ولها يومئذ بنون خَمسة رجال ، فلما جاءهم عُمَير بن عدى من عند رسول الله ﷺ ؛ قال : يا بنى خَطَمة ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدونى جميعا ثم لا تُنْظرون . فذلك اليوم أوّلُ ما عزّ الإسلام فى دار بنى خَطْمة ، وكان يستخفى باسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أولَ من أسلم من بنى خَطْمة عُمير بن عدىّ ، وهو الذى يدُعى القارىء ، وعبد الله بن أوس ، وخزيمة بن ثابت ، وأسلم ، يوم قتلت ابنة مروان ، رجال من بنى خطَمْة ، لما رأوا من عزّ الإسلام .

---

(١) لا ينتطح فيها عنزان : أى أن شأنها هين ، لايكون فيه طلب ثأر ولا احتلاف لسان العرب ٦٢١ / ح ٢
(٢) موحهم . احتلاط كلامهم لسان العرب ٣٧٠ / ح ٢ -

أسر ثمامة بن أثال الحنفى وإسلامه
والسرية التى أسرت ثمامة بن أثال الحنفى

بلغنى عن أبى سعيد المَقْبُرى عن أبى هريرة أنه قال : خرجت خيل لرسول الله ﷺ ، فأخذتْ رجلا من بنى حنَيفة ، لا يشعرون من هو ، حتى أتوا به رسول الله ﷺ ؛ فقال : أتدرون من أخذتم ؛ هذا ثمامة بن أثال الحَنَفى ، أحسنوا إساره . ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله ؛ فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابعثوا به إليه ، وأمر بِلِقْحته[1] أن يغدى عليه بها ويُراح فجعل لايقع من ثمامة موقعا ويأتيه رسول الله ﷺ فيقول أسلم يا ثمامة ، فيقول : إيهْا[2] يا محمد ، إن تقتل تقتل ذا دم وإن ترد الفداء فسلَ ما شئت ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم قال النبى ﷺ يوما : أطلقوا ثمامة ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البَقيع ، فتطهر فأحسن طُهُوره ، ثم أقبل فَبايع النبى ﷺ ؛ فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام ، فلم ينل منه إلا قليلا ، وباللقْحة فلم يُصب من حلابها إلا يسيرا فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك : ممّ تعجبون ؟ أمن رجل أكل أول النهار فى مِعَى كافرٍ ، وأكل آخر النهار فى مِعَى مسلم ! إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل فى معى واحد .

قال ابن هشام : فبلغنى أنه خرج معُتمرا ، حتى إذا كان ببطن مكة لبَّى ، فكان أوّل من دخل مكة يُلبى ، فأخذته قريش ، فقالوا : لقد اخترتَ علينا ، فلما قدّموه ليضربوا عنقه ؛ قال قائل منهم : دعوه فانكم تحتاجون إلى اليمامة لطعاكم ، فخلُّوه ، فقال الحنفىّ فى ذلك :

ومِنّا الذى لَبَّى بمَكةَ معلنا ... برَغْم أبى سفُيان فى الأشهر الحُرُمْ

وحُدثت أنه قال لرسول الله ﷺ ، حين أسلم ، لقد كان وجهك أبغَض الوجُوه إلىَّ ، ولقد أصبحَ وهو أحبُّ الوجوه إلىَّ . وقال فى الدين والبلاد مثل ذلك .

---

(١) اللقحة . واحدة اللقاح من الإبل ، وهى الناقة التى لها لبن . لسان العرب ٥٨٢ / ج ٢

(٢) إيها : حسبك لسان العرب ٤٧ / ج ١٣

ثم خرج معتمرا ، فلما قدم مكة ، قالوا : أصَبَوْت يا ثمام ؟ فقال : لا ، ولكنى اتَّبعت خير الدين ، دين محمد ، ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ . ثم خرج إلى اليمامة ، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا ، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ : إنك تأمر بصلة الرحم ، وإنك قطعت أرحامنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ، فكتب رسول الله ﷺ إليه أن يخلى بينهم وبين الحمل .

سرية علقمة بن مَجزِّز وبعث رسول الله ﷺ علقمة بن مُجَزِّز .

لما قتل وقاص بن مجزز المُدْلجى يوم ذى قَرَد ، سأل علقمةُ بن مُجَزز رسول الله ﷺ أن يبعثه فى آثار الفوم ، ليدرك ثأره فيهم .

فذكر عبدُ العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن عَلقمة ، عن عمرو بن الحكم بن ثَوْبان ، عن أبى سعيد الخدْرىّ ، قال : بعث رسول الله ﷺ عَلقْمة بن مُجزز - قال أبو سعيد الخدُرى : وأنا فيهم - حتى إذا بلغنا رأس غَراتنا أو كنَّا ببعض الطريق ، أذِن لطائفة من الجيش ، واستعمل عليهم عبد الله بن حذُافة السَّهمى ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكانت فيه دُعابة[1] ، فلما كان ببعض الطريق أوقد نارا ، ثم قال للقوم : أليس لى عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ؛ قال : أفما أنا آمركم بشىء إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فانى أعزم عليكم بحقى وطاعتى إلا تواثبتم فى هذه النار ؛ قال : فقام بعض القوم يحتجز[2] حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : اجلسوا ، فانما كنت أضحك معكم ، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قدموا عليه ، فقال رسول الله ﷺ : من أمركم بمَعْصية منهم فلا تُطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مُجزز رجع هوَ وأصحابه ولم يلق كيدا .

---

(١) الدعابة المراح . لسان العرب ٣٧٦ / ج ١

(٢) يحتجز : يشد ثوبه على حصره بمنزلة الحرام . لسان العرب ٣٣٢ / ج ٥

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسارا

شأن يسار :

حدثنى بعضُ أهل العلم ، عمَّن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان ابن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسول الله ﷺ فى غزوة محارب وبنى ثعلبة عبدا يقال له يسار ، فجعله رسول الله ﷺ فى لقاح له كانت ترعى فى ناحية الجماء[1] ، فقَدم على رسول الله ﷺ نفر من قَيس كُبَّة[2] من بجيلة ، فاستوبئوا[3] ، وطَحلوا[4] ، فقال لهم رسول الله ﷺ : لو خرجتم إلَى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

فلما صحّوا وانطوت بطونهم[5] ، عَدوْا على راعى رسول الله ﷺ يسَار ، فذبحوه وغرزوا الشَّوك فى عينيه ، واستاقوا اللقاح . فبعث رسول الله ﷺ فى آثارهم كُرْز بن جابر ، فلَحقهم ، فأتى بهم رسول الله ﷺ مرَجعِه من غزوة ذى قَرَد ، فقطع أيديَهم وأرحلهم ، وسَمَل أعينهم[6] .

غزوة على بن أبى طالب إلى اليمن

وغزوة علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى اليمن ، غزاها مرتين .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : بعث رسول الله ﷺ علىّ بن أبى طالب إلى اليمن ، وبعث خالد بن الوليد فى جنُد آخر ، وقال : إن التقيتما فالأمير علىّ بن أبى طالب .

وقد ذكر ابن إسحاق بَعْث خالد بن الوليد فى حديثه ، ولم يذكره فى عدة البعوث والسَّرايا ، فينبغى أن تكون العِدةَّ فى قوله تسعة وثلاثين .

---

(١) الجماء · موضع .

(٢) كبة : قبيلة من بجيلة . لسان العرب ٦٩٨ / ج ١

(٣) فاستوبئوا · من الوباء ، وهو كثره الأمراض وعمومها لسان العرب ١٨٤ / ح ١

(٤) طحلوا · أصابهم وجع الطحال وعظمه لسان العرب ٣٩٩ / ح ١١

(٥) انطوت بطونهم ، صارت فيها طرائق الشحم وعكنه لسان العرب ١٩ / ح ١٥ .

(٦) سمل أعينهم · فقأها لسان العرب ٣٤٧ / ج ١١

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين
وهو آخر البعوث

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يُوطىء الخيل تُخوم البلقاء والداروم ، من أرض فِلسطين فتجهز الناس ، وأوعبَ مع أسامة المهاجرون الأوّلون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ .

ابتداء شكوى رسول الله ﷺ

بدء الشكوى :

قال ابن إسحاق : فبينا الناس على ذلك ابتُدىء رسول الله ﷺ بشكوه الذى قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، فى ليال بقين من صفر ، أو فى أوّل شهر ربيع الأوّل ، فكان أولّ ما أبتُدىء به من ذلك ، فيما ذُكر لى ، أنه خرج إلى بقَيع الغَرقْد ، من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتُدىء بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن عمر ، عن عُبيد بن جُبير ، مولى الحكم بن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مُوَيْهبِة ، مولى رسول الله ﷺ ، قال : بعثنى رسول الله ﷺ من جوف الليل ، فقال : يا أبا مويَهِبة ، إنى قد أُمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم يأهل المقابر ، ليهنىء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقِطَع اللَّيل المظلم ، يتبع آخرُها أوَّلها ، الآخرة شرّ من الأولى ؛ ثم أقبل علىَّ ، فقال : يا أبا مُوَيْهِبَة ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلدَ فيها ، ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة قال : فقلت بأبى أنت وأمى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ؛ قال : لا والله يا أبا مُوَيْهِبَة لقد اخترت لقاء ربى

والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله ﷺ وَجَعَه الذى قبضه الله فيه .

تمريضه فى بيت عائشة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتبة ، عن محمد بن مُسلم الزهرىّ ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : رجع رسول الله ﷺ من البقيع ، فوجدنى وأن أجد صُداعا فى رأسى ، وأنا أقولُ : وا رأساه ، فقال : بل أنا والله يا عائشة وا رأساه . قالت : ثم قال : وما ضرّكِ لو مُتِّ قبلى ، فقمتُ عليكِ وكفّنتكِ ، وصلّيت عليكِ ودفنتكِ ؟ قالت : قلت : والله لكأنى بك ، لو قد فعلتَ ذلك ، لقد رجعتَ إلى بيتى ، فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت : فتبسم رسول الله ﷺ ، وتتامّ به وجعُه ، وهو يدور على نسائه ، حتى استعز به ، وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه ، فاستأذنهنّ فى أن يُمرَّض فى بيتى ، فأذِنَّ له .

ذكر أزواجه ﷺ
أمهات المؤمنين

أسماؤهن :

قال ابن هشام : وكنّ تسعا : عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ابن الخطاب ، وأمّ حَبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وأمّ سَلَمة بنت أبى أمية ابن المُغيرة ، وسودة بنت زَمْعَة بن قيس ، وزينب بنت جَحْش بن رِئاب ، وميمونة بنت الحارث بن حَزْن ، وجُويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، وصفيَّة بنت حُيَىّ بن أخطب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم .

زواجه بخديجة :

وكان جميع من تزوّج رسول الله ﷺ ثلاثَ عَشْرَة ، خديجة بنت خُوَيْلِد ، وهى أوّل من تزوّج ، زوّجه إياها أبوها خُوَيلد بن أسد ، ويقال أخوها

عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بَكْرة فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبى هالة بن مالك ، أحد بنى أُسيّد بن عمرو بن تميم ، حليف بنى عبدَ الدار ، فولدت له هند بن أبى هالة ، وزينب بنت أبى هالة ، وكانت قبل أبى هالة عند عُتيق بن عابد بن عبد الله ابن عمر بن مَخْزوم ، فولدت له عبد الله ، وجارية .

قال ابن هشام : جارية من الجوارى ، تزوجها صيفى بن أبى رفاعة .

زواجه بعائشة :

وتزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبى بكر الصديق بمكة ، وهى بنت سبع سنين ، وبنى بها بالمدينة ، وهى بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرا غيرها ، زوّجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم .

زواجه بسودة :

وتزوج رسول الله ﷺ سوَدة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤَىّ ، زوّجه إياها سلَيط بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسِل ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم .

قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سلَيطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة فى هذا الوقت .

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل .

زواجه بزينب بنت جحش :

وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية . زوجه

إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله ﷺ ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ .[1]

زواجه بأم سلمة :

وتزوج رسول الله ﷺ أمّ سَلَمة بنت أبى أُمية بن المغيرة المخزومية ، واسمها هند ؛ زوّجه إياها سلمة بن أبى سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله ﷺ فِراشا حشوه لِيف ، وقدحا ، وصَحفَة ، ومجشّة[1] ؛ وكانت قبله عند أبى سلَمة ابن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية .

زواجه بحفصة :

وتزوج رسول الله ﷺ حفْصَة بنت عمر بن الخطاب ، زوجه إياها أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند خنيس بن حذُافة السَّهمىّ .

زواجه بأم حبيبة :

وتزوّج رسول الله ﷺ أمّ حبيبة ، واسمها رَملة بنت أبى سفيان بن حرب ، زوّجه إياها خالدُ بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشى عن رسول الله ﷺ أربع مائة دينار ، وهو الذى كان خطبها على رسول الله ﷺ ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدى .

زواجه بجويرية :

وتزوّج رسول الله ﷺ جويْرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخزُاعية ، كانت فى سبايا بنى المصطلق من خزاعة ، فوقعت فى السَّهم لثابت بن قيس ابن الشَّماس الأنصارىّ ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسول الله ﷺ تَستَعينه

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٧

(١) المجشة . الرحى ، يقال : جششت الطعام فى الرحى إذا طحنته طحنا غليظا . لسان العرب ٢٧٤ / ج ٦

فى كتابتها . فقال لها : هل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوجها .

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بنى المُصْطَلق ، ومعه جوُيرية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جُويرية إلى رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقَدم رسول الله ﷺ المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيبهما فى شعْب من شعاب العقيق ، ثم أتى النبى ﷺ ، فقال : يا محمد ، أصَبْتم ابنتى ، وهذا فِداؤها ، فقال رسول الله ﷺ : فأين البعيران اللذان غيَّبت بالعقيق فى شعب كذا وكذا ؟ ففال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، صلى الله عليك ، فو الله ما اطلع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبى ﷺ ، ودُفعت إليه ابنته جُوَيرية ، فأسلمت وحسُن إسلامها ، وخطبهارسول الله ﷺ إلى أبيها ، فزوّجه إياها ، وأصدقها أربع مئة درهم ، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند ابن عم لها يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسول الله ﷺ من ثابت بن قَيْس ، فأعتقها وتروجها ، وأصدقها أربع مئة درهم .

زواجه بصفية :

وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيى بن أخطب ، سباها من خيبر ، فاصطفاها لنفسه ، وأولم رسول الله ﷺ وليمة ، ما فيها شحم ولا لحم ، كان سويقا وتمرا ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن ابى الحُقيق .

زواجه بميمونة:

وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هزم ابن روبية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زوّجه إياها العباسُ ابن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله ﷺ أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند أبى رُهم بن عبد العُزَّى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ؛ ويقال : إنها التى وهبت نفسها للنبى ﷺ ، وذلك أن خطبة النبى ﷺ انتهت إليها وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله ؛ فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى** ﴾[1] .

ويقال : إن التى وهبت نفسها للنبى ﷺ زينب بنت جحش ، ويقال أم شريك ، غزية بنت جابر بن وهب من بنى منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر ابن لؤى ، ويقال : بل هى امرأة من بنى سامة بن لؤى ، فأرجأها[2] رسول الله ﷺ .

زواجه زينب بنت خزيمة :

وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تسمى أم المساكين ، لرحمتها إياهم ، ورقتها عليهم ، زوجه إياها قَبيصة بن عمرو الهلالى ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند عُبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عُبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمها .

عدتهن وشأن الرسول معهن :

فهولاء اللاتى بنى بهن رسول الله ﷺ إحدى عشرة ، فمات قبله منهن ثنتان : خديجة بنت خُوَيلد ، وزينب بنت خزيمة . وتوفى عن تسع قد ذكرناهن

---

(١) الأحزاب الآية : ٥٠

(٢) أرجأها : أخر أمرها . لسان العرب ٣١١ / ج ١٤

فى أول هذا الحديث ؛ وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوجها فوجد بها بياضا[1] ، فمتَّعها[2] وردّها إلى أهلها ، وعَمرة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثة عهد بكفر ؛ فلما قدمت على رسول الله ﷺ ، استعاذت من رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : منيعٌ عائذ الله ، فردّها إلى أهلها ، ويقال : إن التى استعاذت من رسول الله ﷺ كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسول الله ﷺ دعاها ، فقالت : إنا قوم نُؤتى ولا نأتى ؛ فردها رسول الله ﷺ إلى أهلها .

تسمية القرشيات منهن :

القرشيات من أزواج النبى ﷺ ست : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كِلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وعائشة بنت ابى بكر بن أبى قُحافة بن عامر بن عمرو بن كعْب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ؛ وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ابن عبد الله بن قُرط بن رباح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ؛ وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وأم سلمة بنت أبى أُمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وسودة بنت زمعة ابن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤى .

تسمية العربيات وغيرهن :

والعربيات وغيرهن سبع : زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أُسد بن خزيمة ؛ وميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هزم بن روبية بن عبد الله بن هلال بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة

---

(١) البياص : البرص . تكنى عنه العرب بالبياض ، لكراهيتها إياه . لسان العرب ٥ / ح ٧

(٢) متعها : وصلها بشىء تتمتع به . بعد الطلاق . لسان العرب ٣٣٠ / ح ٨

ابن قيس بن عيلان ؛ وزينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو ابن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ؛ وجُويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ، ثم المصطلقية ؛ وأسماء بنت النعمان الكندية ؛ وعمرة بنت يزيد الكلابية .

غير العربيات :

ومن غير العربيات : صفية بنت حُيى بن أخطب ، من بنى النضير .

تمريض رسول الله فى بيت عائشة

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبى ﷺ ، قالت : فخرج رسول الله ﷺ يمشى بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ، ورجل آخر ، عاصبا رأسه ، تخط قدماه ، حتى دخل بيتى .

قال عبيد الله ، فحدثت هذا الحديث عبد الله بن العباس ، فقال : هل تدرى من الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا ؟ قال : على بن أبى طالب .

شدة المرض وصب الماء عليه :

ثم غمر[1] رسول الله ﷺ ، واشتد به وجعه ، فقال هَريقوا عَلَىّ سبع قرب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم . قالت : فأقعدناه فى مخضب[2] لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبكم حسبكم .

كلمة للنبى واختصاصه أبا بكر بالذكر :

قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أيوب بن بشير : أن

---

(١) عمر : أصابته عمره المرض ، وهى شدته [لسان العرب ٢٩ / ج ٥]

(٢) المخضب : أناء يغتسل فيه . [لسان العرب ٣٥٩ / ج ١] اللافطة بمعنى النحر [لسان العرب ٤٦١ / ج ٧]

رسول الله ﷺ خرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أوّل ما تكلَّم به أنه صلى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر ، وعَرف أن نفسه يريد ، فبكى وقال : بل ونحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رِسلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافظة[1] فى المسجد ، فسدوها إلا بيت أبى بكر ، فانى لا أعلم أحدا كان أفضل فى الصحبة عندى يدا منه ، قال ابن هشام : ويروى : إلا باب أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبى سعيد بن المعلَّى : أن رسول الله ﷺ ، قال يومئذ فى كلامه هذا : فإنى لو كنت متخذا من العباد خليلا لا تخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده .

أمر الرسول بإنفاذ بعث أسامة :

وقال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله ﷺ استبطأ الناس فى بعث أسامة ابن زيد وهو فى وجعه فخرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر وقد كان الناس قالوا فى إمرة أسامةَ : أمَّرَ غلاما حدَثًا على جِلَّة المهاجرين والأنصار .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلعَمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقا لها .

قال : ثم نزل رسول الله ﷺ ، وانكمش[2] الناس فى جهازهم ، واستعزّ برسول الله ﷺ وجعه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجُرْفَ ، من المدينة على فَرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتام إليه الناس ، وثقُل رسول الله ﷺ ، فأقام أسامة والناس ، لينظروا ما الله قاضٍ فى رسول الله ﷺ .

---

(١) اللافظة بمعنى النحر [لسان العرب ٤٦١ / ح ٧]

(٢) انكمش الناس . أسرعوا [لسان العرب ٣٤٣ / ج ٦]

وصية الرسول بالأنصار :

وقال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك : أن رسول الله ﷺ قال يوم صلّى واستغفر لأصحاب أُحُد ، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ : يا معشر المهاجرين ، استوصُوا بالأنصار خيرا ، فان الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عَيبتى[1] التى أويت إليها ، فأحسنوا إلى مُحْسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم .

قال عبد الله : ثم نزل رسول الله ﷺ ، فدخل بيته ، وتتامّ به وجعُه ، حتى غُمر .

قال عبد الله : فاجتمع إليه نساء من نسائه : أمّ سَلَمة ، وميمونة ، ونساء من نساء المسلمين ، منهنّ أسماء بنت عُمَيْس ، وعنده العبَّاس عمُّه ، فأجمعوا أن يَلُدُّوهَ[2] ، وقال العباس : لألُدَّنـه . قال : فلَـدُّوه ، فلما أفـاق رسول الله ﷺ ، قال : مَن صنَع هذا بى ؟ قالوا : يا رسول الله ، عمُّك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ؛ قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عمُّه العبَّاس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنْب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان الله عزّ وجلّ ليقذفنى به ، لا يَبْق فى البيت أحد إلاَّ لُدَّ إلا عَمِّى ، فلقد لُدت ميمونة وإنها لصائمة ، لقَسم رسول الله ﷺ ، عقوبة لهم بما صَنعوا به .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبيد بن السبَّاق ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما ثَقُل رسول الله ﷺ هبطتُ وهبط الناس معى إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ، وقد أُصْمِت فلا يتكلَّم ، فجعل يَرْفع يده إلى السماء ثم يَضعها علىّ ، فأعرف أنه يدعو لى .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهرى : حدثنى عُبيد بن عبدالله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان رسول الله ﷺ كثيرا ما أسمعه يقول إن الله

---

(١) عيبتى : موضع ثقتى : خاصتى وموضع سرى [لسان العرب ٦٣٤ / ج ١]

(٢) أن يلدوه : أى يجعلوا الدواء فى شق فمه . لسان العرب ٣٩٠ / ح ٣]

لم يقبض نبيا حتى يخيره قالت : فلما حُضر رسول الله ﷺ كان آخر كلمة سمعتُها وهو يقول : بل الّرفيق الأعلى[1] من الجنة ، قالت : فقلت : إذاً والله لايختارنا ، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يُخير .

صلاة أبى بكر بالناس :

قال الزُّهرىّ : وحدثنى حمزة بن عبد الله بن عمر ، أن عائشة قالت : لما استُعز[2] برسول الله ﷺ قال : مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس . قالت : قلت : يا نبى الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن . قال : مروه فليصلّ بالناس . قالت : فعُدت بمثل قول ، فقال : إنكنّ صواحب يوسف ، فمُروه فليصلّ بالناس ، قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أنى كنت أحب أن يُصرفَ ذلك عن أبى بكر ، وعرفت أن الناس لايُحبُّون رجُلا قام مقامه أبدا ، وأن الناس سيتشاءَمون به فى كلّ حدث كان ، فكنت أحبّ أن يُصْرَفَ ذلك عن أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وقال ابنُ شهاب : حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبيه ، عن عبدالله بن زَمعة بن الأسود ابن المُطَّلب بن أسد ، قال : لما استُعِزّ برسول الله ﷺ وأنا عنده فى نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مروا مَنْ يصلى بالناس . قال : فخرجت فإذا عمر فى الناس . وكان أبو بكر غائبا ؛ فقلت : قم يا عمر فصل بالناس ، قال : فقام ، فلما كبر ، سمع رسول الله ﷺ صوته ، وكان عمر رجلا مِجْهراً[3] ، قال : فقال رسول الله ﷺ : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون . قال : فبُعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس . قال : قال عبد الله بن زمعة : قال لى عمر : ويحك ، ماذا صنعت بى يا ابن زمعة ، والله ما ظننت حين أمرتنى

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .

(٢) جاء فى لسان العرب : استعز بالعليل إذا اشتد مرضه وَغُلِبَ على عقله : وفى الحديث : أنه استُعِزّ برسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه ، أى اشتد به المرض وأشرف على الموت .

(٣) مجهر : عالى الصوت . لسان العرب ١٥٠ / ج ٤

إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صليت بالناس . قال : قلتُ والله ما أمرنى رسول الله ﷺ بذلك ، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس .

اليوم الذى قبض الله فيه نبيه :

قال ابن إسحاق : وقال الزّهرىّ : حدثنى أنسُ بن مالك : أنه لما كان يوم الاثنين الذى قبض الله فيه رسول الله ﷺ ، خرج إلى الناس ، وهم يصلون الصبح ، فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله ﷺ ، فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فرحا به ، وتفرّجوا ، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم ؛ قال : فتبسّم رسول الله ﷺ سرورا لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيتُ رسول الله ﷺ أحسنَ هَيئة منه تلك الساعة ، قال : ثم رجع وانصرف الناسُ وهم يرون أن رسول الله ﷺ قد أفْرق[1] من وجعه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنح[2] .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد : أن رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة : أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون . فلولا مقالةٌ قالها عمر عند وفاته ، لم يشك المسلمون أن رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر ، ولكنَّه قال عند وفاته : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير منى . فعَرف الناسُ أنّ رسول الله ﷺ لم يستخلف أحدا ، وكان عمر غيرَ متَّهم على أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مُليكة ، قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصبا رأسه إلى الصبح ، وأبو بكر يصلى بالناس ، فلما خرج رسول الله ﷺ تفرّج الناس ، فعَرف أبو بكر أن

---

(١) أفرق : برىء . لسان العرب ٣٠٤ / ج ١٠ .

(٢) السنح (بوزن قفل) : موضع كان فيه مال لأبى بكر ، وكان ينزله بأهله . لسان العرب ٤٩٢ / ج ٢

الناس لم يَصنعوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ ، فنكص عن مُصَلاَّه ، فدفع رسولُ الله ﷺ فى ظَهره ، وقال : صلّ بالناس ، وجلس رسولُ الله ﷺ إلى جنبه ، فصلَّى قاعدا عن يمين أبى بكر ، فلما فَرغ من الصلاة أقبل على الناس ، فكلَّمهم رافعا صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد ، يقول : أيها الناس ، سُعِّرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وإنى والله ما تَمَسَّكون علىّ بشىء ، إنى لم أحِلَّ إلا ما أحل القرآن ، ولم أحَرَم إلا ما حرِّم القرآن .

قال : فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه ، قال له أبو بكر : يا نبى الله إنى أراك قد أصبحتَ بنعمة من الله وفضل كما نُحبّ ، واليوم يوم بنت خارجة ، أفآتيها ؟ قال : نعم ، ثم دَخل رسول الله ﷺ ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح .

شأن العباس وعلى :

قال ابن إسحاق : قال الزهرىّ : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج يومئذ على بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله ﷺ ، فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئا ، قال : فأخذ العبَّاس بيده ، ثم قال : يا علىّ ، أنت والله عبدُ العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله ﷺ ، كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، وإن كان فى غيرنا ، أمَرناه فأوصى بنا الناس . قال : فقال له علىّ : إنى والله لا أفعل ، والله لئن منعناه لا يؤتيناه أحد بعده .

فتُوفى رسول الله ﷺ حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم .

سواك الرسول قبيل الوفاة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن الزُّهرىّ ، عن عروة ،

عن عائشة ، قال : قالت : رجع إلّى رسول الله ﷺ فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد فاضطجع فى حجرى ، فدخل علَّى رجل من آل أبى بكر ، وفى يده سواك أخضر . قالت : فنظر رسول الله ﷺ إليه فى يده نظراً عرفت أنه يريده ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، أتحب أن أعطيَك هذا السواك ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فمضغته له حتى ليَّنته ، ثم أعطيته إياه ؛ قالت : فاستن به كأشدّ ما رأيته يستن بسواك قطّ ، ثم وضعه ؛ ووجدت رسول الله ﷺ يَثْقل فى حجرى ، فذهبت أنظرُ فى وجهه ، فاذا بصره قد شَخَص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ؛ قالت : فقلت : خُيِّرت فاخترت والذى بعثك بالحق قالت : وقُبض رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعت عائشة تقول ، مات رسول الله ﷺ بين سَحرى[1] ونحرى[2] وفى دَوْلتى ، لم أظلم فيه أحدًا ، فمِنْ سَفَهى وحداَثة سنى أن رسول الله ﷺ قُبض وهو فى حجِرى ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت الْتدم[3] مع النساء ، وأضرب وجهى .

مقالة عمر بعد وفاة الرسول :

قال ابن اسحاق : قال الزهرى ، وحدثنى سعيد بن المسيِّب ، عن أبى هريرة ، قال : لما تُوفى رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد تُوُفى ؛ وإن رسول الله ﷺ ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ؛ ووالله ليرجعَن رسول الله ﷺ كما رجع موسى ، فلَيقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات .

---

(١) السحر   الرئة ومايتصل بها إلى الحلقوم   لسان العرب ٣٥٢ / ج ٤
(٢) النحر . أعلى الصدر . لسان العرب ١٩٥ / ح ٥
(٣) ألتدم . أضرب صدرى   ترتيب القاموس ١٣٦/ح ٤

موقف أبى بكر بعد وفاة الرسول :

قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ فى بيت عائشة ، ورسول الله ﷺ مُسجى[١] فى ناحية البيت ، عليه بُرْد حَبِرة[٢] فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ . قال : ثم أقبل عليه فقبَّله ، ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا قال . ثم رد البرد على وجه رسول الله ﷺ ، ثم خرج وعمر يكلِّم الناس ، فقال : على رِسْلك يا عمر ، أنصِت ، فأبى إلا أن يتكلَّم ، فلما رآه أبو بكر لا ينُصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حىّ لا يموت . قال ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خلت مِنْ قَبْلِه الرسُلُ ، أفإن ماتَ أو قُتل انْقَلَبْتُمْ عَلى أعقابِكُمْ ، ومَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقبيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئا ، وَسَيَجْزِى الله الشَاكرِينَ** ﴾[٣].

قال : فو الله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ؛ قال : وأخذها الناس عن أبى بكر ، فانما هى فى أفواههم ؛ قال : فقال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعَقِرت[٤] حتى وقعت إلى الأرض ما تَحملنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات[٥] .

---

(١) مسجى · معطى   لسان العرب ٣٧١ / ج ١٤

(٢) الحبرة . ضرب من ثياب اليمن لسان العرب ١٥٩ / ج ٤

(٣) سورة آل عمران الآية ١٤٤

(٤) عقرت : دهشت   لسان العرب ٥٩٨ / ح ٤

(٥) مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أدى الأمانة وبلغ الرسالة الخاتمة وهو راض عن عمله ومرضى عنه من الله والمسلمين .

أمر سقيفة بنى ساعدة

تفرق الكلمة :

قال ابن إسحاق : ولما قُبِض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحىّ من الأنصار إلى سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل علىّ بن أبى طالب والزُّبير بن العوّام وطلحة بن عُبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقيَّة المهاجرين إلى أبى بكر ، وانحاز معهم أُسَيدبن حُضَير ، فى بنى عبد الأشهل ، فأتى آت إلى أبى بكر وعمر ، فقال : إن هذا الحىّ من الأنصار مع سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، قد انحازوا إليه ، فان كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرُهم ، رسول الله ﷺ فى بيته لم يُفرغ من أمره قد أغلَق دُونه الباب أهلُه . قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ماهم عليه .

ابن عوف ومشورته على عمر بشأن بيعة أبى بكر :

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن عبد الله بن أبى بكر ، حدثنى عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن عوف ، قال : وكنت فى منزله بمنى أنتظره ، وهو عند عمر فى آخر حِجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدنى فى منزله بمنى أنتظره ، وكنت أُقرئه القرآن ، قال ابن عباس ، فقال لى عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين ، فقال : ياأمير المؤمنين ، هل لك فى فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، والله ماكانت بَيعة أبى بكر إلا فَلْتة فتمَّت قال : فغضب عمر ، فقال : إنى إن شاء الله لقائم العشيَّة فى الناس ، فمحذّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يَغْصبوهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : ياأمير المؤمنين لاتفعل ، فإن

الموسم يجمع رِعاع الناس وغَوغاءهم [1] ، وإنهم هم الذين يغلبون على قُربك ، حين تقوم فى الناس ، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يَطير بها أولئك عنك كلّ مطير ، ولايَعوها ولايَضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينةَ فإنها دار السُّنة ، وتخلص بأهل الثقة وأشراف الناس فتقول ماقلت بالمدينة متمكّنا ، فيعى أهل الفقه مقالتك ، ويضعوها عَلى مواضعها ، قال : فقال : عمر : أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مَقام أقومه بالمدينة :

خطبة عمر عند بيعة أبى بكر

قال ابن عباس : فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرَّواح حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل جالسا إلى رُكن المِنبر فجلست حذوه تمسّ رُكبتى ركبته ، فلم أنشَب أن خرج عُمر بن الخطاب ، فلما رأيته مُقبلا ، قلت لسعيد بن زيد : لَيقولنَّ العشيَّة على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ؛ قال : فأنكر علّى سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ماعسى أن يقول مما لم يقل قبله ، فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذنون ، قام فأثنى على الله بما هو أهل له ، ثم قال : أما بعد ، فانى قائل لكم اليوم مقالة قد قُدر لى أن أقولها ، ولا أدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيها فلا يحل لأحد أن يكذب علّى ؛ إن الله بعث محمدا ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعُلّمْناها ووعيناها ، ورجَم رسول الله ﷺ ورَجمْنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نَجد الرجم فى كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم فى كتاب الله حقّ على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء ، وإذا قامت البينة ، أو كان الحبَل أو الاعتراف ؛ ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : « لا تَرْغَبوُا عَنْ آبائِكُمْ فانَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أنْ تَرغبوا عَن آبائكُم » ألا إن رسول الله ﷺ قال : « لا تُطرونى كما أُطْرِى عيسى ابن مريم ، وقولوا : عبد الله ورسوله » ؛ ثم إنه قد بلغنى

---

(١) العوغاء : سفلة الناس ، وأصل العوغاء الجراد ، فتبه سفلة الناس به ، لكثرتهم . لسان العرب ١٤٢ / ج ١٥

أن فلانا قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، فلا يغرَّن امرأ أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فَلْتة فتمَّت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرّها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر ، فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا بَيْعة له هو ولا الذى بايعه تَغِرّةً [1] أن يقتلا ، إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه رسول الله ﷺ أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم فى سقَيفة بنى ساعدة ، وتخلَّف عنَّا علىّ ابن أبى طالب والزبير بن العوّام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان ، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم ، وقال : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء الأنصار ، قالا : فلا عليكم أن لا تقربوهم يا معشر المهاجرين ، اقضوا أمركم . قال : قلت : والله لنأتينهم ، فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فاذا بين ظهرانيهم رجلٌ مُزمَّل[2] فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عُبادة ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجِع . فلما جلسنا تشهَّد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت[3] دفَّة من قومكم ، قال : وإذا هم يريدون أن يجتازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر ، فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زَوّرت[4] فى نفسى مقالة قد أعجبتنى ، أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحَدّ[5] ، فقال أبو بكر : على رِسلك يا عمر ، فكرهت أن أُغضبه ،

---

(١) التعرة من التعرير ، والكلام على حذف مصاف ، تقديره ، حوف تغرة أن يقتلا . والمعنى : أن البيعة حقها أن تقع صادرة عن المشورة والاتفاق ، فإذا استبد رجلان دون الجماعة فبايع أحدهما الآخر لذلك تظاهر منهما بشق العصا واطراح الجماعة . فإن عقد لأحد بيعة ، فلا يكون المعقود له واحدا منهما ، وليكونا معزولين من الطائفة التى تتفق على تمييز الامام منها ، لأنه لو عقد لواحد منهما وقد ارتكبا تلك الفعلة الشنيعة ، التى احفظت الجماعة ، من التهاون بهم ، والاستغناء عن رأيهم ، لم يؤمن أن يقتلا [انظر لسان العرب مادة غرر لسان العرب ١١ ج ٥

(٢) مزمل : ملتف فى كساء أو غيره .

(٣) الدافة . للقوم يسيرون جماعة سيرا ليس بالشديد

(٤) زورت مقالة : أصلحتها وحسنتها .

(٥) الحد : أى أنه كان فى خلق عمر حدة ، كان يسترها عن أبى بكر .

فتكلم ، وهو كان أعلم منى وأوقر ، فو الله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تَزْويرى إلا قالها فى بديهته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكت ؛ قال : أما ما ذكرتم فيكم من خير ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسبا[1] ودارا[2] ، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين ؛ فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدى وبيد أبى عُبيدة بن الجراح ، وهو جالس بيننا ولم أكره شيئا مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدّم فتضرب عنقى ، لايُقَربنى ذلك إلى إثْم ، أحبّ إلّى من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبوبكر .

قال قائل من الأنصار : أنا جذيلها المُحَك[3] وعذُيَقها[4] المرجَّب ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش ، قال : فكثر اللغط[5] وارتفعت الأصوات ، حتى تخوفت الاختلاف : فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبَسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا[6] على سعد بن عُبادة ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عُبادة . قال فقلت : قتل الله سعد بن عبادة .

تعريف بالرجلين اللذين لقيا أبا بكر وعمر فى طريقهما للسقيفة :

قال ابن إسحاق : قال الزهرى أخبرنى عُروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُويم بن ساعدة ، والآخر معن ابن عدىّ ، أخو بنى العجلان . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قيل

---

(١) أوسط العرب نسبا : أشرفهم : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) .

(٢) ودارا : بلدا ، وهى مكة ، لأنها أشرف البقاع .

(٣) الجذيل : تصغير جذل ، وهو عود يكون فى وسط مبرك الإبل ، تحتك به ، وتستريح اليه ، فضرب به المثل للرجل يستشفى برأيه ، وتوجد الراحة عنده .

(٤) العذيق . تصغير عذق ، وهى النخلة بنفسها ، والمرجب : الذى تبنى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله ، لعزه على أهله فضرب به المثل فى الرجل الشريف الذى يعظمه قومه ، واسم الدعامة التى تدعم بها النخلة الرجبية ، ومنه اشتقاق شهر رجب ، لأنه يعظم فى الجاهلية والإسلام .

(٥) اللغط . اختلاف الأصوات ، ودخول بعضها على بعض .

(٦) نزونا على سعد . وثبنا عليه ووطئناه .

لرسول الله ﷺ مَنِ الذين قال الله عزّ وجلّ لهم : « فِيه رِجالٌ يُحبونَ أنْ يتَطَهَّروا والله يُحبُّ المُطهرِينَ » فقال رسول الله ﷺ : نِعْم المرءُ منهم عُويم ابن ساعدة ؛ وأما مَعْن بن عدىّ ، فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله ﷺ حين توفاه الله عزّ وجلّ ، وقالوا : والله لَوَدِدْنا أنا متنا قبله ، إنا نخشى أن نفتتن بعده . قال معن بن عدىّ : لكنى والله ما أحبّ أنى متّ قبله حتى أصدقه ميتا كما صدّقته حيا ؛ فقتل معن يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر ؛ يوم مُسليمة الكذاب .

خطبة عمر قبل أبى بكر عند البيعة العامة

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرىّ ، قال حدثنى أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبوبكر فى السقيفة وكان الغد ، جلس أبوبكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إنى كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهِد إلى رسول الله ﷺ ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبِّر أمرنا ، يقول : يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هَدى الله رسوله ﷺ ، فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله ﷺ ، ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

خطبة أبى بكر

فتكلَّم أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فانى قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ؛ وإن أسأت فقوّمونى ؛ الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوىّ عندى حتى أُرِيح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدعُ قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذُّلّ ، ولاتشيع الفاحشة فى قوم قطُّ إلا عَمَّهم الله بالبلاء ؛ أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عبَّاس ، قال : والله إنى لأمشى مع عمر فى خلافته وهو عامد إلى حاجة له ، وفى يده الدرة ، وما معه غيرى ، قال : وهو يحدّث نفسه ، ويضرب وحشىَّ[1] قدمه بدرَّتِهِ ، قال : إذ التفت إلىّ ، فقال : ياابن عباس ، هل تدرى ما كان حملنى على مقالتى التى قلتُ حين توُفى رسول الله ﷺ ؟ قال : قلت : لا أدرى يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ؛ قال : فانه والله ، إن كان الذى حملنى على ذلك إلا أنى كنت أقرأ هذه الآية : ﴿ **وكَذَلكَ جَعلْناكُمْ أمَّةً وسَطًا لتِكوُنُوا شهَداءَ على النَّاسِ وَيَكُون الرسُّوُل عَلَيْكُمْ شهيداً** ﴾[2] فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله ﷺ سَيَبقى فى أُمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فانه للذى حملنى على أن قلت ما قلت .

جهاز رسول الله ﷺ ودفنه

من تولى غسل الرسول :

قال ابن إسحاق : فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء فحدثنى عبد الله بن أبى بكر وحُسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن علىّ بن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وقُثَم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشُقْران مولى رسول الله ﷺ ، هم الذين ولُوا غَسْله ، وأنّ أوس بن خَوْلِىّ ، أحد بنى عوف ابن الخزرج ، قال لعلىّ بن أبى طالب : أنشدُكَ الله يا علىّ وحظّنا من رسول الله ﷺ ، وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر ، قال : ادخل ، فدخل فجلس ، وحضر غَسْل رسول الله ﷺ ، فأسنده علىّ بن أبى طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقُثم يقلبونه معه ، وكان أُسامة بن زيد وشُقران مولاه ، هما اللذان يصبَّان الماء عليه ، وعلىّ يُغسِّله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصُه يدلكه به من ورائه ، لا يفضى بيده إلى رسول الله ﷺ ، وعلى

---

(١) الوحشى من أعضاء الإنسان . ما كان إلى خارج ، والإنسى . ما أقبل على جسده منها

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣

يقول : بأبى أنت وأمى ، ما أطيبك حيًّا وميتا ! ولم يُر من رسول الله ﷺ شىء مما يُرى من الميت .

كيف غسل الرسول :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غَسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه فقالوا : والله ما ندرى ، أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ، قالت : فلما اختلفواألقَى الله عليهم النوم ، حتى ما منهم رجل إلا ذقنُه فى صدره ، ثم كلَّمهم مكلِّم من ناحية البيت لايدرون من هو : أن غسلوا النبىّ وعليه ثيابه ؛ قالت : فقاموا إلى رسول الله ﷺ ، فغسَّلوه وعليه قميصُه ، يصبُّون الماء فوق القميص ، ويُدلِّكونه والقميص دون أيديهم .

تكفين الرسول :

قال ابن إسحاق : فلما فُرغ من غسل رسول الله ﷺ كفِّن فى ثلاثة أثواب ، ثوبين صُحارِيين[1] وبُرْد حبَرة ، أُدْرج فيها إدراجا ، كما حدثنى جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدهّ علىّ بن الحسين والزهرى ، عن على بن الحسين .

حفر القبر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ ، وكان أبو عبيدة بن

---

(١) صحاريين : نسبة إلى صحار ، وهى مدينة من اليمن كما فى لسان العرب ، أو هى فى بلاد بنى تميم من اليمامة أو مايليها (عن معجم ماستعجم للبكرى) .

الجَراح يَضْرح[1] كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذى يحفر لأهل المدينة ، فكان يَلحد ، فدعا العبَّاس رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب ، إلى أبى عُبيدة بن الجرّاح ، وللآخر اذهب إلى أبى طلحة . اللهمّ خِرْ لرسول الله ﷺ ، فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فلَحدَ لرسول الله ﷺ .

دفن الرسول والصلاة عليه :

فلما فُرِغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء ، وضع فى سريره فى بيته ، وقد كان المسْلمون اختلفوا فى دفنه . فقال قائلٌ : ندفنه فى مسجده وقال قائل : بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما قُبض نبى إلا دُفن حيث يقبضُ ، فرفع فراش رسول الله ﷺ الذى تُوفى عليه ، فحفر له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يُصَلُّون عليه أرْسالا[2] ، دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا أُدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أُدخل الصبيان . ولم يَؤُم الناس على رسول الله ﷺ أحد .

ثم دُفن رسول الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء .

دفن الرسول :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن امرأته فاطمة بنت عمارة ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، عن عائشة رضى الله عنها ، جوف الليل من ليلة الأربعاء .

من تولى دفن الرسول :

وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله ﷺ علىّ بن أبى طالب ، والفضل ابن عبَّاس ، وقُثم بن عباس ، وشُقران مولى رسول الله ﷺ .

---

(١) يضرح . يشق الأرض للقبر .

(٢) ارسالا : جماعة بعد جماعة .

وقد قال أوس بن خَوْلِىّ لعلىّ بن أبى طالب : يا علىّ ، أنشدك الله ، وحظّنا من رسول الله ﷺ ، فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه شُقران حين وضع رسول الله ﷺ فى حفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة ، وقد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها ودفنها فى القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا .

قال : فدفنت مع رسول الله ﷺ .

أحدث الناس عهدا بالرسول :

وقد كان المغُيرة بن شعبة يدّعى أنه أحدثُ الناس عهدا برسول الله ﷺ يقول : أخذت خاتَمى ، فألقيته فى القبر ، وقلت : إن خاتمى سقط منى ، وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله ﷺ ، فأكون أحدث الناس عهدا به ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن مِقسم أبى القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانىء بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عُمرته رجع فسُكب له غسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا حسن ، جئنا نسألك عن أمر نحبّ أن تخبرنا عنه ؟ قال : أظن المغيرة بن شعُبة يحدّثكم أنه كان أحدث الناس عهدا برسول الله ﷺ . قالوا : أجل ، عن ذلك جئنا نسألك ؛ قال كذبا قال : أحدث الناس عهدا برسول الله ﷺ قُثم بن عباس .

خميصة الرسول :

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت : كان على رسول الله ﷺ خَميصة سوداء[1] حين اشتدّ به وجعه ، قالت : فهو يضعها مرّة على وجهه ،

---

(١) خميصة سوداء . هى ثوب خز أو صوف معلم

ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يَحذْرُ من ذلك على أمّته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال : لايترك بجزيرة العرب دينان .

افتتان المسلمين بعد موت الرسول :

قال ابن إسحاق : ولما تُوفى رسول الله ﷺ عَظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغنى ، تقول : لما توفى رسول الله ﷺ ارتدّت العرب ، واشرأبت [1] اليهودية والنصرانية ، ونَجَم[2] النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المَطيرة فى الليلة الشّاتية ، لفقد نبيهم رسول الله ﷺ ، حتى جمعهم الله على أبى بكر .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لمّا توفى رسول الله ﷺ همّوا بالرجوع عن الاسلام . وأرادوا ذلك . حتى خافهم عتّاب بن[3] أسيد ، فتوارى ، فقام سُهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوّة ، فمن رابنا ضربنا عُنقه ، فتراجع الناس وكفُّوا عمّا همُّوا به ، وظهر عتاب بن أسيد .

فهذا المقام الذى أراد رسول الله ﷺ فى قوله لعمر بن الخطاب ، إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه :

---

(١) اشرأبت : طلعت .

(٢) نجم : ظهر

(٣) كان عتاب بن أسيد والى مكة حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أمره عليها .



فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

مطـابع الأهـرام التـجـارية - قليـوب
رقم الإيداع/ ٣٨٣٧ / ١٩٩٤



مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر